

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
الشيخ الفزوني

الحنين والغربة

في الشعر العربي

الحنين إلى الأوطان

الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري

عميد البحث العلمي
جامعة إربد الأهلية - الأردن



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحنين والغربة

في الشعر العربي

الحنين إلى الأوطان

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحنين والفربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان

الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري

عميد البحث العلمي
جامعة إربد الأهلية - الأردن



حقوق التأليف محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه
على أية هيئة أو بأية وسيلة إلا بإذن كتابي من الناشر.

الطبعة الأولى

1428هـ - 2008م

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإبداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2007/7/1959)

811.9

الجبوري، يحيى

الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان/

يحيى وهيب الجبوري. - عمان: دار مجدلاوي، 2007

() ص.

ر.أ.: (2007/7/1959)

الوصفات: / الشعر العربي // العصر الحديث // النقد الأدبي //

التحليل الأدبي/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

ISBN 978-9957-02-301-0 (ردمك)

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Code 11941

Amman- Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تلفاكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩

ص. ب. ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١

عمان - الأردن

www.majdalawibooks.com

E-mail: customer@majdalawibooks.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشره.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس
المقدمة

الحنين إلى الأوطان غريزة في النفوس سواء أكان عند الإنسان أم الحيوان، يتجلى ذلك في حنين الإبل إلى أوطانها ومعاطنها، وحنين الطير إلى عشه مهما أخذ وبُعد به، يعود إلى وكره قاطعاً مئات الأميال بل الآلاف حتى يجد قرارة نفسه في وطنه، وكذلك يقال في بقية الحيوانات، كالقطط والكلاب، والكلاب أشد حنيناً ووفاء من بقية الحيوان، فإذا كان هذا حنين الحيوان فكيف لا يحن الإنسان إلى أرضه ووطنه مهما عاش في حرمان وبؤس، وعانى من الظلم والجور والفاقة، وخير دليل على ذلك هؤلاء المهاجرون إلى بلاد الدنيا الجديدة، وقد كسبوا المال والجاه والترف، ولكنهم يحنون أبداً إلى أوطانهم، ويتحسرون على ما يجري فيها من مصائب وضيم ونكبات وعدوان، وفي الآيات الكريمة دلالة على حب الناس لأوطانهم ولو قتلوا في سبيلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (النساء 66) وفي الحديث النبوي: (حب الأوطان من الإيمان)، وكان رسول الله ﷺ يحن إلى مكة وطنه، فكان إذا جاء أحد منها يسأله عنها فتغرورق عيناه بالدموع، وكذلك كان الصحابة يحنون إلى ديارهم، ولزوم الأوطان غبطة، قيل لبعض الأعراب: «ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، قيل فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان»، ولمكانة الوطن في نفوس الناس فقد ألف المؤلفون في التراث العربي أكثر من ستة عشر كتاباً وصل بعضها.

والحنين إلى الأوطان ظاهرة إنسانية عامة في نفوس البشر، وإن كان حب الأوطان عند العرب أكثر وضوحاً لأن الشعر سجل هذه الظاهرة، منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث، مع اختلاف يسير فيما بين البدوي والحضري، وللوطن في كل بيئة أثر واضح في سلوك الإنسان وتفكيره ومظهره من حيث الملبس والمأكل والطباع والعادات

والمثل العليا، ولكل شعب صفاته وعاداته ومثله، ولذلك فمن الجور على المنهج أن تطبق النظريات الغربية في الحنين إلى الأوطان، والغربة والاغتراب على المجتمعات العربية، حيث كثر التأليف في هذا العصر وأسبغوا النظريات الأوروبية على المجتمعات العربية، مع الاختلاف الكبير في الحياة والتفكير والعادات والمثل والمعتقد. وإذا كنا نستأنس ببعض الأفكار، فهذا لا يعني تطبيقها بحذافيرها على مجتمعاتنا العربية، وتناولت هذه الدراسة الحنين والغربة في الحياة العربية والإسلامية منذ العصر الجاهلي حتى العصور المتأخرة، ولم نتناول الغربة في الشعر الحديث، فقد كثر دارسوه، إلا ما يخص العراق وبغداد خاصة من حنين المغتربين والمحبين، وكان دليلنا في كل ذلك ما ضفرنا به من النصوص الشعرية أولاً والثرية ثانياً.

وقد قامت الدراسة في هذا الكتاب على موضوعات وقفنا عندها ودرسنا ظواهرها ومعطياتها، تتمثل في:

الوقوف عند موضوع الحنين والغربة وآراء القدامى في المعنى والمدلول، وتعرفنا على المؤلفات التي تناولت الحنين إلى الأوطان، ومفهوم الغربة والاغتراب ومظاهرها على مدى العصور من الجاهلية حتى العصور المتأخرة، ودرسنا الغربة ودواعيها في كل عصر ومدى المعاناة التي مثلها الشعراء، وخاصة الصعاليك الذين كانوا يعانون من غربة اللون والانتماء ورفض المجتمع للصوص والخلعاء، وهناك من الشعراء من عبر عن غربته ولوعته عند الموت سواء أكان بين أهله وقومه أو كان غريباً أدركه الموت، أو غريباً في الأسفار والحروب، وقد تميزت قسوة الاغتراب لدى الجند الفاتح في ديار الأعاجم، حين تطول الأيام والشهور أو تنقطع بهم السبل، وكان للمرأة دورها في معاناة الحنين وقسوة الغربة حين تتزوج في غير قبيلتها أو يرحل عنها زوجها، وتتغير أحوالها بين حياة البادية والحاضرة، فتكثر وحشتها ويزداد حنينها إلى البادية.

وكان للظلم السياسي والاقتصادي الذي يفرضه السلاطين والولاة على القبائل أو الأحزاب أن ظهرت آثاره في شعر الشعراء وكثر التذمر والشكوى. ووقفت الدراسة عند كل شاعر من

الشعراء الذين عانوا من الحنين والغربة في شعرهم مع بيان الحالات والظروف التي كان يقاسيها كل شاعر وتميزه عن الآخرين، في كل عصر وخاصة في العصرين الأموي والعباسي.

ووقفت الدراسة عند ظاهرة المغترين الذين نأوا عن ديارهم لسبب ماء، وصاروا يحنون إلى أوطانهم ويشكون من قسوة الاغتراب، فعبروا عن مكنونات صدورهم بكتابة الأشعار والأقوال على الأبنية والجدران، في ديار الغربة، تنفيساً عما يعانونه من شوق وحنين وهمّ دفين.

ورأينا أنّ هناك تميزاً وخصوصية للغربة في التراث الإسلامي، فوقفنا عند مفهوم الغربة في الإسلام، والمؤلفات التي كتبت من الوجهة الإسلامية في مفهوم الغربة، وكان لأبي حيان التوحيدي تميّز وخصوصية في إحساسه بالغربة في مجتمعه، وقد أدى ذلك إلى أن أحرق كتبه، وظهرت آراؤه وأفكاره في كتابه الإشارات الإلهية الذي اقتبسنا بعضاً من نصوصه.

وبالعودة إلى الحياة والطبيعة وجدنا أنّ هناك مثيرات للحنين والغربة تثير الشعراء وتستدر أشعارهم، من ذلك دموع العين، والريح التي تهب من جهة الأهل والوطن فتثير الحنين، وكذلك البرق الذي يلمع في السماء من جهة الأهل والأوطان ونجوم السماء التي يتأمل فيها الغريب فتذكره بقومه وأحبابه، حيث تلتقي عندها نظراته بنظرات الحبيب، أما الحمام فهديله نواحاً يتعب الغريب ويثير أشجانه فيشاركه في البكاء والشجن ومثلما يحن الإنسان الغريب، فكذلك تحن الإبل إلى أوطانها وتتجه بأنظارها نحو ديار أهلها فتشير في نفس صاحبها ما يكبت من الوجد والشوق وكان للنخلة في بلاد الغربة الأثر الكبير في آثاره الحنين إلى الأوطان، وقد تميزت بعض النخلات في مواضع من البلاد التي يقل فيها النخل فتذكّر المغترين بأوطانهم، وقد اشتهرت بعض النخلات ودارت حولها أحداث وقصص وأشعار من ذلك نخلات مرنّ وكرمان ونخلة الرصافة بالأندلس التي أثارت حنين عبد الرحمن الداخل فكان يناجيها في شعر رقيق، وتغنى الشعراء بنخلتي حلون وأثيرت حولهما قصص وأشعار من قبل الخلفاء والشعراء.

وكان للمكان نصيب وافر في شعر الشعراء، وحضي نجد بمكانة كبيرة متميزة في قلوب الشعراء فتغنوا بالأرض والطبيعة ومحاسن النساء وعبروا عن حنينهم وأشواقهم

إلى تلك الديار، وكثرت الأشعار في ذكر نجد والحجاز وخاصة في شعر الصمة القشيري
وزيد من الطثرية، والأبيوردي والشريف والرضي، والطغرائي، وأسامة بن منقذ وقد
عرضنا لهذه الأشعار ودونهاها اعتزازاً بما تمثله من شوق وحنين.

وكانت خاتمة المطاف ما جاء من الحنين والشوق إلى العراق بلد الحضارة والترف
والغنى، وما تميزت بها بغداد من محاسن، فحن إليها الشعراء على مدى العصور منذ
العصر العباسي وحتى العصر الحديث، وقد تناول الشعراء حضارة بغداد وجمال مدنها
وأبنائها وما فيها من رقة وترف وغنى، وما كان فيها من جالس للشعر وجمال الصبايا
والنساء، وما نزل بها من مأس وأحداث وبلايا على مر العصور.

ولم يقتصر الحنين إلى بغداد ووصف مغانيها على شعراء العراق وحسب، بل تناول
كثرة من شعراء الأقطار العربية معالم بغداد وحضارتها، والتغني بجمالها وأعجابه، ومن
هؤلاء الشعراء، أعلام من أدباء الأمة ونوابغها وشعرائها المبدعين.

وكان للأحداث الكثيرة السارة والمحنة التي نزلت ببغداد الأثر في كثرة شعر
الشعراء والوفود التي كانت تغد إلى بغداد في المناسبات الوطنية والأدبية، وما زالت إلى
عهد قريب، قبل طامة الاحتلال الذي قدم من وراء البحار، والحدق الأسود الذي تسلل
إليها من شرقي البلاد وغربها، فظللت بغداد غمامة بغيزة كلها سواد وظلم وحقد
وخراب ودماء.

نسأل الله سبحانه الفرج بعد الغمة وانبلاج نور الفجر بعد الليل الدامي الطويل،
إنه سميع مجيب.

يحيى الجبوري

30 محرم 1428 هـ

18 شباط 2007 م

العنوان

ص ب 150519 الرمز البريدي 211/41

هاتف- فاكس 7251193 الفتح الدولي 009622

المحمول: 0785250227

البريد الإلكتروني: yahia_al_jubouri@yahoo.com

إريد- الأردن

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مهدات

الحنين إلى الأوطان

الحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية، وفي البدوية خاصة، وهو منسجم مع طبيعة العربي الحساسة في بيئته الصحراوية الواسعة، ولم يقتصر الحنين على البشر بل شمل الحيوان، فالإبل تحن إلى أولادها ومرابضها، ولذلك كان الحنين غريزة في نفس العربي في باديته، وارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة الإنسان واعتزازه، وكانت الغربة عن الوطن همماً شديداً، ويروى أنه قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الأخوان، وقيل: فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان⁽¹⁾.

وقبل البدء في الحديث عن الحنين إلى الأوطان، نقف عند معنى الوطن وكيف جاء مفهومه في اللغة والشعر القديم، جاء معنى الوطن في المعجمات اللغوية بمعنى: مريض الإبل والغنم، ثم صار يعني المنزل الذي يتخذه الإنسان سواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن، ويقول ابن سيده: «الوطن حيث أقمت من بلد أو دار»⁽²⁾، وتوسع مفهوم الوطن فصار كل مكان ينزل فيه الإنسان ويعده مستقراً ومقاماً وطناً، ووطن بالمكان وأوطن: أقام، وكل مقام أقام به الإنسان لأمر فهو موطن له⁽³⁾.

(1) المحاسن والأضداد- الجاحظ، ص 54 ط القاهرة، المحاسن والمساوي - البيهقي 490/1، ط القاهرة.

(2) المخصص 119/4، وانظر جهرة اللغة لابن دريد 119/3، تهذيب اللغة للأزهري 28/4، معجم مقاييس اللغة لابن

فارس 120/6، الصحاح للجوهري 2214/6، وقد أفدنا من كتاب الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية

العصر الأموي لمحمد إبراهيم حور في مواضع كثيرة.

(3) لسان العرب: وطن.

ويختلف مفهوم الوطن في العصور القديمة عن مفهومه في العصور الحديثة، فقد كان مفهوم الوطن في القديم ضيقاً يشمل الحي ومحل الإقامة ثم صار يتسع كلما تقدم الزمن، ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء الوطن القبيلة والحي أم الشعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان الوطن مسقط الرأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتهاء وولاء وحب وحنين. ولا يقتصر هذا الحب والحنين على الإنسان بل يشمل الحيوان أيضاً، يقول ابن دريد: «حنين الإبل، نزوعها إلى أوطانها وأولادها»⁽¹⁾، وفي كل هذه المعاني جاء ذكر الوطن في الشعر القديم، ففي الجاهلية قال امرؤ القيس: ⁽²⁾

وما جَبَنْتُ حَيْلِي وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ مَرِيطَهَا مِنْ بَرْبَعِيصَ وَمَيْسِرَا
ويقول عنترة: ⁽³⁾

أَحْرَقْتَنِي نَارُ الْجَوَى وَالْبِعَادِ بَعْدَ فَقْدِ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْلَادِ
ويقول طرفة: ⁽⁴⁾

على موطنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى متى تَعَتَرَكُ فِيهِ الْفَرَائِصُ تَرَعِدُ
وجاء ذكر الوطن في الشعر الإسلامي في شعر عمر بن أبي ربيعة⁽⁵⁾
قد هَاجَ قَلْبُكَ بَعْدَ السَّلَاةِ الْوَطَنِ وَالشَّوْقُ يُجَدِّدُهُ لِلنَّازِحِ الشَّجَنِ
وقوله: ⁽⁶⁾

(1) جمهرة اللغة 1/ 64، تهذيب اللغة 3/ 448.

(2) ديوانه امرؤ القيس ص 70.

(3) ديوانه ص 67، ط دار صادر بيروت 1968.

(4) ديوانه ص 117، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

(5) ديوانه ص 281، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر 1960.

(6) الديوان ص 272.

ذكر البلاط وكل ساكن قرية بعد اهدؤ تبيجُهُ أوطائهُ

وقوله: (١)

إن من تهوى مع الفجر ظعن للهوى والقلبُ مِثْبَاعُ الوطنِ

وقال جميل بن معمر العذري: (٢)

أنا جميل والحجازُ وطني فيه هوى نفسي وفيه شجني

والشعر الذي ذكر الوطن كثير في صدر الإسلام والعصور التالية، ليس القصد عندنا استقصاءه. وكثر ذكر الوطن والحنين إلى الأوطان في التراث الإسلامي، وفي مقدمة ذلك الحديث النبوي: (حب الأوطان من الإيمان) (٣)، وكان الرسول ﷺ محباً لوطنه مكة كثير الحنين إليها، إذا دُكرت كانت عيناه تغرورقان بالدموع شوقاً وحنيناً، وكان يكره خروجه من مكة مضطراً، ويذكرها محباً، يقول في خروجه من مكة مهاجراً: (والله إنك لخير أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجتُ منك ما خرجتُ) (٤)، وكان إذا قدم أحد من مكة إلى المدينة سألَه رسول الله ﷺ عن مكة موطنه ومرتع صباه وكله شوق وحنين، قال الغزولي: «روي أن أبا ن (٥) قدم على رسول الله ﷺ، المدينة، فقال له: يا أبا ن، كيف تركت مكة؟ قال: تركتهم وقد حيدوا، وتركتم الإذخير (٦) وقد أغدق، وتركتم الثمام وقد خاض (٧)،

(١) ديوانه ص 279.

(٢) ديوانه ص 206، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة 1967.

(٣) الأسرار المرفوعة 180، كشف الخفاء للعجلوني 413/1، تذكرة الموضوعات للفتني 11، الدرر المسترة للسيوطي 74.

(٤) سنن الترمذي 3925، مسند أحمد بن حنبل 4/305، سنن الدارمي 2/239، أخبار مكة للأزرقي 2/155، وفضائل مكة للحنس البصري، مجلة كلية الآداب 14/565-566.

(٥) هو أبا ن بن سعيد بن العاص، صحابي من ذوي الشرف، أسلم سنة 7 هـ أرسله الرسول ﷺ سنة 9 هـ عاملاً على البحرين، توفي سنة 13 هـ. الإصابة 10/1، تاريخ الإسلام 1/378، تهذيب ابن عساكر 2/124.

(٦) الإذخير: الحشيش الأخضر، وحشيش طيب الريح. القاموس المحيط: ذخير.

(٧) الثمام: عشب من الفصيلة النجيلية وخاض: أي كثر والتف.

فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وكان شوق النبي ﷺ وحنينه إلى مكة شديداً حتى إنه إذا حُدث عنها يغلبه الشوق فيسأل المتحدث أن يكف، ففي رواية قدوم أصيل الغفاري من مكة وكان النبي ﷺ يسأله: (يا أصيل كيف عهدت مكة؟ قال: والله عهدتها قد اخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق أذخرها، وأسلت ثمامها⁽²⁾، وأمش سَلَمها فقال النبي: حسبك يا أصيل، لا تحزناً⁽³⁾).

والروايات كثيرة في حنين أصحاب رسول الله وآله إلى الأوطان وإلى مكة خاصة، أما الشوق والحنين إلى نجد فقال فيه الشعراء منذ صدر الإسلام وحتى العصر العباسي شعراً كثيراً ذكرناه في موضعه.

كان الوطن عند الجاهلي الأهل والديار، وكل منزل ينزله ويحن إليه، ولما استقرت القبائل في القرى والمدن صار مفهوم الوطن واضحاً هو الأرض والبلد بحدوده وأهله ومغانيه، وصار الشعر يردد أسماء المدن ويتغنى بجمالها ويحن إلى مراعيها، وكثر بعد ذلك الانتساب إلى المدن والاعتزاز بها، والمدن أوطان.

ما قيل في الحنين إلى الأوطان

وقد جاءت أقوال كثيرة وحكم غزيرة في الحنين إلى الأوطان، ومهّد الجاحظ لرسالة الحنين إلى الأوطان بمنتخبات من أقوال الحكماء والأدباء من العرب والعجم في حب الأوطان والتعلق بها والولاء لها، من ذلك مختاراته: "و

كان يقال: أرض الرجل ظئره، وداره مهده، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله، كالثور النّاد عن وطنه، الذي هو لكل رام قنيصة. وقال آخر: الكريم يحن إلى جنابه، كما يحن الأسد إلى غابه.

(1) مطالع البدور في منازل السرور 2/ 292، مطبعة الوطن 1300 هـ.

(2) الشام: نبت، وأسل: نما، والسلم: شجر من الغضاء ورقها القِرْظ الذي يدبغ به، وأمّش: مسح.

(3) أخبار مكة للأزرقي 2/ 155، تحقيق رشدي ملحق، ط2 دار الثقافة، مكة 1965.

(4) رسالة الحنين إلى الأوطان، رسائل الجاحظ 2/ 385-392، وانظر هوامشه.

وقال آخر: تربة الصُّبا تغرس في القلب حُرمةً وحلاوةً، كما تغرس في القلب رِقَّةً وحلاوةً.
 وقال آخر: إذا كان الطائر يحنُّ إلى أوكاره، فالإنسان أحقُّ بالحنين إلى أوطانه.
 وقالت الحكماء: الحنين من رِقَّة القلب، ورِقَّة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشد، وطهارة الرشد من كرم المحتد.

وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الأخوان، قيل فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان^(١).
 وقال آخر: عُسْرُكَ في دارك، أعزُّ لك من يسرك في غُربتك، وانشد:

لَقُرْبُ الدارِ في الإقْطارِ خَيْرٌ من العيشِ الموسعِ في اغْتِرابٍ
 ومما يؤكد حب الأوطان قول الله عز وجل حين ذكر الديار يُخبر عن مواقعها من قلوب عباده، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَتِّلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾^(٣).

وقال عمر رضي الله عنه: عمَّر الله البلدانَ بحبِّ الأوطان.
 وقال آخر: من إمارات العاقل برُّه لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه. وقيل: الغربة كُرْبَة، والقِلَّة ذِلَّة، وقال:

لا ترغبوا إخوتي في غُربة أبداً إنَّ الغريبَ ذليلٌ حيثما كانا
 وقال آخر: يحنُّ الليب إلى وطنه كما يحنُّ النجيب إلى عطنه^(٤).

(١) رسائل الجاحظ 407/2

(٢) النساء 66.

(٣) البقرة 246.

(٤) النجيب من الإبل: الكريم العتيق.

وكل غريب سوف يمسي بذلة إذا بان عن أوطانه وجفا الأهل

وكان حب الأوطان والحنين إلى الأهل والديار مرتبطاً في نفس البدوي بالوفاء وحسن الخلق وكرم الأصل، يقول الغزولي: «إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمائه»⁽¹⁾.

ومن أقوال الأمم الأخرى، قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقّة.

وقالت الهند: حُرمةٌ بلذك عليك مثل حرمة أبويك، لأنّ غذاءك منهما، وغذاءهما منه. والأقوال كثيرة في الحنين إلى الأوطان وذم الغربة وما فيها من مهانة وذلة⁽²⁾.

من ألف في الحنين والغربة وما إليها

كان موضوع الغربة والحنين إلى الأهل والديار والأوطان والشوق للحمى وصور الفراق وآلام الغربة، قد استرعت أذهان كثير من الكتاب والأدباء واهتماماتهم في التراث العربي، فمنهم من أفاض في ذلك فألف كتاباً ومنهم من أوجز فكتب رسالة ضمن كتاب ومنهم من ذكر ذلك عرضاً، وكلهم قد عرف أثر الغربة والحنين والشوق في نفوس العرب والمسلمين على مدى العصور، ونذكر من ذلك ما وقفنا عليه من المطبوع أو المخطوط أو المذكور مما ضاع، وهو غيض من فيض، وما خفي كان أعظم، وأكثر هؤلاء المؤلفين كانوا من أهل القرن الثالث الهجري سواء من علماء الأدب أو اللغة أو الحديث:

1 - حب الوطن لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)⁽³⁾.

(1) مطالع البدور في منازل السرور 2/ 292، ط القاهرة

(2) رسائل الجاحظ، مرجع سابق.

(3) فهرسة ابن خير الأشبيلي ص 385.

- 2- رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ.⁽¹⁾
- 3- الشوق إلى للأوطان لأبي حاتم السجستاني (ت 255 هـ)⁽²⁾.
- 4- حب الأوطان لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر.⁽³⁾
- 5- الحنين إلى الأوطان لموسى بن عيسى الكسروي (ت ق 3 هـ)، وينسب هذا الكتاب للجاحظ.⁽⁴⁾
- 6- الحنين إلى الأوطان لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت 325 هـ)⁽⁵⁾.
- 7- حنين الإبل إلى الأوطان لربيعة البصري.⁽⁶⁾
- 8- الحنين إلى الأوطان، لمحمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت حوالي 330 هـ)⁽⁷⁾.
- 9- كتاب الشوق والفراق، لمحمد بن سهل بن المرزبان، السابق.⁽⁸⁾
- 10- اللقاء والتسليم، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت 336 هـ)⁽⁹⁾.
- 11- الوداع والفراق، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي (ت 354 هـ)⁽¹⁰⁾.
- 12- المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان، للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت 360 هـ)⁽¹¹⁾.
- 13- أدب الغرباء، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 365 هـ)⁽¹²⁾.

-
- (1) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، 2/ 379-412، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.
 - (2) الفهرست ص 64، إنباه الرواة 2/ 62.
 - (3) فهرسة ابن خير الأمشيلي. ص 423.
 - (4) مقدمة المحقق جليل العطية ص 10-12، وقد أفدنا من مراجعه.
 - (5) الفهرست ص 93، إنباه الرواة 3/ 262، الوافي بالوفيات 3/ 62.
 - (6) الفهرست ص 55.
 - (7) طبع بتحقيق جليل العطية، ط عالم الكتب، بيروت 1987.
 - (8) تحقيق جليل العطية، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
 - (9) أدب الكتاب للصولي ص 175.
 - (10) روضة العقلاء لابن حبان ص 114.
 - (11) الفهرست ص 172، بئمة الدهر 3/ 421، الوافي بالوفيات 12/ 65.
 - (12) معجم الأدباء 13/ 96-97، نشر بتحقيق صلاح الدين المنجد، ط دار الكتاب الجديد، بيروت 1972، وذكر بروكلمان هذا الكتاب باسم (كشف الكربة في وصف الغرباء). الأدب العربي، الترجمة العربية 3/ 70.

14- كتاب التسليم والزيارة، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ)، ذكر ابن النديم أنه في أربعمئة ورقة⁽¹⁾.

15- الحنين إلى الأوطان، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت 400 هـ)⁽²⁾.

16- النزوع إلى الأوطان، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت 562 هـ)⁽³⁾.

هذا غير ما جاء من موضوعات تتصل بالشوق والغربة والحنين ضمن فصول في الكتب، وهي كثيرة يتعذر إحصاؤها.

وفي رحاب ما وصل من هذه الكتب والدواوين والرسائل نقف على ما جاء فيها من شعر في ذكر الحنين والغربة والشوق والوداع واللقاء وما إلى ذلك.

معنى الغربة والاعتراب.

إن مقابل كلمة الغربة والاعتراب في اللغة الانجليزية (Alienation) والفرنسية (Alienation)، وأصلهما من الكلمة اللاتينية أليئاتو (Alienatio)، ويشير الاعتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة الاعتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ (detachment) سواء عن الذات أو عن الآخرين⁽⁴⁾. أما الكلمة العربية "غربة" فهي تدل - كما وردت في لسان العرب - على معنى التوى والبعد: فالغريب هو البعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة، والغرباء هم الأبعد، "واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه"، وفي الحديث: (اغتربوا لا تضووا)، وأغرب: صار غريباً، والتغريب النفي عن

(1) الفهرست ص 148. الكتاب له، أو للجاحظ، في ذلك خلاف، ينظر: الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان. السابق.

(2) معجم الأدباء 382/5، الوافي بالوفيات 40/22.

(3) الأنساب 348/2، طبقات السبكي 183/7.

(4) دراسات في سيكولوجية الاعتراب: عبد اللطيف محمد خليفة، ط دار غريب، القاهرة 2003، ص 23.

البلد^(١)، فالكلمة تدل على معنيين: الأول يدل على الغربة المكانية، والثاني يدل على الغربة الاجتماعية.

والغربة أو الاغتراب في المعجمات العربية تدل على النزوح عن الوطن أو البعد والانفصال عن الآخر. وفي شعر المتلمس: ^(٢)

ألا أبلغا أفناء سعد بن مالك رسالة من قد صار في الغُربِ جانبُهُ

واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث: (اغتربوا لا تظنوا) أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة، فيجيء ولده ضاويًا.

فالغربة: النوى والبعد والتنحي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان، وغرب في الأرض وأغرب: إذا أمعن في البعد، وأغرب صار غريبًا، وكثيراً ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أو جوع، أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتواء وعدم الرضى بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيراً ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ النفسي، وكذلك شعوره بافتقار الأمن وسوء العلاقات الاجتماعية وافتقار الطمأنينة^(٣). وصور الاغتراب كثيرة منها: الاغتراب عن الوطن، ومنها الاغتراب داخل الوطن، ومنها الاغتراب عن المجتمع، أو الاغتراب عن الذات، وكل هذه الأنواع مريبة وقاسية ويشعر صاحبها بالألم الوحشة والمرارة، ولعل أفسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أو الفقر والحرمان، ومن أقوال علي بن أبي طالب عليه السلام: «الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن»^(٤).

(1) اللسان: غرب.

(2) اللسان: غرب.

(3) دراسات في سيكولوجية الاغتراب - خليفة ص 45، 140.

(4) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده 4/ 14، ط دار المعرفة بيروت.

مظاهر الغربة

وللغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النفس والاجتماع ، وقد أجملت في خمسة مظاهر أساسية هي: العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، والاغتراب عن الذات⁽¹⁾.

1- العجز Powerlessness:

فأما العجز: فهو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع⁽²⁾. والعجز وفقدان القدرة هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ويتولد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير⁽³⁾.

2- اللامعنى Meaninglessness:

وأما اللامعنى أو فقدان المعنى: فهو توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، كما يقول (سيان)، فالغرد يغترب عندما لا يكون واضحاً لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة.

3- اللامعيارية Normlessness:

وتسمى (الأنوميا)، وهي حالة تصيب المجتمع، أي حالة إنهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وهي كما يقول (سيان): «الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة،

(1) خليفة ص 35 عن ملفن سيان.

(2) خليفة، عبد اللطيف محمد: سيكولوجية الاغتراب، ص 36، وانظر مراجعه.

(3) أحمد النكلاري: الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، ص 121، ط دار الثقافة العربية، القاهرة 1989.

أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعياً، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواباً، وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع⁽¹⁾.

4- العزلة الاجتماعية Social Isolation :

ويراد بها شعور الفرد بالوحدة والفراق النفسي، والافتقار إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وُجدَ بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعايره، وغالباً ما يستخدم هذا المصطلح عند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع، وهؤلاء الذين يجنون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع⁽²⁾.

5- الاغتراب عن الذات Self -- estrangement :

ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف، ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله، ويكون سلبياً عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها، ويشعر أن لا معنى لحياته كما يشعر باغترابه عن ذاته⁽³⁾.

ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية في عدم التكيف وعدم الثقة بالنفس

(1) أحمد التكاوي ص 105.

(2) خليفة، ص 39.

(3) خليفة، ص 40.

والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الاجتماعي، وغياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية، مع ضعف الشعور بالهوية والانتماء وعدم الإحساس بالأمن .

وينظر إلى الاغتراب عن الذات باعتباره اضطراباً نفسياً يتمثل في اضطراب الشخصية الفصامية، ويتسم الشخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية، والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين أو الرقة مع الآخرين، فهناك تشابه بين اغتراب الذات واضطراب الشخصية الفصامية في أنها يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع⁽¹⁾.

الغربة ومظاهرها في الجاهلية

حين يغترب الجاهلي أو يبعد عن أهله ودياره يحن إليها ويتغنى بالشوق إليها، ويبدأ قصائده بذكرها، فما وطن الجاهلي؟ وطن الجاهلي مسقط رأسه، ومكان سكنه وسكن أهله وقومه، وهم جماعة من الناس تربطهم أواصر النسب، وسواء أكان هذا السكن بيتاً من طين أم خيمة أم ربعاً، وكان لكل قبيلة منازلها ومراعيها المحددة التي ترتادها في مختلف فصول العام، «وتكون الأرض التي تحل القبيلة بها (منزلاً) لها، و(منازل) لأبنائها الذين ينزلون بها، يضربون بها خيامهم، فتكون الأرض مضارب لها، تستوطنها وتقيم بها، وتصير وطناً لها، أي دار إقامة، ما دامت تقيم بها»⁽²⁾، وإذا تركت القبيلة أرضها إلى أرض أخرى يبقى الحنين إلى الأرض الأولى، فحين يمر بها يقف عند أطلالها يبكيها ويبكي أهلها، فليس للأرض مكانة دون ساكنيها، وإذا اغترب الجاهلي عن أرضه وأهله كثر حنينه إلى الديار وإن كانت خرائب وأطلالاً، وبقي هذا الشوق والحنين حتى في الإسلام، وقد يتوسع الشعراء في الحنين إلى الوطن ويتعدى هذا الشوق أرض القبيلة فيشمل كل ما حولها، ولذلك كثر الشوق إلى نجد والتغني بها، وبمرباعها وأهلها، ويزداد هذا الحنين

(1) خليفة، ص 81-82.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 4/ 342.

والشوق حين يسكنون القرى والمدن، وخير تعبير عن ذلك أبيات الصمة القشيري (ت 95 هـ) حيث يقول: ^(١)

أقول لصاحبي والعيس تمهوى	بنا بين المنيفة فالضمير
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد	وربما روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحمل الحيّ نجداً	وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا	بأن صافي لمن ولا يرار

ويقيم الجاهلي في أرضه مادام فيها عزيزاً، فإن شعر بالظلم والذلة غادرها رغم اعتزازه بها وحنينه إليها، وقد عبر عن ذلك أوس بن حجر (2 ق هـ) حيث يقول: ^(٢)

أقيم بدار الحزم مادام حزمها	وأحر إذا حالت بأن انحولا
وأستبدل الأمر القوي بغيره	إذا عقد مأفون الرجال تحللا

ويأبى سلمة بن زيد البجلي الضيم ويفضل الغربة فأرض الله واسعة: ^(٣)

لا خير في بلد يضام عزيزه	وعن الهوان مذهب ومنايح
--------------------------	------------------------

وكذلك يرى ربيعة بن مقروم الضبي (ت 16 هـ): ^(٤)

ودار الهوان أنفنا المقام	بها فحللنا محلاً كريماً
--------------------------	-------------------------

(1) حماسة المرزوقي 3/1340، والحماسة البصرية 2/109، وديوانه ص 94 - 95 جمع وتحقيق خالد الجهر، ط جامعة البتراء، عمان 2003.

(2) ديانة ص 69، ط دار الأرقم، بيروت 1996.

(3) حماسة البحتري ص 146، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1999، وينظر تحقيق كمال مصطفى، ط مصر 1925.

(4) السابق نفسه.

وحين يتعرض الشاعر إلى المهانة والخطر يهاجر من بلده هارباً مغترباً على الرغم من اشتياقه لبلده، وهذا ما كان من أمر المتلمس (ت 50 ق هـ) جرير بن عبد المسيح حين لحق بالشام هارباً من الملك عمرو بن هند، يقول: ^(١)

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْهَوَى فَلِذَا نَبَا بِكَ وَدُهِمَ فُلَيْعُودُ
فَلْتَرُكْنَهُمْ بَلِيلِ نَاقَتِي تَلْدُرُ السَّمَاءُ وَتَهْتَدِي بِالْقَرْقَدِ
لِبِلَادِ قَوْمٍ لَا يُرَامُ هَدْيُهُمْ وَهَدْيُ قَوْمٍ آخِرِينَ هُوَ الرَّدْيُ

ويصور عمرو بن هبيرة حال الغريب في غير قومه من الذلة والمهانة، يقول: ^(٢)
أَبَى اللَّهُ لِلْجِيرَانِ إِلَّا مَذْلَةً وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ يَتَذَلُّ
والشاعر الجاهلي عزيز دائماً في قومه، فإذا نأى عن أهله ودياره فهو غريب ذليل مهان، وقد عبر عمرو بن هبيرة عن هذا الهوان في قوله: ^(٣)

وَمَنْ تَكُ فِي غَيْرِ الْعَشِيرَةِ دَارُهُ يُغَضِّبُ فِتْرُدَ غَيْرِ مُرْضَى مَغَاضِبُهُ
يَرَى كُلَّ صَوْتٍ مِنْهُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلَا يُوجِبُوا مِنْهُ الَّذِي هُوَ وَاجِبُهُ
وَيَنْكَرُ عَلَيْهِ إِنْ أَرَابَ بِخَطِيئَةٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَنْكِيرَ مَا هُوَ رَائِبُهُ
وفي معناه يقول هرم بن حيان العبدي: ^(٤)

وَجَدْتُ الْفَتَى مَا كَانَ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ تُنْصِرُ مَظْلُوماً عَلَيْهِ وَظَالِماً

ويفضلون الفاقة في الوطن على العيش الموسع في الغربة: ^(٥)

(1) المنازل والديار ص 255، ديوانه ص 36-37 ط ليبزج.

(2) حماسة البحري ص 155.

(3) حماسة البحري ص 155.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

(5) ديوان المعاني لأبي ملال العسكري 2/ 536، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994.

كَقُرْبِ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ خَيْرٌ مِنْ الْعَيْشِ الْمَوْسِعِ فِي اغْتِرَابِ

وخير من يصور آلام الغربة جيلة بن الأيهم (ت 20 هـ) الذي أنف وهو الملك أن يعتذر لأعرابي ويلطمه مثلما لطمه، فرحل إلى بلاد الروم وتنصر، ولكنه بعد ذلك صار يعاني آلام الغربة ويحن إلى أهله ودياره، وصار يتمني لو عاد وصار رجلاً من عامة الناس يرعي الإبل في البوادي، ويرضى أن يعيش فقيراً في دياره بالشام، أو حتى أسيراً لدى قبيلة عربية، بعيداً عن غربته في بلاد الروم: ⁽¹⁾

تَنْصَرْتُ الْأَشْرَافَ مِنْ عَارٍ لَطْمَةٍ	وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا صَرَزٌ
تَكْنَفْنِي فِيهَا بَجَاجٍ وَنَخْوَةٌ	وَيَعِثُ بِهَا الْعَيْنُ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوَزِ
فِيَالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي	رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَ لِي عُمَرُ
وَيَالَيْتَنِي أَرَعَى الْمَخَاضَ بِقَفْرَةٍ	وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رَيْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَيَالَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ	أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

وكذلك يعبر الأعشى عما يلقاه الغريب من ذلة فهو منتقص مهضوم الحقوق: ⁽²⁾

وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَجِدْ لَهُ	عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالِيهِ مَغْضَبَا
وَيُحْطَمُ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ	مِصَارِعَ مَظْلُومٍ تَجَرَّأَ وَمَسْحَبَا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَىءْ	يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا ⁽³⁾

وفي هذا المعنى يقول أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) حين ارتحل إلى إيسى

حزوى يطلب الغنى، فندم ولم يكسب في غربته إلا الضيم والهوان: ⁽⁴⁾

(1) انظر قصة اسلامه وارتداده وشعره في الأغاني 15 / 161-163.

(2) ديوان الأعشى ص 163، تحقيق محمد محمد حسين، ط 4 مؤسسة الرسالة، بيروت 1983.

(3) كَبْكَب: جبل خلف عرفت.

(4) ديوان المعاني 537/2.

حسبتُ الخَيْرَ يَكْثُرُ في التَّنَائِي فَكَانَ الْخَيْرُ أَكْثَرَ في التَّدَائِي
ذَكَرْتُ مَقَامَنَا بِسَرَاةٍ حَزَوِي فَسَرْتُ مَعَ الْوَسَاوِسِ في عَنَائِي
أَلَا لَهِ حَزْمٌ وَاصْطَبَارٌ تَقَاسَمَهُ بُنَيَاتُ الزَّمَانِ
عَزِيزٌ أَضْمَرْتُهُ نَوَى شَطُونٌ فَظَلُّ مِنَ الْمَهَانَةِ في ضَمَانِ
يُنَاطُ إِلَى الْعَزِيزِ إِذَا تَبَوَّى بِمَنْزِلِ غُرْبَةٍ طَرَفُ الْمَهْوَانِ

وقد تكون الغربة قسرية بأن يقترب المرء جرماً فيهرب مستجيراً بقبيلة أخرى أو يتوارى بين القبائل، فهو ذليل خائف منبوذ، وكذلك كانت حال الشيطان بن الحارث الغساني الذي قتل رجلاً من قومه، وكان المقتول ذا أسرة، فخافهم فلحق بالعراق، وقيل بالحيرة متكرراً، وكان من أهل بيت الملك، فكان يتكفئ الناس نهاره، ويأوي إلى خربة من خراب الحيرة، فبينما هو ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول: ^(١)

لِحَا اللَّهِ صَعْلُوكَا إِذَا نَالَ مَذَقَةً تَوَسَّدَ إِحْدَى سَاعِدِيهِ فَهَوَّ مَا
مَقِيماً بَدَارِ الْمَوْنِ غَيْرِ مُنَاكِرٍ إِذَا ضَمِيمَ أَغْضَى جَفْنَهُ ثُمَّ بَرَّشَمَا ^(٢)
يَلُودُ بِأَذْرَاءِ الْمَثَارِبِ طَامِعاً يَرَى الْمَنْعَ وَالتَّعْيِيسَ مِنْ حَيْثُ يَمَّمَا ^(٣)
يَخْضُنُ بِنَفْسٍ كَدَّرَ الْبُؤْسُ عَيْشَهَا وَجُودُهَا لَوْ صَانَهَا كَانَ أَحْزَمَا
فَذَلِكَ الَّذِي إِنْ عَاشَ عَاشَ بِذُلَّةٍ وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ مَأْتَمَا
بَارِضِكَ فَاعْرُكْ جِلْدَ جَنِيكَ إِنَّنِّي رَأَيْتُ غَرِيبَ الْقَوْمِ لِحْماً مَوْضَمَا

فكأنه نبهه من رقدة، فتوسل بالوصول إلى الملك المنتذر وعرفه بنفسه وقصته فشفع له، وبعث إلى أهل المقتول فأرضاهم عن صاحبهم.

(١) ذيل الأمالي والتوادر 3/ 179.

(٢) برشم: وجع وأظهر الحزن، وحقق بالنظر. اللسان: برشم.

(٣) المثارِب: القلبيلو العطاء.

ومن صور المهانة التي يلقاها الغريب في ديار الآخرين، أن يجبر على تزويج ابنته لمن هم غير أكفاء، وهذا ما حصل لمهلhel سيد تغلب وقائدهم في حرب البسوس، وكان مهلهل ومن معه قد أسروا في حرب وانكسر قومه، فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى قومه، جعل النساء والولدان يسألونه عن الآباء والأزواج، فقال يخبرهم بمقتلهم: ⁽¹⁾

ليس مثلي يُجَبَّرُ الناس عن آ بائهم قُتِلُوا وينسى القتالا
لم أرمِ عَزْصَةَ الكتيبة حتى انـ ستعلّ الوُزْدُ من دمائِ نعالا
غلبونا ولا محالة يوماً يقلبُ الدهرُ ذلك حالاً فحالا

واضطر لذلك أن يترك أرض قومه ويلحق بأرض اليمن، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه، فقال يذكر غربته ومهانتة بعد أن كان عزيزاً قوياً في قومه: ⁽²⁾

انكحها فقدّها الأراقم في جنبٍ وكان الحباء من آدم
لو بأبائين جاء يخطبها ضُرَجَ ما أنفُ خاطبٍ بدم
أصبحتُ لا مُنْفِساً أصبتُ ولا أبْتُ كريماً حُرّاً من الندم
هانّ على تغلبٍ بما لقيتُ أختُ بني المالكين من جُشم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُغنونَ من عيلةٍ ولا عَدَم

وقد تكون غربة الشاعر في فراق الحبيبة حين ترحل ويبقى في غربة عنها ووحشة، هذا عمرو بن معديكّر الزبيدي (ت 21 هـ) طلق زوجته ورحلت عنه ثم ندم وصار يحن إليها ويشعر بغربته في فراقها، فهو يتغزل بها ويحن إليها: ⁽³⁾

(1) الأغاني 5/ 55 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

(2) الأغاني 5/ 56، الأراقم: حي من تغلب، أبانان: جيلان، أبان الأبيض لبني فزارة، وأبان الأسود لبني أسد، المنفس: المال الكثير.

(3) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ص 59، تحقيق مطاع طرايشي، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1985. الغُرب: الغريب، الحزان: ما غلظ من الأرض، يركضها: يضر بها برجله.

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا إذ فارقنك وأمست دارها غربا
مازلت أحيس يوم البنين راحلتي حتى استمرروا وأذرت دمعها سربا
حتى ترفع بالحران يركضها مثل المهاة مَرْتَةُ الرِّيحِ فاضطربا
والغانيات يُقَتِّلْنَ الرجال إذا صَرَجْنَ بالزعفران الرِّيطَ والنَّقْبا
من كُلِّ آنِسَةٍ لم يَغْذُها عَدَمٌ ولا تشدُّ لشيءٍ صوتها صَحْبَا
إنَّ الغواني قد أهلكنني وأرى حِباكُنَّ ضعيفاتِ القُوى كُذْبا
غربة المرأة

ومن صور الشوق إلى الأهل والوطن والبوح بآلام الغربة شعر أسماء المرية صاحبة عامر بن الطفيل، التي تقاسي آلام الغربة لبعدها عن الوطن والحبيب: ^(١)

أيما جبلي وادي عُرَيْعرةَ التي نأت عن نوى قومي وحقَّ قُدومُها
الأخليا مجرى الجُنب لعلَّه يُداوي فؤادي من جَواه نَسِيمُها
وكيف تدايي الرِّيحُ شوقاً مُطاطلاً وعيناً طويلاً بالدموع سُجُومُها
وقولا لركبانٍ تميميةٍ عَدَّتْ إلى البيت ترجوانَ تُحطُّ بِجُرْمِها
بأنَّ بأكنافِ الرِّغامِ غريبةً مؤهَّةً تُكَلِّي طويلاً نَتِيمُها
مُقطَّعةً أحشاؤها من جوى الهوى وتبريح شوقٍ عاكفٍ ما يَريْمُها

وضرب آخر من الغربة، هو ما تحسه المرأة التي تتزوج في غير عشيرتها فتشعر أنها غريبة في قوم غرباء، فتضجر وتتذمر من حياتها بين قوم أغراب، وتحن إلى أهلها وديارها، تقول وجيهة بنت أوس الضبيّة: ^(٢)

(١) أمالي القاضي 197/2.

(٢) الحماسة 141/2، وانظر في هذا الموضوع: الغربة في الشعر الجاهلي، لعبد الرزاق الخشروم، ص 76-80، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982.

وعاذلة تغدو عليّ تلومني
فما لي إن أحببت أرض عشيرتي
فلو أنّ ريحاً بلغت وحيّ مُرسلي
فقلت لها أدّي إليهم تحيّي
فما لي إذا هبت شمال سألتها
على الشوق لم تمح الصباية من قلبي
وأبغضت طرفاء القصيبة من ذنبي
خفيّ لناجيت الجنوب على النقب
ولا تخلطينها طال سَعْدُك بالثرّب
هل ازداد صدّاح النَميرة من قُرب

وامرأة من بني أبان من تميم، زوّجت في كلب، فنظرت ذات يوم إلى ناقة قد حنّت،
فذكرت بلادها وأنشأت تقول: (1)

ألا أيها البكرُ الأبائي أنني
تحنُّ وأبكي ذا الهوى لصباية
وإنّ زماناً أيها البكرُ ضمّني
وإياك في كلبٍ لسرّ زمان
ولأنا على البلوى لمضطجبان
وإياك في كلبٍ لسرّ زمان

قال: ولما حملت نائلة بنت الفرافصة الكلبية إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه كرهت فراق
أهلها، فقالت لضبّ أخيها:

ألسّ ترى بالله يا ضبّ أنني
أما كان في أولاد عوفٍ بن عامرٍ
أبى الله إلا أن أكون غريبة
مرافقةً نحو المدينة أركباً
لك الويل ما يُغني الخباء المطّبا
بيشرب لا أمّاً لديّ ولا أبا

ومثلها ميسون بنت بحدل زوجة معاوية، التي ضاقت بحياة الحاضرة في الشام
واشتاقت إلى أهلها في البادية فقالت أبياتاً فيها حنين إلى أهلها وأرضها، وسمعتها معاوية

(1) رسائل الجاحظ، رسالة الحنين إلى الأوطان 2/ 400، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، 1965.

تنشد الأبيات ووصفته فيها بالعلاج العليف، فقال لها: ما رضىت يا ابنة بحدل حتى جعلتني بالعلاج العليف؟! فالحقني بأهلك. والأبيات هي: (١)

كَيْتٌ تَخْفِقُ الْأَرْوَاحَ فِيهِ	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ قَضِرَ مُنِيفِ
وَيَكْرِيَتَبِعُ الْأَطْعَانَ سَقْباً	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ بَغَلَ زَفُوفِ
وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الطُّرَاقَ عَنِّي	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ قَطَّ الْوَفِ
وَلُبْسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ لُبِسَ الشُّفُوفِ
وَأَكْلُ كُسَيْرَةٍ فِي كِسْرِ بَيْتِي	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَكَلَ الرِّغِيفِ
وَأَصَوَاتُ الرِّيحِ بِكُلِّ فَجٍّ	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ تَفَرَّ الدُّفُوفِ
وَحِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ	أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ عَلَجَ عَلِيفِ
نُحْشُونَةُ عَيْشَتِي فِي الْبَدْوِ أَشْهَى	إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعَيْشِ الطَّرِيفِ
فَمَا أَبْغِي سِوَى وَطْنِي بِدِيلاً	فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطْنٍ شَرِيفِ

وهذه امرأة من بني شيبان تزوجت في بني يشكر، فشعرت أنها غريبة في قوم زوجها فهي تمنُّ إلى أهلها وموطنها، تقول: (٢)

أَصْبَحْتُ فِي آلِ الشَّقِيقِ غَرِيبَةً	عَلَيَّ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ مَعِيبُ
وَلِإِنَّ زَمَاناً رَدَّنِي فِي عَشِيرَتِي	إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ أَرْجُهُ لَحَيْبُ

فسمعها زوجها، فردها إلى قومها.

(1) خزانة الأدب 8/ 505-507 تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الكتب العلمية بيروت 1998.

(2) أشعار النساء، للمرزباني، مخطوط ص 51، المرأة في الشعر الجاهلي، الحوفي ص 175.

وامرأة أخرى تسكن البادية خرج بها زوجها إلى القُفَّين، والقُفُّ واد بالمدينة،
فشعرت بالغبرة في البيئة الجديدة التي تختلف عن حياة البادية، فهي تحن إلى أرضها
وأهلها وكل شيء في باديتهما، تقول: (١)

نظرتُ ودوني القُفُّ ذو النخلِ هل أرى	أجارعَ في آلِ الضُّحى منذرى الأملِ
فيالك من شوقي وجيعٍ ونظرة	ثناها على القُفُّ خَبلاً على الحبلِ
ألا حبّذا ما بين حُزوى وشارعٍ	وأنقاءِ سلمى من حُزونٍ ومن سهلٍ (٢)
لعمري لأصواتِ المكاكيِّ بالضُّحى	وصوتُ صَبَا في حائطِ الرُّمثِ بالدُّخْلِ
وصوتُ شَمالٍ رَعَزَتْ بعدَ هذاةٍ	آلاءِ وأنباطاً وأزطى من الحبلِ
أحبُّ إلينا من صياحِ دجاجةٍ	وديكِ وصوتِ الريحِ في سَعَفِ النَّخْلِ
فياليتَ شِعري هل أبيتَنَ ليلةً	بجُمهورِ حُزوى حيثُ ربتني أهلي

ويستمر شعر الشاعرات في الحنين إلى الأوطان والتذمر من الغربة في البيئات
الحضرية في الإسلام.

(١) أمالي القالي 2/ 31.

(٢) حُزوى: من رمال الدهناء، وشارع: جبل بالدهناء. معجم البلدان.

الفصل الأول

شعر الحنين والغربة في الجاهلية وصدر الإسلام

ومنذ الجاهلية بدأت تتضح ملامح الوطن وتتحدد عند بعض الشعراء، فلم تقتصر على ذكر الديار والأطلال بل صارت تتضح ملامح الأرض وحدودها ومرايعها ومغانبها، يصحب ذكرها الشوق والحنين إليها وإلى أيام الحب والخير والصفاء، ويكثر في شعرهم الحنين إلى الديار، والديار هي الأوطان، فإذا ما بعد الشاعر عن دياره لرحلة أو غزوة، فسرعان ما يملأه الحنين والشوق إلى الديار وساكنيها، وكثيراً ما يُشرك الشاعر ناقته في هذا الشوق والحنين والتذمر من الغربة، فهذا امرؤ القيس حين توجه إلى بلاد الروم كان يحن إلى أهل والوطن، وكلما وصل مدينة أوجاوزها يتقطع كبده حسرة على فراقها يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم: ⁽¹⁾

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرا
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بطنَ قَوْ فَعَرَعرا
كنايئةً بانَتْ وفي الصدرِ وُدُّها
مجاورةً غَسَّانَ والحيَّ يَعْمُرا

ثم يقول:

تَدَغَّرْتُ أهلي الصالحينَ وقد آتَتْ
على حَمَلَى خُوصِ الرِّكابِ وأوجِرا
فلما بدت حورانُ في الآلِ دَوَّها
نظرتَ فلم تنظُرْ بعينيكَ منظرا
تَقَطَّعَ أسبابُ اللَّبانَةِ والهوى
عشيَّةَ جاوزنا حِماةً وشيْزرا

(1) ديوان امرئ القيس ص 56-62.

بَسِيرٍ يَضِجُ الْعَوْدُ مِنْهُ يُنْمُهُ أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلْوِي عَلَى مَنْ تَعَدَّرَا

ويذكر حين صاحبه عمرو بن قميئة وبكاءه لما أيقن بالبعد عن الديار ودخول دار
الغربة ومصيرهما المجهول، ويحكي ما كان بينهما من حوار: ⁽¹⁾

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أننا لا حِصَانٍ بَقَيْنَا
فقلتُ له لا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا تُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَتُعَدَّرَا
وإني زعيمٌ إن رجعتُ مُلْكاً بَسِيرٍ ترى منه الْفُرَانِقُ أَزُورَا ⁽²⁾
لقد أنكرتني بَعْلَبِكَ وَأَهْلُهَا وَلَا بِنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمَصٍ أَنْكَرَا
نَشِيمٌ بِرُوقِ الْمَزْنِ أَيْنَ مَصَابُهُ وَلَا شَيْءٌ يَشْفِي مِنْكَ يَا بَنَةَ عَفْزَرَا
أرى أُمَّ عَمْرٍو دَمْعُهَا قَدْ تَغَيَّرَا وَبَكَاءٌ عَلَى عَمْرٍو وَمَا كَانَ أَصْبَرَا
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الْحِصَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَبْصَرَا

ويذكر أن دهره وقد تغير، فهو لا يلقى ما يسره ويفرُّ عينه، وشعوره هذا بسبب ما
يلقاه في سفره وغربته، وإنكار الناس له فقد حلَّ في غير أهله ودياره:

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدُّتُ آخِرَا
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَصَاحِبُ صَاحِباً مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

وفي غربته وبعد خيبته ورجوعه من بلاد الروم، يرى قبر امرأة من أبناء الملوك
ماتت هناك فَدُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَسِيبٌ، فسأل عنها فَأُخْبِرَ بِقَصَّتِهَا، فقال يذكر
غربته وإياها: ⁽³⁾

(1) الديوان ص 65-69.

(2) الفرائق: الصاحب والدليل.

(3) ديوان امرئ القيس ص 357، الأغاني 9/ 119.

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبٌ

قيل: ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك.

أما حاتم الطائي (ت 46 ق هـ) فقد عبر عن هذه الأشواق والأحاسيس وعن
وجدته بأجبال طيء، وهو قافل من ديار حبيته ماوية بقوله: ⁽¹⁾

حَنَنْتُ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالِ طِيٍّ وَحَنَنْتُ قَلُوصِي أَنْ رَأَتْ سَوْطَ أَحْمَرَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الطَّرِيقَ أَمَامَنَا وَإِنَّا لَمُحِيو زَيْنَعْنَا إِنْ تَبَسَّرَا
فِيَارَاكِبِي عَلَيَا جَدِيلَةً إِنَّمَا تُسَامَانِ هَئِنَا مُسْتَبِينَا فَنُظْطَرَا
لَشِعْبٍ مِنَ الرِّبَانِ أَمْلِكُ بَابَهُ أَنَادِي بِهِ آلَ الْكَبِيرِ وَجَعْفَرَا⁽²⁾
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَطِيبِ رَأَيْتُهُ إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا تَبَدَّلَ مُنْكَرَا
تَنَادِي إِلَى جَارَاتِهَا أَنْ حَائِمًا أَرَاهُ لَعَمْرِي بَعْدَنَا قَدْ تَغَيَّرَا
تَغَيَّرْتُ إِنِّي غَيْرَ آتٍ لَرَيْبَةٍ وَلَا قَائِلٍ يَوْمًا لَذِي الْعُرْفِ مُنْكَرَا

والشاعر حين يبتعد عن أهله ووطنه يشعر أنه غريب لا يستطيع أن يتلائم مع البيئة
التي نزلها والناس حوله غير الناس، فهو ذليل مهان وإن لم يذله أحد، ولم يجاوز الحق من
قال: «الغربة كربة، والقلة ذلة» ⁽³⁾.

والمرء عزيز في قومه، فإذا فارق واغترب عاش المهانة والذل، وقديماً قالت أعرابية: «إذا
كنت في غير أهلِكَ، فلا تنس نصيكَ من الدُّل، وبهذا المعنى قال الشاعر خالد بن نضلة:»⁽⁴⁾

لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلُّ مَرْكَبٍ

(1) ديوان حاتم الطائي ص 107-108، بعناية حنا نصر الحثي، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

(2) أنادي: أجالس، من الندوة، مجتمع القوم.

(3) رسائل الجاحظ 2/ 390.

(4) رسائل الجاحظ 2/ 391-392، الحيوان 3/ 103، الحماسة بشرح المازني ص 358.

إذا كنت في قومٍ عدئٍ لست منهم فكل ما علفت من خبيثٍ وطيبٍ

وقد عبّر شاعر آخر عن ضيقه وكآبته في دار الغربة: ⁽¹⁾

وأنزني طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيتُ امرأ لا أشاكلهُ
فحامقته حتى يُقال سجيّة ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقِلهُ
ولو كنتُ في قومي وجُلّ عشيرتي لألفيتُ فيهم كلّ خزيٍّ أو أصِلهُ ⁽²⁾

وكثيراً ما يغترب المرء سعيّاً وراء الرزق وطلباً للمعاش والغنى، ولكن كل ما يدرك من المال والغنى لا يساوي لحظة يقال له إنك غريب، فالغربة سوءة وذل، وهذا ما أراده الشاعر في قوله: ⁽³⁾

وإن اغتراب المرء من غير خُلّة ولا همّة يسمو بها لعجيبٌ
وحسبُ الفتى ذلاً وإن أدرك الغنى ونال ثراءً أن يُقال غريبٌ

والشاعر الجاهلي يحنّ أبداً إلى وطنه وأهله وإن كان لصاً خارباً ⁽⁴⁾، فهذا أبو الطمحان القيني (ت 30 هـ) ينزل على الزبير بن عبد المطلب بمكة فيكرمه ويستبقيه معه، ولكنه يحنّ إلى أهله ودياره، ويقول أبياتاً تصور حنينه وحنين ناقتة إلى دياره وهي وطنه، قال المدائني ⁽⁵⁾: «ونزل أبو الطمحان القيني على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم،

(1) رسائل الجاحظ 2/405، ابن المرزبان ص 67، البيان والتبيين 2/235، عيون الأخبار 3/24، المجموع اللفي ص

406، المنازل والديار ص 332، بهجة المجالس 1/234، معجم الأدباء 1/241 و 6/2408 ونسبت للشافعي خطأ

في ديوانه ص 107، وقد تمثل الشافعي بهذه الأبيات .

(2) ويروي : لألفيت في قومي كرياً أفاصله .

(3) ابن المرزبان ص 67، المحاسن والأضداد ص 122، رحلة ابن معصوم ص 150، الظرائف واللطائف ص 173.

(4) الخارب: السارق واللص.

(5) الأغاني 13/15 - 16.

وكانت العرب تنزل عليه، فطال مقامه لديه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله، وشكا إليه شوقاً إليهم، فلم يأذن له، وسأله المقام، فأقام عنده مدة، ثم أتاه فقال له:

ألا حنَّت المرقأل وانتَبَّ رُبها تذكَّرْ أوطاناً وأذكرْ معشري⁽¹⁾
ولو عرفت صَرْفَ البيوع لسَرَّها بمكَّة أن تبتاعَ خَمْصاً بإذخري⁽²⁾
أسركِ لو أنَّا بجَبْبي عُنيزة وخمضي وضميرانِ الجصابِ وصَعَّري
إذا شاء راعيها استقى من وقية كعينِ الغرابِ صفوها لم يُكْدرِ

فلما أنشده إياها أذن له فانصرف، وكان نديماً له.

وحين يبعد المرء عن دياره وأهله ويكون غريباً في غير بلاده يشعر بالهوان والذلة ويتمنى العودة للوطن وهذا أحد الغرباء يشتاق إلى وطنه ويتمنى العودة إليه: ⁽³⁾

ألا ليت شعري والحوادثُ جمةً متى تجمعُ الأيامُ يوماً لنا الشملا
وكلُّ غريبٍ سوفَ يُمسي بذلةٍ إذا بانَ عن أوطانه وجفا الأهلا

والشعر الجاهلي يحفل بذكر الحنين إلى الوطن وكره الغربة، ويشرك الشاعر ناقته في حنينه إلى الأهل والحمى، فهي تحن كحنينه وإن اختلفت جهة الحنين فكل منهما يفرض إلى أهله وأحبابه، يقول شاعر من بني كلاب: ⁽⁴⁾

فمن يك لم يغرَضْ فلمَّني وناقتي بحَجري إلى أهل الحمى غَرَضانِ
أليفا هوئى مثلان في سرِّ بيننا ولكننا في الجهرِ مختلفانِ

(1) المرقال: اسم ناقة أبي الطمحان، وأصل الإرقال ضرب من العدو فوق الخب، اتب ربه: تها صاحبها للذهاب وتجهز.

(2) الأذخر من نبات المدن والحمض من نبات البادية، أي لسر ناقته أن تنتقل إلى البادية أرضها.

(3) رسائل الجاحظ 404/2.

(4) الكامل 46-47، ويروى هذا الشعر مع خلاف لعروة بن حزام في نوادر القالي 158/3 - 159، وانظر رغبة الأمل

للمرصفي / 135.

تَحْنُ قُتْبِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأَخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لِقَضَائِي
هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقُدَّامِي الْهَوَى وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لِمُخْتَلِفَانِ
هَوَايَ أَمَامِي لَيْسَ خَلْفِي مُعَرَّجٌ وَشَوْقُ قَلْوَصِي فِي الْغُدُوِّ يَمَانِي
هَوَايَ عِرَاقِي وَتَنْتَنِي زِمَامُهَا لَبْرِقِ إِذَا لَاحَ النُّجُومُ يَمَانِي
مَتَى تَجْمَعِي شَوْقِي شَوْقَكَ تَضْلَعِي وَمَالِكَ بِالْعَبَاءِ الثَّقِيلِ يَدَانِي

أما عنتره العبسي فيتغنى بأرض الشَّرْبَةِ شعبها وواديها، وهو في طريقه إلى العراق في طلب النوق العصفارية مهراً لعبلة، فهو نحن إلى أرض الشربة وإلى أهلها وتبيح أشواقه البروق وريح الأرض بنباتها الزاهي الأرج: (1)

أَرْضُ الشَّرْبَةِ شَعْبٌ وَوَادِي رَحَلْتُ وَأَهْلَهَا فِي فَوَادِي (2)
يَحْلُونُ فِيهِ وَفِي نَاطِرِي وَإِنْ أَبْعَدُوا فِي عَمَلِ السَّوَادِ (3)
إِذَا خَفَقَ الْبَرْقُ مِنْ حَيْثُهم أَرَقْتُ وَبِتُّ حَلِيفَ الشُّهَادِ
وَرِيحُ الْحَزَامَى يُذَكِّرُ أَنْفِي نَسِيمَ عَذَارَى وَذَاتِ الْإِبَادِي

ويحني إلى الحبيبة ويتمنى خيالها:

أَيَا عَبْلُ مُنِّي بِطِيفِ الْخِيَالِ عَلَى الْمُسْتَهَامِ وَطِيبِ الرِّقَادِ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكَ تَحْيَا بِهَا حُشَاةُ مَيْتِ الْجَفَا وَالْبِعَادِ

ويصف عنتره هذا الوطن، أرض الشربة، وطيب أرضها، وعذب نسيمها، وأحبابه

الذين سكنوها: (4)

(1) ديوان عنتره ص 43، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995.

(2) الشربة: موضع بين السليلة والريذة، وقيل: إذا جاوزت النفرة وملوان تريد مكة، وقعت في الشربة. معجم البلدان: الشربة.

(3) محل السواد: يريد سواد العين.

(4) الديوان ص 69.

أَرْضُ الشَّرْبَةِ تُرْبُهَا كَالْعَنَبِ ونَسِيمُهَا يَسْرِي بِمَسْكِ أَذْقِرِ
وَقَبَائِهَا تَحْوِي بُدُوراً طُلَعاً من كُلِّ فَاتِنَةٍ بِطَرْفِ أَحُورِ

ويذكر أيامه السعيدة في هذا الوطن الحبيب أيام كان فتى ينعم بخير هذا الوطن وخيره وجماله، وهو يسقي أرض وطنه بدموعه إذا ضن السحاب ولم يسق أرضه: ⁽¹⁾

يا منزلاً أدمعي تجري عليه إذا ضَنَّ السحابُ على الأطلالِ بالمطرِ
أَرْضُ الشَّرْبَةِ كم قَضَيْتُ مُبْتَهِجاً فيها مع الغيدِ والأترابِ من وَطَرِ
أَيَّامَ غُضُنْ شَبَابِي فِي نُعُومَتِهِ أَلْهَوْتُ بِمَا فِيهِ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ ثَمَرِ

وحب الأوطان عميق في نفس عنتره فهو مقرون بحب الأولاد، والحنين إليه كحنينه إلى الأولاد، والوطن مقرون بحب الحبيبة عبله: ⁽²⁾

أَحْرَقْتَنِي نَارُ الْجَوَى وَالْبِعَادِ بَعْدَ فَقْدِ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْلَادِ
شَابَ رَأْسِي فَصَارَ أَبْيَضَ لَوْناً بَعْدَ مَا كَانَ حَالِكَاً بِالسَّوَادِ
وَتَذَكَّرْتُ عِبْلَةَ يَوْمَ جَاءَتْ لَوْدَاعِي وَالْهَمُّ وَالْوَجْدُ بَادِي
وَهِيَ تُذْهِرُنِي مِنْ خِيفَةِ الْبُعْدِ دَمْعاً مُسْتَهْلاً بِلَوْعَةٍ وَسُهِادِ

ويمر عمرو بن قميئة (ت 85 ق هـ) ومعه ابنته بأرض أهلها عند جبل سائيدما، وتسأله عن الأرض والوطن، وهذا الوطن الذي تحن إليه هو وطنها ووطن أخوالها وأعمامها، ويحن هو إلى وطنه وأهلها ولكنه يضمّر هذا الحنين ويجعل ابنته هي التي تحن، وهل يلومها أحد على هذا الحنين ؟! ⁽³⁾

(1) ديوانه ص 69.

(2) ديوان عنتره ص 54.

(3) شعراء النصرانية قبل الإسلام ص 295.

قد سألتني بنتُ عمرو عن الأثر
لما رأته سائداً ما استعبرت
تذكرت أرضاً بها أهلها
ضين إذ تُنكرُ أعلامها
لله دُرُّ اليوم مَنْ لامها⁽¹⁾
أخوالها فيها وأعلامها

وظل حنين الأعراب إلى الأوطان حنين الإبل إلى أعطانها، فهم في شوق دائم إلى الأرض التي نشأوا بها، وفيها ملاعب صباهم ومرابع أهلهم، فإذا ذكروا ديارهم فاضت أعينهم بالدموع، يقول أحد الأعراب: ⁽²⁾

إذا ما ذكرتُ الثغرَ فاضت مدامعي
وأضحى فؤادي مُنبّةً للهاهم⁽³⁾
حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربِي
وحلّت بها عني عُقودُ التّمامِ
والطفُ قومٍ بالفتى أهلُ أرضِهِ
وأرعاهم للمرءِ حقّ التقادمِ

ويحن الشاعر إلى أرضه وأحبابه، ويتمنى أن يستقي شربة ماء شربت منه حبيبته، وأن يلصق كبده بتلك الأرض الحبيبة إلى نفسه فهي الحب وهي الوطن، يقول نبهان بن عكّي العشمي: ⁽⁴⁾

يقرُّ بعيني أن أرى مَنْ مكأثهِ
دُرّ عَقَدَاتِ الأبرقِ المتقاوِدِ⁽⁵⁾
وأن أَرِدَ الماءَ الذي شَرِبْتُ به
سُلَيْمَى وَقَد مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاحِدِ⁽⁶⁾
وَأَلِصِقُ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهَا
وإنْ كان مَخْلُوطاً بِسُمِّ الأَسَاوِدِ

(1) سائداً: جبل بين ميفارقين وسعرت. (ياقوت: معجم البلدان سائداً).

(2) رسائل الجاحظ 2/ 384، ابن المرزبان ص 43 - 44، المحاسن والمساوى للبيهقي 1/ 491، المحاسن والأضداد ص 121، حلية المحاضرة للحاتمي 1/ 390، زهر الآداب ص 684.

(3) الهاهم: الهواجس والكلام الخفي.

(4) رسائل الجاحظ 2/ 384، الكامل للمبرد ص 31، ابن المرزبان ص 36، زهر الآداب 940 ونسبت إلى حليلة الحضرة، أمالي الفاي 1/ 63، عيون الأخبار 4/ 138، سمط الآلي ص 236.

(5) الأبرق المتقاود: المتراكم من الرمل وفيه استطالة.

(6) الواحد: السريع الخطو.

والشوق إلى الوطن يحتل مكانة كبيرة في شعر الشعراء، وقلما يخلو منه شعر شاعر وخاصة في العصور الجاهلية والأموية، فهذا الشاعر يشفق إلى أهله ويحن إلى دياره، وعنده أن لقاء أحبابه أطيب من العسل بقاء المزن البارد: ⁽¹⁾

ألا يا حَبْذا وطني وأهلي وصحي حين يُذَكِّرُ الصُّحَابُ
بلاذ من غطارفه كرام بهم خلا تميمي الشبابُ
وما عسلُ بياردٍ ماءٍ مُزِنٍ على ظمأٍ لشاربه يُشَابُ
بأشهى من لقائكم إلينا فكيف لنا به ومتى الإيابُ

ويشتاق الأعرابي إلى أرضه ووطنه ويحن إليه، ويذكر أنه ما من غريب إلا ويشفق إلى وطنه ويحن إليه، فهو يُبَلِّغُ ما يحب من أرضه السلام وخاصة جبل قطن: ⁽²⁾

سَلِّمْ على قَطْنٍ إن كنتَ تالِفةُ سلامٍ من يهوى مرَّةً قَطْنَا
أُجِبْهُ والذي أرسى قواعدهُ حُبًّا إذا ظهرت آيأتهُ بَطْنَا
يا ليتَهُ لا نرىمُ الدهرَ ساحتَهُ وليتَهُ حيثُ سرنا غُرْبَةً معنا
ما من غريبٍ وإن أبدى نجلدهُ إلا سيذكرُ بعد الغُرْبَةِ الوطنَا

(1) رسائل الجاحظ 2/400، ابن المزيان ص 47.

(2) التنازل والديار ص 219، الزهرة ص 269 ط الأباء اليسوعيين، بيروت 1932 معجم البلدان: قطن، تحرير التعبير

غربة واغتراب الصعاليك

الغربة والاغتراب في المجتمعات كافة نتيجة طبيعية لتكوّن المجتمع من ثنائيات قسرية، فهناك أغنياء وفقراء، وضعفاء وأقوياء، وسادة وعبيد، والحواجز بين فئات المجتمع قاسية، ومن كان ذا إحساس مرهف وشاعرية، يجد الوحشة والوحدة القاسية في وطنه أو قبيلته، ومن ثم يكون الانفصام عن المجتمع، ومن الغربة ما تكون بسبب من تسلط نظام الحكم، أو غربة النفي والسجن، أو غربة اللون والجنس، أو غربة الفقر والسعي لكسب العيش، فيكون الاغتراب للتخلص من كل هذه القيود، فالغربة في الوطن، والغربة أو الاغتراب خارج الوطن. والغربة داخل الوطن أقصى أنواع الغربة فالمغترب يقاسي من العزلة والتمزق والوحشة، وتزداد لوعة وألماً عند المفكرين والشعراء المرهفين.

وقد كان الصعاليك نتاجاً لخروجهم على أعراف القبيلة وتقاليدها وتسلطها، وكان كثير منهم من خلع وطُرد بسبب جنایاتهم وخروجهم على النظام القبلي، ومنهم كان يعيش الغربة داخل قبيلته ورضي بالعبودية، حرصاً على أهله وبناته من الذل والفقر إذا هجر القبيلة وتحرر من ظلمها، وذلك ما كان من حال سحيم عبد بني الحسحاس الذي يقول:⁽¹⁾

لقد زاد الحياة إليّ حُبّاً بناتي إئْتَنَّ من الضعافِ
خافة أن يدُقَّنَ البؤسُ بعدي وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعدَ صافِ
وأن يعرِّينَ إنْ كُسيَ الجوارِي فتنبوا العينُ عن كرمِ عجافِ

لقد عاش الصعاليك حياة خوف وفزع ووحشة واغتراب، يجوبون القفار وأيديهم على سيوفهم خوف الغارة والغدر ووحشة الصحراء، محرومون من الألفة والأمن لا

(1) ديوان سحيم ص 57، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1950.

أهل ولا أنيس غير حيوان البر، وإذا كانوا قد حرموا من أنس الناس فهم يالفون وحش الصحراء ويعوضون وحشتهم يالف الحيوان، وقد عبر عبيد بن أيوب العنبري عن غربته وتعويض وحش البر عن الأهل والديار: ⁽¹⁾

أَذِقَنِي طَعْمَ الْأَمْنِ أَوْ سَلْ حَقِيقَةَ عَلِيٍّ، فَإِنْ قَامَتْ فَفَصِّلْ بَنَانِيَا
خَسَتْ فَوَادِي فَاسْتَطِيرَ فَأَصْبَحْتُ تَرَامِي بِهِ الْبَيْدُ الْفَفَاؤُ تَرَامِيَا
كَأَنِّي وَاجَالَ الظَّبَاءَ بِقَفْرَةٍ لَنَا نَسَبُ تَرْعَاهُ أَصْبَحَ دَانِيَا
رَأَيْتُ ضَيْئِلَ الشَّخْصِ يَظْهَرُ مَرَّةً وَيَخْفَى مِرَاراً ضَامِرَ الْجَسْمِ عَارِيَا
فَأَجْفَلَنْ نَفَرًا ثُمَّ قُلْنِ: ابْنُ بَلَدَةٍ قَلِيلُ الْأَذَى أَمْسَى لَكُنَّ مُصَافِيَا

ويخاطب الظباء ويحاورهن ويقص لهن أفعاله وسيرته على أنه واحد من هذا الجمع، فقد عاش عيشتهم، وأكل من طعامهم، وعرف الخوف والقتل والقتال منذ كان ابن عشرين: ⁽²⁾

أَلَا يَا ظَبَاءَ الرَّمْلِ أَحْسَنَ صُحْبَتِي وَأَخْفَيْنِي إِنْ كَانَ يَخْفَى مَكَانِيَا
أَكَلْتُ عُروْقَ الشَّرْيِ مَعَكُنَّ وَالتَوَى بِحَلْقِي نَوْرُ الْقَفْرِ حَتَّى وَرَانِيَا ⁽³⁾
وَبِتُّ ضَجِيعَ الْأَسْوَدِ الْجَوْنِ بِالْغَضَا كَثِيراً وَأَثْنَاءَ الْحَشَاشِ وَسَادِيَا
فَقَدْ لَاقَتِ الْغَزْلَانُ مِنِّي بِكَيْسَةٍ وَقَدْ لَاقَتِ الْغِيلَانُ مِنِّي الدَّوَاهِيَا
وَمِنْهُنَّ قَدْ لَاقِيَتْ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ جَبَاناً إِذَا هَوُلُ الْجَبَانِ اعْتَرَانِيَا
فَمَا زِلْتُ مُذْ كُنْتُ ابْنَ عَشْرِينَ حِجَّةً أَخَا الْحَرْبِ مَجْنِيّاً عَلَيْهِ وَجَانِيَا

(1) أشعار اللصوص ص 164.

(2) أشعار اللصوص ص 165.

(3) الشَّري: الحنظل، أو شجره.

ويصف تأبط شرّاً حياة الصعلوك وما يقاسيه من تشرد وغربة ومغامرة دائمة في الصحاري بين الوحش، حيث الجوع والخوف وتوقع الموت في كل حين، يقول: ⁽¹⁾

قليل أدخار الزاد إلا تعلّة وقد نَشَزَ الشُّرُوفُ والتَصَقَ المعى ⁽²⁾
 بيتُ بمغنى الوحش حتى ألفته ويُضْبِحُ لا يحمي لها الدهرَ مرتعا
 على غِرّةٍ أو جهرةٍ من مكائسٍ أطالَ نزالَ الموتِ حتى تَسْغَسَعَا ⁽³⁾
 راينَ فتى لا صيدٌ وحشٍ يُهمُّه فلو صافحتَ إنساً لصافحتهُ معا
 ولكنّ أربابَ المخاضِ يشفُّهم إذا اقتفروهُ واحداً أو مُشيعاً ⁽⁴⁾
 وكيف أظنُّ الموتَ في الحيّ أو أرى الدُّ وأُحرى أو أبيتُ مُقنّعا
 ولستُ أبيتُ الدهرَ إلا على فتى أَسْلُبُهُ أو أذعُرُ السَّرْبَ أجمعا ⁽⁵⁾
 وإني - ولا علمٌ - لأعلمُ أنني سألقى سنانَ الموتِ يبرُقُ أصلعا
 ومن يُغرَ بالأبطالِ لا بُدَّ أنه سيلقى بهم من مَضَرَعِ الموتِ مَضَرعا ⁽⁶⁾

وقد عاش الصعاليك في الصحاري مع الوحش وألفتهم الوحوش وألفوها، وأنسوا بها وفضلوها على بني جلدتهم الذين يطاردونهم، يقول عبيد بن أيوب: ⁽⁷⁾

- (1) ديوان تأبط شرّاً وأخباره ص 115—119، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ط دار الغرب الإسلامي 1984.
- (2) التعلّة: القليل من الطعام الذي يتعلل به ويسد به الرمق، الشرسوف: أحد أطراف أضلاع الصدر، التصق المعى: من شدة الجوع، أي انطواء البطن وضموها.
- (3) المكائس من الظباء الملازم لكناسه، وهو الموضع في الشجر الذي يكتن فيه ويستتر. تسعسع: فني وذهب، أي أن الشاعر قد فني عمره وذهب شبابه وهو يطيل نزال الموت.
- (4) أرباب المخاض: أصحاب النوق الحوامل، يشفهم: يهزلهم، مشيعاً: له شيعة من صحبه.
- (5) يقول في البيتين: كيف أظن أنني أموت في الحي قاعداً ولست أبيت دائماً إلا مطارداً لفتى أسلبه سلاحه ومتاعه، أو مغيراً على إبل لقوم أذعروا وأسوقها غنية.
- (6) من يغر: أي يولع بمصارعة الأبطال فيصرعهم، لا بد له من يوم يصرع فيه.
- (7) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 134.

وحالفتُ الوحوشَ وحالفتني بقُزْبِ عهودهنَّ وبالبعادِ
وأَمسى الذئبُ يرصُّدني مخشاً لخِفَّةِ ضربتي ولضعفِ آدي^(١)
وغولا قفرةً ذكراً وأنثى كأنَّ عليهما قطعَ الجِدادِ

ويخرج الشنفرى - حين ينكره قومه - إلى الصحراء مغترباً ويدعو أمثاله من الصعاليك إلى الخروج، ويجد في وحوش البوادي عَوْضاً عن الأهل، فهم الأهل والرفيق، يأمن بينهم من شرور أعدائه: ⁽²⁾

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فلمني إلى قومِ سواكم لأميلُ
فقد حُمّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقَمَّرٌ وشُدَّتْ لطِيَّاتُ مطايا وأرحلُ
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى وفيها لمن خافَ القلى مُتَعَزِّلُ
لعمركَ ما بالأرضِ ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولي دونكم أهلونَ سِنْدٌ عَمَلَسٌ وأرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جِنَالُ⁽³⁾
هم الرهط لا مستودعُ السرِّ شائعُ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُحَذَّلُ

ويأنس الأَخِينِمُ السعدي بالوحش لطول ألفته، ويتطير من صوت الإنسان: ⁽⁴⁾
عوى الذئبِ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصوتُ إنسانٍ فكذتُ أطيُرُ
رأى الله أني للأنيسِ لشائئٌ وتبغضهم لي مقلَّةٌ وضميرُ

ويعلل كرهه للناس بسبب تفاوت الناس في الرزق، فأهل الثراء كثير فيضطر أن يغزو ليكون له مال، ويأنف أن يسأل لثام الناس:

(1) المخش: الجري. الأذ: القوة والأيد.

(2) ديوان الشنفرى ص 66-67.

(3) سيد عَمَلَس: الذئب الخفيف. الأرقط: النمر. الزهلول: الخفيف اللحم. العرفاء: الضيع. الجيالن: اسم من أسماء الضيع.

(4) الشعر والشعراء ص 495.

وإني لأستحي نفسي أن أرى أمراً بجبل ليس فيه بعير
وأن أسأل العبد اللئيم بعيره ويُعران ربي في البلاد كثير

وفلسفة الصعاليك أن يعيش أحدهم في الصحراء العريضة يعترض القوافل مقاتلاً وغنائماً ومتحدياً الفقر بسلاحه، ولا يقعد في دار الفقر والمذلة، يقول أبو النشاش:⁽¹⁾

وسائلة أين ارتحالي وسائل
مذاهبه أن الفجاج عريضة
إذا المرء لم يسرخ سواماً ولم يُرخ
فللموت خير للفتى من قعوده
ودوية فقر يحار بها القطا
ليذكر ثاراً أوليكسب مغناً
فلم أر مثل الفقير ضاجعة الفتى
فعيش مغزراً أو مت كريماً فلأنني
ومن يسأل الصُّغْلوك أين مذهبُه
إذا ضنَّ عنه بالنوال أقاربه
سواماً ولم ييسط له الوجه صاحبه
عدياً ومن مولى تُعاف مشاربه
سرت بأبي النشاش فيها ركائبه⁽²⁾
ألا إن هذا الدهر ترى عجائبه
ولا كسواد الليل أخفق طالبه
أرى الموت لا يبقى على من يطالبه

ويحث عروة بن الورد أصحابه على المغامرة وطلب الرزق الكريم بالسيف فلا يكون عالة على غيره من ذوي قرياه، ولا يقبل الذل، وخير له أن يسير في فجاج الأرض لطلب الغنى أو الموت الكريم:⁽³⁾

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه
وصار على الأدين كلاً وأوشكت
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر
صلات ذوي القرى له أن تنكرا

(1) الأغاني 12/ 201-202.

(2) الدوية: المغازة، وهي الصحراء الواسعة.

(3) ديوان عروة بن الورد شرح ابن السكيت ص 61-62، بعناية راجي الأسمر، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

وما طالب الحاجات من كل وجهة
فيسر في بلاد الله والتوس الغنى
من الناس الأمان أجد وشمرا
تعش ذيسار أوتموت فتغذرا

وحياة الصعاليك حياة غربة وتشرد وضياح وخوف، يتوقع الموت في كل حين فهو، مع

جرأته خائف حذر، وهو وحش حائر مذعور يترقب الشر في كل حين، يقول عبيد بن أيوب: ^(١)

لقد خفت حتى لو تمر حمامة
وخفت خليلي ذا الصفاء وربني
لقلت عدو أو طليعة معشر
فأصبحت كالوحشي يتبع ما خلا
وقيل فلان أو فلانة فاحذر
وإذا قيل خير قلت هذي خديعة
ويترك ما نوس البلاد المدعثر ^(٢)
وإن قيل شر قلت: حق فشمّر

ومها حاول الصعلوك أن يخفف من آلام الغربة بالانسجام في حياة الصحراء، وما في

الصحراء، فإنه يحن أبداً إلى الأهل والوطن، وتزداد آلام الغربة كلما تذكر الزوجة أو الحبيبة،

وعاش في خياله بين الأهل والديار، فهذا الخطيم المحرزي (ت 100 هـ) يتمنى حياة الماضي

السعيد في ربوع الوطن، وقد بدأ قصيدته يستعطف قومه وهو مسجون بنجران: ^(٣)

أبت لي سغد أن أضام ومالك
وإن أدع في القيسية الشم يأتي
وحي الرباب والقبائل من عمرو
قروم تسامى كلهم باذخ القدر

ويذكر حنينه وشوقه إلى الأهل والديار:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
وهل أبيت روض القطا غير خائف
بأعلى بلي ذي السلام وذو السدر
وهل أبيت روض القطا غير خائف
وهل أسمع يوماً بكاء حمامة
تنادي حماماً في ذرى تنضب خضر

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 142.

(2) المدعثر: الخصب والخير.

(3) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 58-59.

وهل أَرَيْنَ يوماً جِيادِي أَقوْدُهَا بذاتِ الشَّقَوِي أَوْ بَأَنقَائِهَا العُفْرِ

ولم يعد شعرا الصعاليك الذين أدركوا الإسلام من تأثر شعرهم بالإسلام،
والإنابة إلى الله في وقت المحنة، وحين يستشعرون المنية وقرب الأجل، فهذا عبيد بن
أيوب يسأل الله تعالى المغفرة: (1)

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا	أَيْمَانَهُمْ إِنِّي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيُحْلِفُونَ عَلَى عِمَاءٍ وَيُحْثُهُمْ	مَا عَلَّمَهُمْ بِعَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارٍ
إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةً	وَمِنَّةً مِنْ قَوَامِ الدِّينِ جَبَّارٍ
وَمَا أَخَافُ هَلَاكَ بَيْنَ عَفْوِهَا	وَمَا يَفُوتُهَا الْمُسْتَوْهَلُ السَّارِي
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يَتْرُكُنِي	صَحْبِي رَهِينَةً تُزْبِ بَيْنَ أَحْجَارِ
فَرْدًا بِرَأْيِي أَوْ وَسْطَ مَقْبَرَةٍ	تَسْفِي عَلَيَّ رِيَاحُ الْبَارِحِ الذَّارِي

ويسأل ربه العفو والغفران عما قدم من أعمال يوم لم يكن له عقل ولا دين: (2)

يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجَلِيلٍ	كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّاسِ مَجْنُونُ
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً	أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ

وحين تضيق الحياة بالصعلوك أو اللص يلجأ إلى الله ويطلب العون والمغفرة،
وكانت هذه حال جحدر بن معاوية المحرزي (ت حوالي 90 هـ) حين كان سجيناً في
سجن باليامة: (3)

إِنِّي دَعَوْتُكَ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ	دَعَوِي فَأَوَّلُهَا لِي اسْتِغْفَارُ
لَتَجْبِرَنِي مِنْ شَرِّ مَا أَنَا خَائِفٌ	رَبِّ الْبَرِيَّةِ لَيْسَ مِثْلَكَ جَارُ

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 140 - 141 .

(2) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 160 .

(3) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 85 .

تقضي ولا يُقضى عليك وإنما ربي بعلمك تنزل الأقدار

ويحدث نفسه أن كل نفس إلى أجل، ومن الخير أن يدعو الله عالم السر والعلن، وما

سعادة المرء إلا بالنجاة من النار: ⁽¹⁾

يا نفس لا تجزعي إني إلى أمَدٍ	وكلُّ نفسٍ إلى يومٍ ومقدارٍ
وما يُقَرَّبُ يومي من مدى أُملي	فاقني حياءك ترحالي وتسيارٍ
إني إلى أجلٍ إن كنتِ عالمةً	إليه ما منتهى علمي وآثاري
لله أنتِ فلإن يعصنك فاعتصمي	وإن كذبتِ فحسبي الله من جارٍ
إذعيره سراً وناديه علانيةً	والله يعلمُ إعلاني وإسراري
وما السعادةُ في الدنيا لذي أملٍ	إنَّ السعيدَ الذي ينجو من النارِ

فهؤلاء الشعراء الصعاليك في أكثرهم مغتربون غربة اجتماعية وخارجون على

أعراف المجتمع وتقاليده ونظمه.

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 88-89.

غربة اللون

وهناك من كان اغترابه بسبب اللون أو النسب، فقد كان اللون سبباً من أسباب الغربة، وكثير من الصعاليك من أبناء الجوارى السود، وكان آباؤهم لا يعترفون بهم، أو لا يساوونهم مع أبنائهم من أولاد الحرائر، وكثير منهم كان يُنسب لأمه وليس لأبيه، مثل: قيس بن الحدادية، وخُفاف بن ثُذبة، والسليك بن السَّلَكة، وكان جُلُّ هؤلاء الصعاليك السود من الفرسان، وإن لم يكونوا أحراراً، من ذلك الفارس عنتره ولم يكن صعلوكاً، ولكن مشكلته أنه ابن أمة سوداء ولونه أسود، فلم يكن حراً، وكان أبوه قد قال له في بعض الحروب وقد خشي قوة الأعداء وغلبتهم: «كُزْ وأنت حُر»، فأجابه: «إنَّ العبد لا يُحْسِنُ إِلَّا الحَلَبَ والصَّر»، وكانوا حين يلجأون إلى قوته وفروسيته في الحروب ينادونه بابن الأَطايِب، وفي غير ها ينادونه بابن زبيبة، وقد صور هذه الحال في شعره حين يقول:

إنه لم يصبر على هذا الضيم لولا حبه لعبلة: (١)

ينادونني في السلم يابنَ رَبِيَّةٍ وعندَ صِدامِ الخيلِ يابنَ الأَطايِبِ
ولولا الهوى ما ذُلُّ مثلي لمثلهم ولا خضعتُ أشدُّ الفلا للثعالِبِ
سيدكرني قومي إذا الخيلُ أصبحت تجولُ بها الفرسانُ بينَ المضاربِ

ولم يشفع هؤلاء السود بياض خُلُقهم وطيبتهم في مجتمع الأحرار، وهذا ما جعل سحيم عبد بني الحسحاس يفاخر بخلقه وجودة شعره تعويضاً عن سواده وعبوديته: (٢)

(1) ديوان عنتره العبسي ص 22، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي:

عبد بدوي ص 218، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1988.

(2) ديوانه ص 54-55 تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1950.

ليس يزري السواد يوماً بذِي اللَّـ
بْ ولا بالفتى اللبيبِ الأديبِ
إن يكن للسَّوادِ في نصيبْ
فياضُ الأخلاقِ منه نصيبِ

وكذلك يقول إن جودة شعره وكرم خلقه يشفعان له ويعوضان عن الأصل

والغنى ويكفيه أنه كريم حر النفس: ^(١)

أشعارُ عبدِ بني الحسحاسِ قُمنَ له
يومَ الفَخارِ مقامَ الأصلِ والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حُرَّةٌ كَرَمًا
أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ

الفصل الثاني

الحنين والغربة في العصر الأموي

وكلما تقدم الزمن صارت صورة الوطن تتضح فيحن إليها الشاعر وهذا الحنين ليس وقفاً على الديار الدارسة كما هو الحال في أكثر الشعر الجاهلي، وإنما للوطن في سعته وشموله وجمال أرضه ومراعيه.

كانت جرهم في مكة تحكم أهل الكعبة، فتازعها بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وخزاعة، فقاتلوا جرهما وأخرجوها، فكان عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاخ الأصغر الجرهمي يحن إلى مكة ويأسى على خروج قومه منها، ويتذكر أيامه العزيزة الجميلة فيها حيث العز والسلطان، فيشعر أنه الآن غريب عن وطنه:⁽¹⁾

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَوْنِ إِلَى الصَّفَا	أَنِيْسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
وَلَمْ يَتَرَبَّعْ وَاسْطاً فَجَنُوبَهُ	إِلَى السِّرِّ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ حَاضِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَتْنَا	صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
وَأَبَدَلْنَا رَبِّي بِهَا دَارَ غُرَبَةٍ	بِهَا الْجُوعُ بَادٍ وَالْعَدُوُّ الْمَحَاصِرُ
وَكُنَّا وُلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ	نَطُوفُ بِيَابِ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ
فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا الْمَلِيكَ بِقُدْرَةٍ	كَذَلِكَ مَا بِالنَّاسِ تَجْرِي الْمَقَادِرُ
فَصَرْنَا أَحَادِيثاً وَكُنَّا بِغَيْطَةٍ	كَذَلِكَ عَصَّتْنَا السَّنُونُ الْغَوَائِرُ
وَيَدَّلْنَا كَعْبَ بِنَا دَارَ غُرَبَةٍ	بِهَا الذُّبُّ يَعْوِي وَالْعَدُوُّ الْمُكَائِرُ
فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَجْرِي لِبَلَدَةٍ	بِهَا حَرَمٌ أَمِنٌ وَفِيهَا الْمَشَاعِرُ

(1) معجم البلدان: مكة 5/ 186.

ويهاجر المسلمون من مكة في الإسلام، ولكنهم يحنون إليها، ويتمنون العودة إليها، فهي الأرض والوطن وفيها بيت الله الحرام، كان ابن أم مكتوم عمرو بن قيس (ت 23 هـ) أخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف ويتغنى بحب مكة: ⁽¹⁾

باجبذا مكة من وادي أرض بها أهلي وعوادي
أرض بها ترسخ أوتادي أرض بها أمشي بلا هادي

وفي المدينة عند الهجرة أصابت الحمى أبا بكر وبلالاً الحبشي، فكان أبو بكر (ت 13 هـ) إذا أخذته الحمى يقول: ⁽²⁾

كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدني من شرك نعله

وكان بلال (بلال بن رباح الحبشي ت 20 هـ) إذا انقضت عنه الحمى يرفع عقيرته، يتغنى بأمانيه في البيت في مواضع بمكة ويشرب من مياه مجنّة، ويرى المواضع التي يحن إليها: ⁽³⁾

ألا ليت شعري هل أيتنّ ليلة بفخ وعندي إذ خرّ وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنّة وهل يدون لي شامة وطفيل

وهذا عروة بن حزام من شعراء صدر الإسلام (توفي سنة 30 هـ) يحن إلى العراق حيث الحبيبة، وحن ناقلته إلى اليمن وطنها، ويصور في مقابلة بين هواه وهوى ناقلته ما يشعران من اللهفة والحنين إلى الوطن: ⁽⁴⁾

(1) معجم البلدان: مكة 5/ 183، وانظر الحنين إلى الوطن: محمد حور ص 143.

(2) معجم البلدان: مكة 5/ 183.

(3) السابق والصفحة، فخ: واد بمكة، وهو وادي الزاهر، الأذخر: الخشيش الأخضر الطيب الرائحة، الجليل: نبت الثمام، مجنّة: بلد على أميال من مكة، شامة وطفيل: جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة.

(4) شعر عروة بن حزام ص 12 - 13.

نوى ناقتي خلفي وقُدَّامي الهوى وأُنْبي وإياها لمختلفان
موايَ عِراقِي وتُنْشِي زمامها لَبَرِّقِ إذا لآخَ النجومُ يمانِ
هواؤَ، أَمامي ليس خلفي مُعَرَّجُ وشوقُ قلوصي في الغُدُوِّ يمانِ

وعلى الرغم من تعقد الحياة نسبياً في العصر الأموي، وظهور الدولة بطابعها الإسلامي، وسلطان الخلافة الوراثية، إلا أن عوامل الحنين والغربة والاغتراب بقيت في مجملها شبيهة بالعصر الجاهلي، مع ازدياد أسباب الغربة، فبقي النزوح عن الأوطان، والرحيل في طلب الرزق، والهرب من ظلم الولاة وقسوتهم، والزواج في غير الأقارب، بالإضافة إلى الحروب التي كثرت إما بسبب الفتوح، أو الحروب الداخلية في الصراع على الخلافة وظهور الأحزاب.

وكثر الشعر الذي يذكر الغربة والاغتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، وقلما نجد شاعراً يخلو ديوانه من ذكر الغربة والشكوى من النأي والبعد والشوق إلى الحبيبة والأهلين.

دواعي الغربة

وكانت القبائل حين يمتنع الغيث ويقل الرزق، ترحل إلى أماكن الخصب، فيقصد شعراؤها السلاطين وأهل الغنى يمدحونهم أملاً في العطايا والهبات، وتتفرق القبيلة ويزداد الشوق والحنين إلى الأهل والأحباب، وتلدعهم آلام البعد والاغتراب، وكثيراً ما يصعب على القبيلة النازحة التلاؤم والانسجام مع البيئة الحضرية التي انتقلوا إليها فيألمون ويحنون إلى بيئاتهم التي ألفوها، وكان للفتوح الإسلامية التي جرفت كثيراً من المجندين الذين عاشوا في بيئات جديدة مختلفة عن بيئاتهم حيث الجبال والوديان والبرد واختلاف الألسنة والوجوه، كل ذلك كان مصدر حنين وشوق إلى بيئاتهم التي ألفوها، وكان من أسباب الغربة أيضاً الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار، أو خلع المتمردين

الخارجين على العرف والتقاليد، وكان للحروب والفتن الداخلية وما نتج عنها من تشتت وقسوة ويطش أثر في شعور الفرد بأنه غريب مطارِد منبوذ، كل ذلك وغيره كان من أسباب الشعور بالغربة والاغتراب.

قلنا إن الفقر والحاجة من الأسباب التي دفعت الشعراء إلى الرحيل إلى الممدوحين أو الانتقال إلى الأقاليم التي يتواجد فيه الرزق والأمان، وقد دفعت الحاجة أبا دهبيل الجمحي (ت 63 هـ) أن يرحل إلى الري، فهو يذكر نزوحه وغربته وحنينه إلى دياره، ويشرك الحمام في شوقه وحنينه: (1)

أما للنوى من نية فريحُ	أني كل عام غربة ونزوحُ
فهل أريّنَ البينَ وهو طليحُ	لقد طلح البين المُشْتِ ركاثي
فُنُحْتُ وذو البَثِّ الغريبُ ينوحُ	وأزقني بالريّ نوحُ حمامةٍ
ونحسُ وأسرأبُ الدموعِ سفوحُ	على أئمانا حث ولم تذِرْ دمعاً
ومن دون أفراخي مهامةٍ فيحُ	وناحت وفرخاها بحيثُ تراهما
وعُضُنْكَ مِئَادُ فقيمَ تنوحُ	ألا يا حمامَ الأيكِ إلفُكَ حاضرُ
بكيكُ زماناً والفؤادُ صحيحُ	أفئ لا تنح من غير شيءٍ فإئني
فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ	ولوعاً ومُطَّتْ غربةً دارُ زينبِ
فتضحى عصا التسيارِ وهي طريحُ	عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى
وعُدْمُ الغنى بالمُقتِرِينَ طروحُ	فإن الغنى يُدني الفتى من صديقه

وتكون غربة الشاعر شديدة قاسية حين يتقل إلى بيئة أخرى تخالف بيئته، ولا يستطيع التكيف ولا نسيان أرضه ودياره، وهذا ما كان يعانيه عمرو بن أحر الباهلي (ت 65 هـ) حين رحل وعشيرته إلى شمالي الشام، وبقي غريباً متذمراً، ساءت حاله وحال من

(1) ديوان أبي دهبيل ص 76، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972.

معه بحيث صارت النساء يستجدين ويسألن الطعام، وقد بلين بالجوع والمرض، ويحن أبدأ إلى نجد وأهلها: ^(١)

فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغْنا قبائلنا بالأخرمين وجورم ^(٢)
وبلِّغْ أبا الوجناء موعِدَ قومِهِ بحوريتَ تظعنَ راغباً غيرَ مُقَحِّمِ
نأتُ عن سبيلِ الخيرِ إلا أَقلُّهُ وعَضَّتْ من الشَّرِّ القَراحَ بِمُعْظَمِ
لِيَهْنِكُمْ أَنّا نزلنا بِلَدَةٍ كلا مَلَوْنِها مُنِئْسَ غيرِ مُنْعِمِ ^(٣)
نُكْشِي بِأَكْنافِ البَلِيخِ نِساؤُنا أرامِلَ يَستطِيعُنَ بالكُفِّ وَالقَمِ ^(٤)
نَقائِذَ بِزِسامٍ وَهْمِي وَحَضْبَةٍ وجوعٍ وطاعونٍ وَنَقِيرٍ وَمَغْرَمِ

وقد تكون غربة الشاعر بسبب الضغوط الاجتماعية، وعقدة اللون والعبودية، وذلك ما يتضح في غربة نصيب بن رباح (ت 108هـ) وكان أسود قبيحاً، فأراد التحرر من ربة العبودية فلم يستطع، ولكنه بعد لأي هرب إلى مصر والتجأ إلى عبد العزيز بن مروان فمدحه وتوسل إليه، وسعى عبد العزيز إلى تحريره، فعاد إلى أهله حراً مسروراً مرفوع الجبين، وقد بين في شعره حاله وعقدته وسبب غربته، يقول: ^(٥)

وإنَّ وراءَ ظهري يا ابنَ ليلٍ أناساً ينظرونَ متى أووبُ
أمامَهُ منهمُ ولما قُبِيها غداةَ البينِ في أثري غروبُ
تركْتُ بلادَها ونأيتُ عنها فأشبه ما رأيتُ بها السلوبُ
فأتبعُ بعضنا بعضاً فلسنا نُثيِّبُكَ لكنَّ اللهَ المُثِيبُ

(1) شعر عمرو بن أحر، جمع وتحقيق حسين عطوان ص 152، ط مجمع اللغة العربية، دمشق د.ت.

(2) الأخرومان: جيلان في ديار بني باهلة.

(3) ملوياً: الملوان، الليل والنهار، أو الصبح والعشي.

(4) البليخ: نهر بالركة، البرسام اللداء والموت، النقر: الداء، المغرم: اللدين.

(5) شعر نصيب بن رباح، جمع وتحقيق داود سلوم ص 63، مطبعة الإرشاد، بغداد 1967.

وصار بعدها يدفع عن نفسه وصمة اللون ويجعلها ميزة ومأثرة ما دام له لسان

مبدع ناطق وجنان جريء ثابت ، يقول: (١)

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتٍ
من كان ترفعةً منابتُ أصلِهِ فبيوت أشعاري جُعلنَ منابتي
كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانِهِ ماضي الجئانِ وبين أبيض صامتٍ
إني ليحسُدني الرفيعُ بناؤه من فضلِ ذاك وليس بي من شامتٍ

وقد تجبر الظروف القسرية على أن يغترب الشاعر كأن يقترب جريمة قتل وتلاحقه الدولة أو أهل القتل فيهرب معتصماً بالفيافي والقفار، وذلك ما كان من أمر القتال الكلابي (ت حوالي 110 هـ) الذي قتل رجلاً من قومه فهرب إلى نجد معتصماً بجبل عمارة، يقول: (٢)

جزى الله عنا والجزاء بكفهِ عمارة خيراً أم كل طريدٍ
فلا يزدهيها القومُ إن نزلوا بها وإن أرسل السلطانُ كلَّ يريدٍ
محتني منها كلُّ عنقاء عطلٍ وكلُّ صفا جمَّ القلاتِ كؤودٍ

ويروى في هروبه وخروجه من ديار قومه أن القتال كان مختبئاً عند حبيب بن جبار، فبعث مروان بن الحكم بعثاً، فلما أتوا إلى حبيب، أخرج حبيب ابنته من الحجلة، وأدخل القتال فيها وألبسه ثيابها، ورفع الستر، فلما نظر القوم إلى المرأة استحيوا، ورجع القوم ونجا القتال، وفي ذلك يقول: (٣)

ألا هل أتى فتیانَ قومي أنني تسميتُ لِمَا اشتدَّت الحربُ زينبا

(1) شعر نصيب ص 73 .

(2) ديوان القتال الكلابي ص 45، تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت 1961 .

(3) الديوان ص 35، المحبر لابن حبيب ص 229 .

وأدينتُ جلبابي على نبتٍ لحيتي وأبديتُ للقوم البَنانَ المُخَضَّباً

وقد تكون غربة الصعاليك واللصوص غربة بسبب السياسة والخروج على الدولة أوجور السلطان، وتكون الجبال والصحراء ملاذاً آمناً لهم، وهذا ما كان من أمر مالك بن الربيع (ت 60 هـ) الذي كان يُخَيَّرُ حكام بني مروان بين أن ينصفوه أو أن يخرج عليهم، وأرض الله واسعة يغترب فيها وتنجيه من الذل وجور السلطان: ⁽¹⁾

فإن تنصفوا يا آل مروانَ فقتربُ إليكم وإلا فاذنوا ببعادِ
فإن لنا منكم مراحاً ومزحلاً بعيسٍ إلى ربحِ الفلاة صوادي
وفي الأرضِ عن دارِ المذلَّةِ مذهبُ وكلِّ بلادٍ أوطنتُ كبلادي
فماذا عسى الحجاجُ يبلغُ جهدهُ إذا نحنُ جاوزنا حفيرَ زيادِ

وكذلك كان أمر عبيد الله بن الحر الجعفي (ت 68 هـ) الذي خرج على مصعب بن الزبير وكان يهدده بغارة شديدة بعد أن بلغه وعيد ابن الزبير: ⁽²⁾

أتاني وعيدُ ابنِ الزبيرِ فلم أرُغ وما مثل قلبي بالوعيدِ يُروغُ
فلا ترميني بالوعيدِ فلأنني سأتركُ ما نهوى وأنفكُ أجدغُ
فإن أنا لم أسعِطك غيظاً بغارةِ وأصدغُ ما قد كاذباً لأمسٍ يُزقغُ
فلا وضعتُ عندي حصاناً قناعها ولا قادي للناسِ قلبٌ مُشيعُ
ستعلمُ إن مالتُ بي الريحُ ميلاً عليك غداً أتى أوياك أجزعُ

(1) شعر اللصوص وأخبارهم ص 264.

(2) شعر اللصوص وأخبارهم ص 220.

ضربة الموت

وأشد ما يقاسيه المرء في غربته - سواء أكان صعلوكاً أم لم يكن - أن يموت غريباً فلا يذكره أحد ولا يدري به أهله وأحبابه، فلا تبكيه أم أو بنت أو زوجة أو عمّة، من ذلك غربة بشر بن أبي خازم (ت 22 ق هـ) الذي أصيب بسهم قاتل، فأسف أن يموت غريباً فغربة الموت شديدة قاسية، قال يخاطب ابنته: ⁽¹⁾

أَسْأَلُ عُمَيْرَةَ عَنْ أَبِيهَا	خِلَالَ الْجَيْشِ تَعَرَّفَ الرُّكَّابَا
تَوَمَّلُ أَنْ أَوْوَبَ لَهَا بَنْتَهُ	وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صَابَا
فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنْ بَيْتِ بَشِيرٍ	فَإِنَّ لَهُ بِجَنْبِ الرَّدْوِ بَابَا ⁽²⁾
ثَوَى فِي مُلْحَدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ	كَفَى بِالْمَوْتِ نَأِياً وَاغْتِرَابَا
رَهِينُ بَلَى وَكُلِّ فَتَى سَيْلٍ	فَأَذْرِي الدَّمْعَ وَانْتَحِبِي انْتَحَابَا
مَضَى قَصْدَ السَّيْلِ وَكُلُّ حَيٍّ	إِذَا يُدْعَى لِيَتَتَّيَّهَ أَجَابَا

أما أبو الطمحان القيني (ت 30 هـ) فيتخيل كيف سيموت ويترك في لحده غريباً وحيداً، وتبكي عليه النساء، وتندبه الناديات وتنوح على قبره، ويتركه أصحابه ودموعهم تذري حزناً عليه، ويقول: ما ينفع بكأؤهم عليّ وقد تركوني وحيداً في لحد موحش: ⁽³⁾

أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَانِحِ	وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
وَبَعْدَ غَيْدٍ بِأَكْثَفِ نَفْسِي عَلَى غَيْدٍ	إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي تَفْيِضُ عَمُونِهِمْ	وَعُودَتْ فِي لَحْدِي عَلَيَّ صَفَائِحِي
يَقُولُونَ: هَلْ أَصْلَحْتُمْ لِأَخِيكُمْ	وَمَا الْقَبْرِ فِي الْأَرْضِ الْقَضَاءُ بِصَالِحِ

(1) ديوان بشر بن أبي خازم ص 73-75.

(2) الرد: موضع في بلاد قيس، والبيت هنا: القبر.

(3) الحماسة البصرية 281/1.

وأكثر ما كان يستشعر ألم الغربة عند الموت مالك بن الربيع (ت 60هـ)، الذي كان يحتضر ويعزُّ عليه أن يموت غريباً فلا يبكي عليه أحد، فهو يتحسر أن يدفن في الصحراء وحيداً لا يحزن عليه غير فرسه وسلاحه: (1)

تذكرتُ من يبكي عليّ فلم أجذ	سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وأشقرَّ عبوكِ يجرُّ عنائهُ	إلى الماءِ لم يتركْ له الموتُ ساقيا
يُقَادُ ذليلاً بعدما ماتَ ربُّهُ	يُبَاعُ ببخسٍ بعدما كان غاليا
ولكنْ باكنافِ السُّمَيْنَةِ نسوةٌ	عزيزُ عليهنَّ العشيةُ ما بيا
صريعٌ على أيدي الرجالِ بقفرةٍ	يُسوونَ لحدي حيثُ حُمَّ قضائيا

ويستشعر الغربة وحيداً في الصحراء بعد الموت فلا أحد يبكيه، فلو كان بالرمل بين أهله لبكته أمه وأبنتاه وخالته، أما زوجته فأشدهن بكاءً وفجيرة فبكاؤها يثير الباكيات:

أقلُّبُ طرفي حول رحلي فلا أرى	به من عيون المونساتِ مُراعيا
وبالرملِ مِنَّا نسوةٌ لو شهَدْنِي	بكِينٍ وفَدَيْنِ الطيبِ المداويا
فمنهنَّ أُمِّي وابنتاي وخالتي	وباكيةٌ أخرى تُهيجُ البواكيا

وكل إنسان يضعف عند الموت، فحتى الشنفرى (ت 70 ق هـ) على توحشه في الصحاري وقوته وفروسيته، كان يبكي حيناً واغتراباً حين استشعر الموت ودنو الأجل، ويأسى أن يكون وحيداً في الصحراء لا يبكي عليه أحد، ويُقرُّ أن الموت حق لا بد أن يصيب كل مخلوق: (2)

ألا تلمني إنْ تشكَّيتُ خلَّتني	شفاني بأعلى ذي الحميرة عذرتي
--------------------------------	------------------------------

(1) أشعار اللصوص وأخبارهم ص 293-294.

(2) ديوانه ص 99.

إذا ما أُنْشِي مَيْتِي لَمْ أَبْلُ بِهَا وَلَمْ أَرَمْ فِي أَهْلِ بَيْتِي قَاعِدًا
وَلَمْ تَذَرِ خَالَاتِي الدُمُوعَ وَعَمَّتِي إِذْ جَاءَنِي بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ مُمْتِي

المرأة واغتراب الرجل

يرحل الرجل طلباً للرزق، أو يلتحق بالجنـد الفاتح، وتبقى المرأة حزينة بائسة تشفق على زوجها ويلوعها الفراق، وتشاركه آلام الغربة والوحدة، وقد صور الشعراء ما تفعل الغربة بالمرأة وأبنائها، فهذه امرأة عبد الله بن الزبير الأسدي (ت 75 هـ) تشبث بزوجها، وتقطع كبدها لوعة الفراق: ⁽¹⁾

عَشِيَّةً قَالَتْ وَالرَّكَّابُ مُنَاخَةٌ بِأَكْوَارِهَا مَشْدُودَةٌ: أَيْنَ تَذْهَبُ
أَفِي كُلِّ مِصْرٍ نَازِحٌ لَكَ حَاجَةٌ كَذَلِكَ (مَا) أَمْرُ الْفَتَى الْمُتَشَعِّبُ
فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ تُلَبِّثُ نَاقَتِي وَتُقْسِمُ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
دَعِينِي مَا لِلْمَوْتِ عَنِّي دَافِعٌ وَلَا لِلذِّئْوِ وَلَى مِنَ الْعَيْشِ مَطْلَبُ

وتشفق الزوجة على فراق زوجها وتخشى الغربة ومآسيها وأن يصيبه مكروه، ويدور بين الزوجين حوار شجي ساعة الفراق، تمثل في قول طريح بن إساعيل الثقفي (ت 165 هـ) حيث يقول: ⁽²⁾

تَقُولُ وَالْعَيْسُ قَدْ شُدَّتْ بِأَرْحُلِهَا الْحَقُّ أَنَّكَ مِنَّا الْيَوْمَ مُنْطَلِقُ ؟
قُلْتُ نَعَمْ فَاصْطَبِرْ مَا جَلَدِي وَلَا أَظُنُّ اجْتِمَاعاً حِينَ نَفْتَرُقُ
فَقُلْتُ إِنَّ أَخِي لَا أَطْوِلُ بِعَادَتِكُمْ وَكَيْفَ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ عَلَقُ
فَارْقُتْهَا لَا فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهَا سَالِي الْهَمُومِ وَلَا حَبْلِي لَهَا خَلَقُ

(1) شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، تحقيق يحيى الجبوري ص 50، ط وزارة الإعلام بغداد 1974.

(2) شعر طريح الثقفي ص 98، جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987، وانظر الاغتراب في الشعر الأموي ص 35.

فَاصَتْ عَلَى إِثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهَا كَمَا تَتَابَعُ يَجْرِي اللَّوْلُؤُ النَّسَقُ
فَاسْتَبَقَ عَيْنَكَ لَا يُوْدِي الْبُكَاءُ بِهَا وَكَهْفُ بَوَادِرِ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشُّوونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجَفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

ومن المشاهد المؤثرة مشهد توديع الأب المغترب وتعلق البنت بأبيها، وخوفها من المصير المجهول وبقائها بعده غريبة وحيدة عاجزة مع أخوة صغار قاصرين ورضع يتوقون لحنو الأب، فالبنت تتعلق بأبيها وتحذره باكية من مغبة الرحيل، وما سيحل بهم من قطيعة القريب والغريب، ويقوم بينهما حوار مؤثر تحاول البنت أن تقنع أباها بالعدول عن الرحيل وأنهم يرضون بالرزق القليل، ولكن الأب عازم على الرحيل، ويحاول أن يصبرها بأن لا بد من الخضوع للقدر المحتوم، هذه المشاهد المعبرة والمؤثرة يعرضها حاجب الفيل (ت 120) في قصيدة الوداع الأليم: ⁽¹⁾

لَمَآ رَأَتْ بَتِي بِأَنِّي مَزْمَعٌ بَرَّحَلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمَوْذَعٌ
وَرَأَتْ رَكَابِي قُرْبَتْ لِرَحَالِهَا قَالَتْ وَغَزَبُ الْعَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعُ
أَبْتَا أَتَزَكُّنَا وَتَذْهَبُ تَائِهًا فِي الْأَرْضِ تَخْفُضُكَ الْبِلَادُ وَتَرْفَعُ
فِيضِيعُ صِبْيَتِكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ بِمُضِيْمَةٍ فِي الْمَضِرِّ لَمْ يَتَرَعَّرَعُوا
فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
لَنَا سَنَرْضِي مَا أَقَمْتَ بَعِيْثَنَا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجْوَعُ وَنَشْبَعُ
وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ وَكَفَى بِحُسْنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَقْنَعُ
إِذَا مَا غِبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ مِمَّا تَخْلَفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
تَجْفُو مَوَالِينَا وَيَعْرُضُ جَارُنَا وَقَرِينَا الْأَدْنَى يَعْزُّ وَيَقْطَعُ

(1) حاجب الفيل حياته وما تبقى من شعره، مجلة المورد المجلد 15، العدد الأول سنة 1986، ص 188، والاغتراب في

الشعر الأموي ص 36.

ونخاف أن تلقاك وشك منية
فنصيرُ بعدك ليس يُزفعُ بيننا
هذا الرحيلُ وأمرنا ما قد ترى
فخُفْتُ من قول الصغارِ بعزة
وأجبتها: صبراً بنيةً واعلمي
أن ليس يعدو يومه من يجزُعُ
فُصِينَا الأمرُ الجليلُ المُفْطَعُ
ويذلُّنا أعداؤنا ونُضَيِّعُ
فمتى تَووبُ إلى الصغارِ وترجعُ
كادَ الفؤادُ لقولهم يتصدَّعُ
أن ليس يعدو يومه من يجزُعُ

غربة الجند الفاتح

ومن صور الغربة ما كان يعبر عنها الجند الذاهب في الفتوح في بلاد لم يعرفوها
وبيئات لم يألّفوها، وكان الجند الذاهبون في الفتوح في خراسان حيث الجبال والبرد
والثلوج، يتذمرون ويحنون إلى ديارهم، يقول أعرابي يراد به أن يذهب إلى همدان: ^(١)

وكيف أجيب داعيكم ودوني
بلادٌ شكّلها من غيرِ شكلي
وأسماءُ النساءِ بها زنانٌ
وأقربُ بالزنانِ من الزواني
جبالُ الثلجِ مشرفةُ الرُّعَانِ
والسُّنْهَى مخالفةُ لِسَانِي

ويذكر المقاتلون غربتهم بهذه الأمكنة الأعجمية البعيدة التي لم يألّفوها، ويغلبهم
الحنين والشوق إلى أهلهم وأوطانهم، وقد أصيب بعض الجند الذين معهم، قال كثير بن
عبد الله المعروف بابن الغريرة التميمي (ت 70 هـ) يرثي القتلى في الطالقان والجوزجان من
بلاد خراسان في إمرة الأقرع بن حابس، ويذكر غربته وحنينه إلى الأهل والوطن: ^(٢)

سقى مُزْنُ السحابِ إذا استهلَّتْ
إلى القصرين من رُستاقِ نُحُوطِ
وما بي أن أكونَ جزعْتُ إلا
حنينَ القلبِ للبرقِ اليماني
مِصَارِعُ فِتْيَةٍ بِالْجَوْزِجَانِ
أَبَادَهُمْ هُنَاكَ الْأَقْرَعَانِ

(1) معجم البلدان : همدان.

(2) الأغاني 11/ 279 - 281.

وبعد أن يتحدث عن المعارك وبطولته يحن إلى أهله، ويذكر ما يكون من أمر نسائه وبناته حين يعلمون بمصرعه في هذه الحروب النائية:

وتبكيّني نوائحُ مُعولاتٍ تُرْكَنَ بدارِ مُعْتَرِكِ الزمانِ
حبائسُ بالعراقِ مُنْهَنَهاتٌ سواجي الطُرْفِ كالبقْرِ الهِجَانِ
أعاذلتني من لومِ دعائي وللرَّشْدِ البَيِّنِ فاهْدِيانِ

ويشكو ورد بن الورد الجعدي من بني كعب، الغربة في رامهرمز ويحن إلى دياره ويذكر أيامه وأصحابه في القلب الفرد من أيمن الحمى: (1)

أمْغْتَرِباً أَصْبَحْتُ فِي رَامْهَرْمَزٍ ؟ أَلَا كُلُّ كَعْبِي هُنَاكَ غَرِيبٌ
إِذَا رَاحَ رُكْبٌ مُضْعِدُونَ فَقَلْبُهُ مَعَ الْمُصْعِدِينَ الرَّائِحِينَ جَنِيبٌ
وَإِنَّ الْقَلِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحِيبٌ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُزَرْزَ بِهَا حَبِيباً وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَيْبٌ

وكثيراً ما يُستثار الغريب وتستعر هواجسه، برؤية الطير الذي يشاركه الغربة

ويثير أشجانه، يقول بعض الأعراب المغترين يناجي قمرية الوادي: (2)

أَقْمَرِيَّةَ الْوَادِي الَّتِي خَانَ إِلْفُهَا مِنْ الدَّهْرِ أَحْدَاثٌ أَنْتَ وَخَطُوبُ
تَعَالَى أَطَارِحُكَ الْبُكَاءَ فَإِنَّا كَلَانَا بِمَرْوِ الشَّاهِجَانِ غَرِيبُ

وقد أثار هذان البيتان إعجاب الحافظ الدمشقي مسعود بن الحسن (قدم مرو

ومات بها سنة 543هـ) فأضاف إليها وقال يذكر غربته ويعجب للغريب كيف لا يموت

شوقاً إلى أحبابه وصباية: (3)

(1) معجم البلدان: رامهرمز 3/ 17- 18 .

(2) معجم البلدان: مرو 5/ 114.

(3) السابق والصفحة.

أَحْلَايَ إِنْ أَصْبَحْتُ فِي دِيَارِكُمْ فَلَمَّائِي بِمَرِّ الشَّاهِجَانِ غَرِيبُ
أَمُوتُ اشْتِيَاقًا ثُمَّ أَحْيَا تَذَكُّرًا وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَالضُّلُوعِ لَهِيْبُ
فَمَا عَجَبٌ مَوْتُ الْغَرِيبِ صَبَابَةٌ وَلَكِنْ بَقَاؤُهُ فِي الْحَيَاةِ عَجِيبُ

وعند مرو هذه يصاب مالك بن الريب (ت 60) وكان مع الجند الفاتح، وتشتد أوجاعه فيحتضر ويشعر بدنو منيته غريباً مشوقاً متألماً، فيوصي صاحبي رحله أن يؤديا حق الميت من كفن ودفن، ويترك بعدها وحيداً في قبر ناء عن الأهل غريباً: (1)

ولما تراءت عند مرو منيتي وخَلَّ بها جسمي وحانت وفاتي
أَقُولُ لِأَصْحَابِي أَرْفَعُونِي فَإِنَّهُ يَقْرُبُعِينِي أَنْ تُهَيِّلَ بَدَا لِيَا
فِيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلَا بِرَابِئَةٍ لِنِي مَقِيمٌ لِيَا لِيَا
أَقِمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ وَلَا تَعْجَلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ شَانِيَا
وَقُومَا إِذَا مَا اسْتَلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا لِي السُّدْرَ وَالْأَكْفَانَ ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا
وُخْطَا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ مُضْجِعِي وَرُدَّا عَلَيَّ عَيْنِي فَضْلَ رَدَائِيَا
وَلَا تَحْسَدَانِي بَارِكِ اللَّهُ فِيكُمَا مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعُرْضِ أَنْ تَوْسِعَا لِيَا
خُذْنِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا

ويغلبُ الحنينُ والشوق هؤلاء المقاتلين، فيذكرون أوطانهم فهم لم يألفوا هذه البيئات التي تكثر فيها الثلوج، ويصف الناس كيف يسرون في البرد مقرورين، وأين من هذا بر العراق وخيره، يقول أحد الشعراء الذين سثموا الغربة وركبتهم العلل: (2)

وَأَرَى بِمَرِّ الشَّاهِجَانِ تَنَكَّرْتُ أَرْضَ تَتَابَعِ ثَلْجُهَا الْمَذْرُورُ
إِذَا لَا تَرَى ذَابِزَةً مَشْهُورَةً إِلَّا تَحَالَّ بِأَنَّهُ مَقْرُورُ

(1) أشعار اللصوص ص 294، معجم البلدان: مرو.

(2) معجم البلدان: مرو 5/ 115.

كلتا يديه لا تُزايِلُ ثوبَهُ كلَّ الشتاءِ كأنه مأسورُ
أسفاً على بَرِّ العراقِ وبحره إنَّ الفؤادَ بشجوه معذورُ

وغربة المقاتلين تزداد كلما قرب الشتاء الذي لا يستطيعون تحمله في بلاد العجم، فهذا مالك بن الربيع يسأل قائده سعيد بن عثمان أن يعجل بالقفول قبل هجمة الشتاء: (١)

هَبَّتْ شِمَالٌ خَرِيقٌ أَسْقَطَتْ وَرَقاً واضفَرَّ بالقاع بعدَ الحَضْرَةِ الشَّبِيعِ
فارحَلْ هُدَيْتَ وَلَا تَجْعَلْ غَيْمَتَنَا ثُلجاً يُصَفِّعُهُ بالترمِذِ الرِّيحُ
إنَّ الشتاءَ عدُوٌّ ما نَقَاتِلُهُ فاقْفِلْ هُدَيْتَ وَثوبُ الدَّفءِ مَطْرُوحُ

وكان الشعور بالغربة يزداد سوءاً وتذمرأ كلما بقي الجند زمناً طويلاً، وبخاصة إذا انقلب النصر إلى هزائم، وعمَّ القحط والجوع، بسبب ضعف القيادة وظلمها وبخلها وأنانيتها، وهذا ما يصوره أعشى همدان (ت 83 هـ) الذي كان ببلاد مكران ورتبيل: (٢)

أَسْمَعْتَ بِالْجَيْشِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَصَابِهِمْ رَيْبُ الزَّمَانِ الْأَعْوَجِ
حُبِسُوا بِكَابِلٍ بِأَكْلُونِ جِيَادَهُمْ بِأَضَرَّ مَنْزِلَةٍ وَشَرُّ مُعَرِّجِ
لَمْ يَلْقَ جَيْشٌ فِي الْبِلَادِ كَمَا لَقُوا فَلَمَثَلِهِمْ قُلٌّ لِلنَّوَانِحِ تَنْشِجِ

ويخاطب القائد السيء عبيد الله بن أبي بكره الثقفي (ت 79 هـ)، ويصف سوء تدبيره وجشعه بحيث صار يتاجر بأقوات الجند وميرتهم، فصار لنهمه ولؤمه سميناً قصيراً قبيحاً:

(1) فتوح البلدان للبلاذري، تحقيق صلاح الدين المنجد 508/3 ط مكتبة النهضة المصرية 1957، أشعار للصمصص ص 261، وانظر الاغتراب في الشعر الأموي لفاطمة السريدي ص 20.

(2) ديوان أعشى همدان ص 93 تحقيق حسن أبو ياسين، ط دار العلوم، الرياض 1983، وكتاب الصبح المنير ص 317-

وُلِّيتْ شَأْنَهُمْ وَكُنْتُ أَمِيرَهُمْ فَأَضَعْتَهُمُ وَالْحَرْبُ ذَاتُ تَوَهُّجٍ
 مَا زِلْتُ نَازِلَهُمْ كَمَا زَعَمُوا أَبَا وَتَقَلُّمُ وَتَسِيرُ سِرِّ الْأَمْوَجِ
 وَتَبِعَهُمْ فِيهِ الْقَفِيزَ بِلِذِّهِمْ فَيُظَلُّ جَيْشُكَ بِالْمَلَامَةِ يَتَّجِي
 وَمَنْعَتَهُمْ أَلْبَانَهُمْ وَشَعِيرَهُمْ وَتَجَزَّتْ بِالْعَنْبِ الَّذِي لَمْ يَنْضِجِ
 وَتَهَكَّتْ هَزْباً بِالسَّيَاطِ جُلُودَهُمْ ظُلماً وَعُوداً وَلَمْ تَتَخَرَّجِ
 وَالْأَرْضُ كَافِرَةٌ تُضَرِّمُ حَوْلَكُمْ حُرْبَاءَهَا يُعْجَتُ وَلَمَّْا تُنْتِجِ
 فَتَسَاقُطُوا جُوعاً وَأَنْتَ ضُفْنَدُ شِعَابُ تُضْبِجُ كَالْأَبْدُ الْأَفْحَجِ^(١)

ومن شعراء الفتح الذين ماتوا غرباء وهم يحنون إلى أوطانهم الصِّمَّة بن عبد الله القشيري (ت 95)، فقد خرج مع الجيش إلى بلاد الديلم، فمات في طبرستان، وذكر الأصفهاني رواية مؤثرة تروي موت الصِّمَّة: قال رجل من أهل طبرستان كبير السن: «بينا أنا يوماً أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران، وغير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خُلُقَان، فدنوتُ منه، فإذا هو يتحرك ولا يتكلم، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول بصوت خفيّ:»^(٢)

تَعَزَّ بِصِيرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى سَنَامَ الْجِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَايِرِ
 كَأَنَّ فَوَادِي مَنْ تَلَدَّكَ الْجِمَى وَأَهْلِي الْجِمَى يَهْفُو بِهِ رِيْشُ طَائِرِ

قال: فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه، فسألتُ عنه، فقل لي: هذا الصِّمَّة بن عبد الله القشيري».

(1) الضفندد: الضخم الأحمق، الأبد: المتباعد ما بين الفخذين لسمته، الأفحج: المائل القدمين.

(2) الأغاني 8/6، ديوان الصِّمَّة القشيري ص 98.

وروى جماعة من بني قُشير: أن الصَّمَّة خرج في غَزْيٍ من المسلمين إلى بلد الديلم فمات بطبرستان، وكان في غربته يشتاق إلى أهله ويحن إلى وطنه ويدعو له بالخير والسقيا التي تورث الخير: ⁽¹⁾

ألا تسألن الله أن يسقي الحمى بلى فسقى الله الحمى والمطاليا ⁽²⁾
وأسأل من لا قيث هل مُطِرَ الحمى فهل يسألن عني الحمى كيفَ حاليا

وهكذا نجد أن الشعر الذي قيل في الغربة يمثل الحنين إلى الوطن، فأجسام هؤلاء المقاتلين والمغتربين في بلاد الغربة، ولكن أرواحهم وعواطفهم ومشاعرهم ووجودهم المعنوي كله، في أوطانهم وديارهم التي شهدت ولادتهم ونشأتهم ومرعى صباهم. أما الجيل الثاني من أبناء هؤلاء فقد نشأوا في تلك الديار النائية عن الجزيرة العربية فتكيفوا وتأقلموا، وشعروا أن هذه البلاد الجديدة بلادهم فلم يشعروا بالغربة في حياتهم الجديدة.

ومن الشعر المؤثر الذي يمثل الغربة والحنين إلى الأوطان شعر عوف بن محلم الخزاعي (ت 220 هـ) ⁽³⁾، كان مع طاهر بن الحسين في أسفاره وحروبه في الري، وكان طاهر يعتز بصحبته فهو أديب شاعر جيد المنادمة، وتوفي طاهر فلزمه ابنه عبد الله ولم يدعه يرجع إلى أهله في حرَّان أو رأس العين، وأغدق عليه العطايا، ولكن اغتراب محلم قد طال، وسمع حمامة تنوح فهينجت أشجانه فقال: ⁽⁴⁾

(1) الأغاني 7/6، ديوانه ص 137.

(2) الحمى: كل ما هو من أرض القبيلة. المطالي: أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب. مراد الإطلاع، معجم البلدان: المطالي.

(3) هناك عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان من أشراف العرب في الجاهلية توفي سنة 45 ق هـ / 580 م وقد يخطئ بعضهم فيظنها واحداً.

(4) طبقات الشعراء لابن المعتز ص 187.

أفي كلِّ عامٍ غُرْبَةٌ ونزوحٌ أما للنوى من ونيّةٍ فثريحٌ
لقد طلّحَ البينُ المُشْتُ ركائبي فهل أَرَيْنَ البينَ وهو طليحٌ
وأزقني بالزّيّ نوحٌ حمامةٍ فنحْتُ وذو اللبِّ الحزينِ ينوحُ
على أنها ناحَتْ فلم تُرِ عَبرةٌ ونُحْتُ وأسرابُ الدموعِ سُفوحُ
وناحَتْ وفرخاها بحيثُ تراهما ومن دون أفراسي مهامةٍ فيحُ
ألا يا حمامَ الأبيكِ فرُحَكَ حاضرٌ وعُضُنْكَ مِيّادٌ ففيمَ تنوحُ
عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى فتُضحِي عصا التَّسْيَارِ وهي طريحُ
فإنَّ الغنى يُدْزِي الفتى من صديقه وعُذْمُ الغنى للمعسرينَ طروحُ

فاستعبر عبد الله بن طاهر ورقاً له لما سمع من تشوقه إلى أهله وبلده، وأذن له بالعودة إلى أهله وأكرمه غاية الإكرام. وقال عوف وهو يودع عبد الله بن طاهر ويذكر ضعفه وشيخوخته: ⁽¹⁾

يا ابنَ الذي دانَ له المشرقانُ وألبَسَ الأمنَ به المغربانُ
إنَّ الثمانينَ - ويُلَقَّتها - قد أحوَجَّتْ سمعي إلى ترجمانُ
وأبدَلتني بالشطاطِ انحنا وكنتُ كالصَّعْدَةِ تحتَ السَّنانِ ⁽²⁾
وعوّضتني من زَماعِ الفتى ومثِهِ هَمُّ الهجينِ الهدانِ ⁽³⁾

ويذكر حنينه إلى الوطن ويتذكر أيام الصِّبا، ويسأل الأمير أن يقربه من وطنه قبل

الموت:

(1) طبقات ابن المعتز ص 187 - 188.

(2) الشطاط: الاعتدال وحسن القوام الصعدة: القناة المستوية.

(3) الزماع: المضاء في الأمر. الهدان: الأحمق.

وَهَمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجَدْتُهَا وَبِالْعَوَانِي أَيْنَ مِنْي الْعَوَانُ
فَقَرَّبَانِي - بِأَبِي أَنْتَمَا - مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ
وَقَبْلَ مَنَعَائِي إِلَى نَسْوَةٍ أَوْطَانَهَا حَرَّانُ فَالْرَقْمَتَانِ

ويدعو لقصور آل طاهر بالعمار والسقيا:

سَقَى قُصُورَ الشَّادِيَاخِ الْحَيَا مِنْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمَيَّانِ
فَكَمْ وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ لِي بِهَا أَنْ تَنْخَطَّأَهَا صُرُوفُ الزَّمَانِ

ثم ودَّع عبد الله بن طاهر وخرج عوف فرحاً بالعودة إلى الوطن، ولكن هذه الفرحة لم تتم، فقد عاجلته المنية وهو في بعض الطريق، فلم يصل إلى أهله، واتصل الخبر بعبد الله، فاشتد ذلك عليه وجزع له.

وقد حفل العصر الأموي بشعر كثير يصور الاغتراب السياسي والاجتماعي، وإذا أردنا أن ندخل شعر الأحزاب السياسية كالخوارج والشيعة والزييرية والموالي، فسوف تتوسع دائرة الاغتراب وتتجاوز مفهومها، لأن شعر هؤلاء هو شعر سياسي، له موقف من السلطة، والشاعر في المفهوم الدقيق غير مغترب، لأنه منتمي إلى حزب أو فئة تؤمن بقضية، فهو ليس غريباً ولا مغترباً، ولذلك سنعدل عن شعراء الأحزاب السياسية، ونقف عند الأفراد المغتربين بسبب ظلم السلطة أو الجوع والضياع، أو خلع القبيلة لبعض أفرادها الخارجين على عرف القبيلة، وقد انضم هؤلاء إلى مجموعة الصعاليك الذين يمثلون الغربة وعاشوا غربتهم القسرية. والصعلكة تمثل التمرد والخروج على الأعراف الاجتماعية والقبيلة التي تحد من حريتهم، وقد سعى الصعاليك إلى التحرر من السلطة، وكسروا الروابط والأعراف الاجتماعية، ووقف المجتمع بأعرافه وتقاليده ضد هذا التمرد والفوضى.

شعر التظلم من السلاطين والولاة

وأكثر الشعر الذي يمثل الاغتراب في العصر الأموي هو صدى لظلم السلطان وقسوة الولاة، فظهرت وطأة الظلم والتذمر في وقت مبكر من العهد الأموي، ففي زمن معاوية، جاء عُقيبة بن هيرة الأسدي (ت 50 هـ) إلى معاوية وقدم له رقعة فيها هذه الأبيات:⁽¹⁾

معاوية إننا بشرٌ فأسجن	فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا وجذّتموها	فهل من قائم أو من حصيد
فهبنا أمةً هلكت ضياعاً	يزيدُ أميرها وأبو يزيد
أنطمعُ بالخلود إذا هلكنّا	وليس لنا ولالك من خلود
ذروا جورَ الخلافة واستقيموا	وتأميرَ الأراذل والعبيد

وكان التذمر من السعاة، وهم عمال الصدقات، وقسوتهم وما ينزلونه بالناس من ضرب وجلد وتكبير، لاستخراج الأموال قسراً، وخاصة حين يكون جدد وعوز، صار الناس يعيشون في غربه وهم بين أهليهم وأوطانهم فقراء، وقد قيل: الفقير في الأوطان غربه.

ومن القصائد المؤثرة في الشكوى ووصف جور السعاة وأخذ أموال الناس عنوة بالتعذيب والتكبير والجلد بالسياط، قصيدة الراعي النميري (ت 90 هـ) التي كانت وثيقة شكوى يعرضها على عبد الملك بن مروان، يصور فيها ما فعل السعاة بقومه وأخذوا أموالهم ظلماً وعدواناً بما يخالف شرع الله، وقد أنزلوا بعريفهم صنوف العذاب فكلوه وجلدوه، وبقيت القبيلة في فقر وحزن وضياع، يقول:⁽²⁾

(1) العبد الفريد 1/ 50، 6/ 168-169، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997.

(2) ديوان الراعي النميري ص 226-238، تحقيق راينهرت فايرت، ط بيروت 1980.

أبلغ أمير المؤمنين رسالة شكوى إليك مُطلَّة وعويلا
من نازح كثرت إليك همومه لو يستطيع إلى اللقاء سيلا
طال التقلب والزمان ورأته كسل ويكره أن يكون كسولا

ويعرض عليه أمر عشيرته وما أصابهم من جوع وسوء حال، وأنهم على العهد والطاعة مسلمون حنفاء، ولكن الظلم قد حاق بهم من ولاية الجور:

أولئ أمير الله إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى الله في أموالنا حق الزكاة منزلاً تنزيلا
قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيّعوا التهللا
فادفع مظالم عيالت أبنائنا عنا وأنقذ شلونا المأكولا

ويصف له ما عمله السعاة بالقبيلة وعريفها من ظلم وتعذيب وتزوير، وأخذوا خيار المال والحيوان ولم يتركوا إلا العجاف، وكتبوا على القبيلة كتباً باطلة مزورة، فأصبحت في بؤس وسوء حال:

إن السعاة عصوك حين بعثتهم وأنوا دواعي لو علمت وغولا
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا لم يفعلوا بما أمرت فتिला
أخذوا العريف فقطعوا حيزومه بالأصبحية قائماً مغلولا
حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا
نسي الأمانة من غافة لقع شمس تركن بضبعه مجزولا
كتب الدهيم وما تجمّع حولها ظلاً فجاء بعذها مغدولا
وعذوا بصنهم وأحدب أسارت منه الشياط يراعة إجفلا
من عامل منهم إذا غيبتة غالى يريد خيانة وغلولا
خرب الأمانة لو أخطت بفعله لتركته منه طابقاً مفصولا

ويبدو أن هؤلاء السعاة الظلمة لم يكتفوا بأخذ خيار أموال القبيلة، وجعلوهم فقراء يتكفون، بل أخذوا عليهم صكوكاً على أنهم مدينون للدولة، فجعلوهم كالأرقاء يعملون ويتجولون لغيرهم من المتسلطين:

كُتِبَ تَرْكُنْ غَنِينَا ذَا خَلَّةٍ بَعْدَ الْغِنَى وَفَقِيرَنَا مَهْزُولَا
أَخَذُوا حُمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قَاعِدَا لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدِّيَارِ حَوِيلَا
كَهْدَاهِدٍ كَسَرَ الرِّمَاءُ جَنَاحَهُ يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلَا

ويبين للخليفة أنهم مسلمون صالحون يؤدون الزكاة بحقها، ولكن العمال يبالغون فيأخذون أموال القبيلة، وجعلوا الجميع بظلمهم فقراء لا يملكون شيئاً، وقد خالفوك فما بهذا أمرتهم، ولا بها أمر الإسلام: (1)

أَزْرَى بِأَمْوَالِنَا قَوْمٌ أَمَرْتُهُمْ بِالْعَدْلِ فِينَا فَمَا أَبْقَوْا وَمَا قَصَدُوا
تُعْطِي الزَّكَاةَ فَمَا يَرْضَى خَطِيبُهُمْ حَتَّى تُضَاعِفَ أَضْعَافًا لَهَا عُذْدُ
أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلَوِيَّتُهُ وَفَقَّ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبْدُ
وَاخْتَلَّ ذَوَالِ الْمَالِ وَالْمُتْرُونَ قَدْ بَقِيَتْ عَلَى التَّلَاتِلِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عُقْدُ

ومثل قصيدة أبي حية في جودة عرضها لظلم السعاة وقسوتهم، قصيدة عمرو بن أحرر الباهلي (ت 65 هـ) الذي كتب يشكو عيال الصدقة وظلمهم، في عام كثر فيه الجذب وقل الرزق، وهو يخاطب يحيى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة لعبد الملك بن مروان، ويبين ما فعل بهم السعاة وما آل إليه أمرهم من الفقر والرغبة في الهجرة والشتات: (2)

يَا يَحْيَى يَا ابْنَ إِمَامِ النَّاسِ أَهْلَكُنَا ضَرْبُ الْجُلُودِ وَعُسْرُ الْمَالِ وَالْحُسْرُ

(1) الديوان ص 64 - 65.

(2) شعر عمرو بن أحرر ص 103 - 107.

إِنْ تَبُّ يَا ابْنَ أَبِي الْعَاصِي بِحَاجَتِنَا فَمَا لِحَاجَتِنَا وَرَدُّ وَلَا صَدَرُ
مَا تَرْضَى نَرْضَى وَإِنْ كَلَّفْتَنَا شَطَطاً وَمَا كَرِهْتَ فَكَرْهُ عِنْدَنَا قَدَرُ
نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا مَا شِئْتَ أَسْمَعْنَا دَاعٍ فَجِئْنَا لَا يَتَى الْأَمْرِ نَائِمُ
إِنِّي أَعُوذُ بِمَا عَادَ النَّبِيُّ بِهِ وَبِالْخَلِيفَةِ أَنْ لَا تُقْبَلَ الْعُدُ
مَنْ مُتَرَفِّكُم وَأَصْحَابِ لَنَا مَعَهُمْ لَا يَعْدِلُونَ وَلَا نَأْيُ فَتَشِيرُ
فَإِنْ تَقَرَّرَ عَلَيْنَا جَوْرٌ مَظْلَمَةٌ لَمْ تَبْنِ بَيْتاً عَلَى أَمثالِهَا مُضَرُّ

ويعرض لما فعل بهم السعاة من إذلال وظلم، وجلد الشيوخ حتى يعطوا المال مكرهين، وسيؤول ذلك لاشك إلى خراب البيوت، وتشتت القبيلة وهجرتها:

يَكْسُونُهُمْ أَصْبَحِيَّاتٌ مُخَذَّرَجَةٌ إِنْ الشَّيْخُ إِذَا مَا أَوْجِعُوا ضَجَرُوا^(١)
حَتَّى يَطِيبُوا لَهُمْ نَفْساً عَلَانِيَةً عَنِ الْفَلَاحِ الَّتِي مِنْ دُونِهَا مَكْرُوا
لَسْنَا بِأَجْسَادٍ عَادٍ فِي طَبَائِعِنَا لَا نَأْلُمُ الشَّرَّ حَتَّى يَأْلُمَ الْحَجَرُ
وَلَا نَصَارَى عَلَيْنَا جَزِيَّةً نُسَكُّ وَلَا يَهُودَ طَغَاماً دِينُهُمْ قَدَرُ
إِنْ نَحْنُ إِلَّا أَنْاسُ أَهْلٍ سَائِمَةٍ مَا إِنْ لَنَا دُونَهَا حَرْتُ وَلَا غُرُّ

ويبين حال قومه وما نزل بهم من فقر وجذب، وما سيحل بهم من نفرة وهجرة وكره للوطن، لما نزل بهم من ظلم السعاة وجورهم:

مَلُّوا الْبِلَادَ وَمَلَّتَهُمْ وَأَحْرَقَهُمْ ظَلَّمُ السَّعَاةِ وَبَادَ الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
إِنْ لَا تُدَارِكُهُمْ تُصْبِحُ مَنَازِلُهُمْ قَفَرًا تَبْيَضُّ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحُمُرُ^(٢)
أَدْرِكُ نِسَاءً وَشَيْئاً لَا قَرَارَ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيمَا قَدْ لَقُوا غَيْرُ

(١) الأصبيجات: السباط. المخرجة: محكمة القتل ملساء.

(٢) الحمر: جمع حمرة وحمرة، وهي ضرب من الطير.

وكان للظلم الذي يمارسه الولاة، وسوء الإدارة والتعالي على الناس، وغمط الحقوق، أن جعل الناس ينفرون ويثورون، وكان من أثر ذلك أن كثر المتمرّدون من الصعاليك واللصوص وقطّاع الطرق، وهرب هؤلاء من السلطان وتغرّبوا وعاشوا حياة تشرد وتمرد، وخروج على العرف الاجتماعي، وقد صور مالك بن الريب (ت 60 هـ) هذه الحالة وعبر عن رأيه بتحدى السلطان الذي يأخذ، والأخذ له حق، أما ما عليه فيمنع⁽¹⁾:

أحقاً على السلطان أمّا الذي له فيعطى وأما ما يُراد فيمنع

وبين أبو الفرج سبب خروج مالك بن الريب على السلطان وتصعلكه، ثم توبّته وذهابه مع لاجند الفاتح في خراسان، فيقول⁽²⁾: «وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس، أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له، منهم شِظاظ وهو مولى لبني تميم، وكان أخبثهم، وأبو حَزْدَبَة، أحد بني أُمّالة بن مازن، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة، فساموا الناس شراً، وطلبهم مروان بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهربوا، وكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي، وعو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه، وبلغ مالك بن الريب أن الحارث يتوعده، فقال فيه قصيدة يستهين به، فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه، وأخذ أبا حَزْدَبَة، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكاً، فتغلّف مالك غلام الأنصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه، وقتله به، وشدّ على الأنصاري، فضربه بالسيف حتى قتله، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً.

(1) أشعار اللصوص ص 275.

(2) الأغاني 22 / 289-293.

ثم لحق بأبي حَزْدَبَة فتخلَّصه، وركبا إبل الأنصاري، وخرجا فراراً من ذلك هارين، حتى أتيا البحرين، واجتمع إليهما أصحابهما، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان بن عفان فاستصحبه، وقال مالك في مهربه متحدياً السلطان والجور الذي أخرجته، ومعتصماً بغربته في البوادي والقفار: (١)

أحقاً على السلطان أما الذي له	فيُعْطَى وأما ما يَسْرَأُ فيَمْنَعُ
إذا ما جعلتُ الرَّمْلَ بيني وبينه	وأعرضُ سهبٌ بين يبرينَ بَلْقَعُ (٢)
من الأدمى لا يستجُمُّ بها القطا	تكلُّ الرياحُ دَوْنَهُ فتَقْطَعُ
فشانكم يا آل مروان فاطلبوا	يسقاطي فما فيه لباغية مطمَعُ
وما أنا كالغَيْرِ المُقِيمِ لأهله	على القيدِ في بحبوحه الضَّئيمِ يرتَعُ
ولا رسولُ الله أن كان منكم	تَيِّنَ مَنْ بالنَّصْفِ يَرْضَى وَيَقْنَعُ

وكان مالك في غربته مع الصعاليك في جوف الصحراء غريباً مستوحشاً، ورغم ما يظهر من بطولة فهو خائف وجل يريد الأمن لو يستطيع، وكان في صحرائه وجلاً يتوقع الموت، فهو إما قاتل أو مقتول، يعبر عن وحشته واضطرابه، فهو في ليلة من الليالي كان نائماً، وكان لا ينام إلا متوشحاً بالسيف، فإذا هو بشيء قد جثم على صدره لا يدري ما هو، فانتفض مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فَقَدَّه نصفين، ثم نظر فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك: (٣)

(١) الأغانى 22 / 289-293، أشعار اللصوص ص 275.

(٢) يبرين: رمل لا تترك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة: معجم البلدان: يبرين. بلقع: جرداء.

(٣) الأغانى 22 / 294-295، أشعار اللصوص ص 278-279.

أدلجت في مهموم ما إن أرى أحداً
وضعت جنبي وقلتُ الله يكلوني
والسيف بيني وبين الشوبِ مُشعّره
ما نمتُ إلا قليلاً نفثه شُزراً
داهية من دواهي الليل بيّتي
أهويتُ نفحاً له والليل سائرُه
لأئسى الله عني شرّ عذوّته
أما ترى الدارَ قفراً لا أنيسَ بها
بين المنيّة حيثُ استنّ مدفعُها
وقد تقولُ وما تُخفي لجارتها
من يشهد الحربَ يصلها ويُسعّرُها
خذها فإني لَصْرَابٌ إذا اختلفتُ
حتى إذا حانَ تعريسُ لمن نزلنا
مهما تنم عنك من عينٍ فما غَفَلنا
أخشى الحوادثَ إني لم أكنْ وكِلا
حتى وجدتُ على جُثمانِي الثُقْلا
مُجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا
إلا توحيّته والجُرسُ فانخزلا
رقدتُ لا مُتَبَئِناً دُغراً ولا بَعِلا^(١)
إلا الوحوشُ وأمسى أهلُها احتملا
وبينَ فردةٍ من وحشيها قَبْلا^(٢)
إني أرى مالك بن الريب قد نحلا
تراهُ يَمّا كسته شاحبا وجِلا
أيدي الرجالِ بضربٍ يَخْتِلُ البَطْلا

وما كانت الصعلكة والاغتراب طبيعة في نفس مالك، ولكن ما أحاط به من ضميم وظلم جعله يخرج، فلما أتيت له الفرصة أن يعود إلى الحياة السوية عاد، وكان ذلك حين لقي سعيد بن عثمان في طريقه مع الجند إلى خراسان، قال له عثمان: ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد، وفيك هذا الفضل! قال: يدعوني إليه العجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيك واستصحبك، أتكفّ عما كنتَ تفعل؟ قال: إي والله أيها الأمير، أكفّ كفاً لم يكفّ أحدٌ أحسنَ منه، قال:

فاستصحبه، وأجرى له خمس مائة درهم في كل شهر.^(٣)

(1) البعل: الخائف، والدهش عند الروع.

(2) المنيّة: ماء لبني تميم على فليح بين نجد والبيامة، استن: وضع، فردة: جبل في ديار طيء يقال له فردة الشمس. معجم البلدان: المنيّة، فردة.

(3) الأغاني 22 / 288-289.

ومن عانى الحنين والغربة من شعراء العصر الأموي

من أولئك هدية بن الخشرم العذري (ت 50 هـ)، الذي قاسى الغربة واستبد به الحنين في هذا العصر، كان هدية قد أودع السجن لقتله ابن عمه وقد كانا في رحلة وصار كل منهما يحذو ويتغزل بأخت الآخر، فتنازعا وتقاتلا، وكان مصيره السجن بانتظار أن ينزل به القصاص، فهو يشكو الغربة، ويشتاق إلى الأهل والعودة إلى وطنه بعد غربته القاسية في السجن بانتظار الموت، ويمني نفسه النجاة: ⁽¹⁾

عسى الكَرْبُ الذي أمسيَتْ فيه يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قريبُ
فيأمن خائفٌ ويُفَكُّ عانٍ ويأتي أهْلَهُ النَّائي الغريبُ
ألا ليت الرياحَ مسخَّراتُ بحاجتنا تُبَاكِرُ أوتووبُ
فَتُخْبِرُنَا الشَّمَالُ إذا اتَّنا وتُخْبِرُ أَهْلَنَا عَنَّا الجنوبُ
فإنَّنا قد حلَّلنا دارَ بلوى فتُخْطِئُنَا المَنايا أو تُصِيبُ
فإنَّ يَكْ صَدْرُ هذا اليومِ ولَّى فإنَّ غداً لناظره قريبُ

والغربة مقرونة بالموت بعيداً عن الأهل والوطن في شعر مالك بن الربيع (ت 60 هـ)، فقد أصيب مالك وهو قافل من خراسان مع الجند الفاتح وصار يحتضر ويتنظر المنية، ويتخيل كيف يكون حاله حين يغادر أصحابه ويترك وحيداً، وماذا يكون من أمر أهله حين يصلهم النعي، وكيف سيبقى وحيداً في حفرته بعيداً عن وطنه وأهله: ⁽²⁾

غريبٌ بعيدُ الدارِ ثاوٍ بِقَفْرَةٍ يدُ الدهرِ معروفاً بأنَّ لا تدانِيا
تحمِلُ أصحابي عِشاءً وغادروا أخا ثِقَةً في عَرَصَةِ الدارِ ثاوريا
أقلُّبُ طرفي حوْلَ رحلي فلا أرى به من عيونِ المُنْسانِ مُراعِيا

(1) شعر هدية بن الخشرم ص 59-60، تحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت 1980

(2) ديوان مالك بن الربيع، ضمن شعراء اللصوص ص 297.

وبالرمْلِ مَنَّا نَسُوهُ لَوْ شَهِدْتَنِي بَكَيْتَ وَفَدَّيْتَ الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا
وما كان عهدُ الرملِ عندي وأهليهِ ذمياً ولا ودَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا
فمنهنَّ أُمِّي وابتأها وخالتي وبأكيَّةٍ أُخْرَى تَهْجُجُ الْبَوَاكِيا

ويحفل شعر العشاق العذريين بالوجد والشوق والحنين ومقاساة الغربة والاغتراب في ديارهم وبين قومهم، وفي نفهم وبعادهم، وكان قيس بن الملوح (ت 68 هـ)، أكثر الشعراء الذين قاسوا من الغربة، وحفل ديوانه بالشكوى من حيرته واغترابه، ولشدة ما يشعر من غربته في قومه يكرر في شعره كلمة غريب:⁽¹⁾

أَظُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبٌ
أَحَبُّ هَبْوَطِ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُسْتَهْرٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبٌ
وَمُسْتَوْحِشٍ لَمْ يُنَمَسِ فِي دَارِ غُرَبَةٍ وَلَكِنَّهُ مَمَّنْ يَوَدُّ غَرِيبٌ
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى وَلَكِنْ مَنْ تَنَائَنَى عَنْهُ غَرِيبٌ
فَوَادِي بَيْنِ أَضْلَاعِي غَرِيبٌ يُنَادِي مَنْ يُحِبُّ فَلَا يُجِيبُ

ويقول في قصيدة ثانية:

وَمَغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي بِشَجْوِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمَسْعُودُونَ عَلَى الْحَبِّ
أَبْقَى أَسِيرَ الْحَبِّ فِي أَرْضِ غُرَبَةٍ وَحَادِيكُمْ يَحْدُو بِقَلْبِي فِي الرُّكْبِ

ويقول في قصيدة ثالثة:

فَلِي قَلْبٌ مَحْزُونٌ وَعَقْلٌ مُدَلَّلٌ وَوَحْشَةٌ مَهْجُورٌ وَذُلٌّ غَرِيبٌ

فالمجنون غريب في أرض بني عامر، وغريب في تشرده، وغريب في وحدته وتجواله، فغربته غربة لها دلالات نفسية، فهو يشعر بالغربة وهو بين أهله، ويلتجىء إلى

(1) ديوانه ص 55، 54، 52، 61، 77، 63، 81 على التوالي، تحقيق عبد الستار فراج، ط مكتبة مصر 1965.

الصحاري والجبال ليشعر بالطمأنينة ونفي الاغتراب، وقد ذكر له الأصفهاني في كتاب الأغاني مقطعات من شعره يشكو فيها آلام الغربة والحنين إلى ليل وديارها، وما يقاسيه في البعد عنها، فهو يحس أنه طريد غريب يائس مبعّد عن حبيبته التي منته الأماني ثم صدت عنه وحققت بذلك شجاة عذاله وأعدائه: (١)

وأفردتُ إفرادَ الطريدِ وباعدت إلى النفسِ حاجاتٌ وهُنَّ قريبُ
لشْنِ حالٍ يأسٌ دونَ ليلٍ لرُبما أتى اليأسُ دونَ الأمرِ فهو عصبُ
ومَنِّيتني حتى إذا ما رأيتني على شرفٍ للناظرينَ يُريبُ
صدّدتِ وأشمتَ العدوَّ وبصّرمتنا أثابك ياليلِ الجزاءِ مُثيبُ

ويخاطب في قصيدة أخرى حبيبته ليلي ويصف حاله من السوء والمرض ولم يُبقِ حبُّها فيه إلا الجلدَ والعظم، ثم يستعطفها أن تعدّه وعداً فقد يجلو هذا الوعد منها هموم قلبه، وإن بليتّه في هذا الحب لا تشبه بلية أحد قبله: (٢)

لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ على كيدي من طيبٍ أرواحها برّدُ
فما زلتُ مغشياً عليّ وقد مضت أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا ردُّ
أُقلِّبُ بالأيدي وأهلي بعولةٍ يُقدُّونني لو يستطيعون أن يفدوا
ولم يبقَ إلا الجلدُ والعظمُ عارياً ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جلدُ

ويخاطبها ويستجدي منها وعداً يذهب عنه غربته ويكشف كربته:

أدنيائي مالي في انقطاعي وغُرْبتي إليك ثوابٌ منك دَيْنٌ ولا نقدُ
عديني - بنفسي أنت - وعداً فرُبما جلا كُربةَ المكروبِ عن قلبه الوعدُ
وقد يُبتلى قومٌ ولا كيِّلَني ولا مثلَ جدِّي في الشقاءِ بكم جدُّ

(١) الأغاني ٢/ 58 - 59.

(٢) الأغاني ٢/ 59 - 60.

غَزَنِي جَنُودَ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ أَتَى جُنْدُ

واشتد به الحب حتى ذهب عقله فهام في الصحاري، ولا يدري أين هو، ويسأل عن التوباد: أين هو؟ وللتوباد في نفسه مكان هو الحياة، يقول أبو الفرج: «لأن المجنون كان وليلى وهما صبيان يرعيان غنماً لأهلها عند جبل التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر أيامَ كان يُطيفُ هو وليلى به، جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا ثابَّ إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهاهم: بأبي أنتم، أين التوباد من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأَمَّه»، وهكذا يهيم في البراري حتى يقع في أرض اليمن، فيسأل عن التوباد فيرشدونه بالاهتداء بالنجوم، حتى إذا بلغ التوباد أجهش وصار يناديه ويشكو إليه حاله وغربته وما نزل به من الهيام والضياء ويتخيل أن الجبل يحاوره:»⁽¹⁾

وَأَجْهَشْتُ لِلتُّوبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَى
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لِمَا عَرَفْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ وَعَهْدِي بِذَلِكَ الصَّرْمِ مِنْذُ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لِأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا فِرَاقَكَ وَالْحَيَّانِ مَجْتَمِعَانِ
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبْلًا وَدِيمَةً وَسَحًّا وَتَسْجَامًا إِلَى هَمَلَانِ

وحين يكون الشاعر غريباً عن الأهل والوطن يشتد حنينه وتستعر أشواقه إلى وطنه ومرتع صباه، فيتمنى أن يرجع إلى الحمى، ويزداد شوقه وحنينه وبكاؤه إذا كان جريحاً مختصراً يعاني سكرات الموت وهو غريب في خراسان، كما كان حال مالك بن الربيع (ت

60 هـ) الذي يحن إلى وادي الغضى، ويكرر ذكره مرات في قصيدته متمنياً أن يقضي فيه ولو ليلة واحدة: (1)

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عَرْضَهُ وليت الغضى ماشا الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى مزارٌ ولكن الغضى ليس دانيا

ويشتد الحنين بعروة بن جانيء العجلاني أو قيس بن الملوح (ت 68 هـ) إلى الحجاز وإلى أحبابه في نجد، وهو ملتحق شوقاً وقلبه في وجيب دائم وعينه تذرّفان الدمع هوىً وحنيناً إلى من يحب في تلك الديار: (2)

أحنُّ إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دوتها الطُرف بقصرُ
وما نظري من نحو نجد بنافعي أجل لا ولكني على ذاك أنظرُ
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة لعينيك يجري ماؤها يتحدّرُ
متى يستريح القلب إمّا مجاورُ حزينٌ وإمّا نازحٌ يتذكّرُ

وبعد مشهد الفراق والوداع المؤثر الحزين الممزوج باللهفة والدموع يذكر شوقه وحنينه - وهو في مصر مبعداً - إلى وطنه ووطن حبيبته في وادي القرى، ويتمنى أن يبيت فيه ولو ليلة واحدة، يقول - كما قال مالك بن الريب - وكبّده تتقطع شوقاً ولهفة:

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً بوادي القرى إني إذن لسعيدُ
وهل ألقين سعدى من الدهر مرةً ومارت من جبل الصفاء جديداً
وقد تلتقي الأهواء من بعد يأسٍ وقد تُطلب الحاجات وهي بعيدُ

(1) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي 2/ 759-760، تحقيق محمد علي الهاشمي، ط الرياض 1981.

(2) الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 44، معجم البلدان: نجد، الحماسة البصرية 2/ 135 لعروة العجلاني، ولجنون ليل

في ديوانه ص 126، الزهرة 1/ 203 دون عزو.

وكان فراق الأهل والصحب والوطن غصة في حلق الشعراء، وألماً شديداً يعانون منه والفراق عليهم صعب، دونه الموت، فهم يذرفون الدمع السخي عند الوداع، يقول مجنون ليلي: (١)

ولاني لُفني دمعَ عيني من البكا حذاراً لأمرٍ لم يكن وهو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ فراقٌ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي بكفِّي إلا أن ما حانَ حائنُ

ويشتاق ابن مفرغ الحميري (ت 69 هـ) إلى حبيبته جُمانَ ويستثيره البرق اليماني فيحن إلى ديارها وأيامه وإياها، ويذكر المواطن التي نعم بها معها، ويحن للماضي السعيد فيبكي شوقاً وحناناً، ويتحاور وصاحبه عن الحبيبة وديارها والماضي السعيد: (٢)

سما برقَ الجُمانِ فاستطارا لعلَّ البرقَ ذاكَ يحورُ نارا
قعدتُ له العشاءَ فهاجَ شوقي وذُكرني المنازلَ والديارا
دياراً للجُمانِ مقفراتٍ بليّنَ وهجنَ للقلبِ ادكارا
فلم أملكُ دموعَ العينِ مِنّي ولا النفسَ التي جاشتَ ورا
فسرّقَ فالقرى من صَهْرَتاجٍ فدَيّرَ الراهبِ الطللَ القفارا
فقلتُ لصاحبي عَرّجَ قليلاً تُذاكِرُ شوقنا الدُّرسَ البوارا
بأيةٍ ما عَدّوا وهمُ جميعُ فكادَ الصَّبُّ يتجرّ انتحارا
فقال بگوا لفقدِكَ مُنْذُ حينٍ زماناً ثم إنَّ الحَيَّ سارا
بدجلةٍ فاستمرَّ بهم سفينُ تُشُقُّ صُدُورَها اللُّجَجَ الغبارا
كانَ لم أغنَ في العرصاتِ منها ولم أذعُرْ بقاعتِها صوارا

(1) السابق والصفحة.

(2) ديوان ابن مفرغ الحميري ص 130 - 133، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.

ولم أسمع غناء من خليل مَقْرَظَتي خَلَعَ العذارا

وكان عمرو بن الوليد بن عقبة المعروف بأبي قطيفة (ت 70 هـ) قد نفاه عبد الله ابن الزبير مع من نفى من بني أمية عن المدينة إلى الشام، فلما طال مقامه بالشام صار يحن إلى المدينة ويتمنى العودة إلى مرابع عزه وصباه: (1)

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا قباء وهل زال العقيق وحاضرة
وهل برحت بطحاء قبر محمد أراهط غر من قريش ثباكرة
لهم مُتَتَهَى حُبِّي وصفو مودتي وتحض الهوى مني وللناس سائرة

ويكثر شوقه وحنينه إلى المدينة ويذكر مواضعها ويسأل عما حل بها بعد فراقها، ويتمنى لو عاد إليها، وإذا لمح برق سحابة تلمع ناحية الحجاز تحركت أشجانه شوقاً إليها، ولكن هيهات فقد أُخْرِجَ منها قسراً وهو بالشام غريب وقلبه متعلق بالمدينة: (2)

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جُبُوبُ المصلى أم كعهدي القرائن
وهل أذوُرُ حول البلاط عوامر من الحَيِّ أم هل بالمدينة ساكن
إذا برقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها التيامن
فلم أتركها رغبة عن بلادها ولكنهُ ما قدَّر الله كائن

وحين يرحل الشاعر من بلده طلباً للرزق في مديح الولاة، وتطول الإقامة يدفعه الشوق والحنين إلى العودة إلى الوطن، فينظم قصيدة تصور حنينه وشوقه إلى موطنه، ويرفق به الممدوح فيأذن له بالعودة، وهذا ما كان من أمر أمية بن أبي عائذ العُمري (ت

(1) الأغاني 1/ 34.

(2) الأغاني 1/ 36.

75 هـ) الذي رحل إلى عبد العزيز بن مروان بمصر، فأكرمه عبد العزيز واستبقاه، ولكنه حنَّ إلى الأهل والوطن، فقال يصور هذا الحنين ويشرك فيه راحلته: (1)

متى ركبُ من أهل مصرَ وأهلُهُ بمكَّةَ من مصرَ العشيةَ راجعُ
بلى إنها قد تقطعُ الحرقَ ضَمَرُ ثُباري السرى والمُغسِفونَ الزعازعُ
متى ما تُجْزها يابنَ مروانَ تعترفُ بلادَ سُلَيْمى وهي خوصاءُ ضالعُ
وبانت تَوْمُ الدارَ من كلِّ جانبٍ لتُخْرِجَ واشتدَّتْ عليها المصارعُ
فلما رأتُ ألاَّ خروجَ وإنما لها من هواها ما تُجِنُّ الأضالعُ
تمطَّتْ بمجدولٍ سِبْطِرٍ فطالعتُ وماذا من اللُّوحِ اليماني تُطالعُ

فعرِف عبد العزيز شوقه إلى أهله، فوصله وأذن له.

ويذكر عبيد الله بن قيس الرقيات (ت 75 هـ) حياته بمكة وغزله بمن يحب ثم رحيله وما نزل به من غربة ورحيل وما شهد من أحداث وحروب، ويذكر المدن التي مر بها وعانى آلام النقلة والسفر، ويحكي ما نزلت به من مصائب وأحداث، ويبكي عزه الذي زال بعد أن كان ينادم الملوك، أما وقد تغير الزمان فهو الآن غريب يحن إلى وطنه وماضيه: (2)

حبُّذا الحُجُّ والثُّرَيَّا وَمَنْ بالـ خَفِيفٍ من أجْلِها ومُلْقِي الرِّحالِ
دُرَّةٌ من عقائلِ البَحْرِ بِكُرٍّ لم تَنَلْها مِثاقِبُ الأَلالِ
تَعَقُّدُ المِشْزَرِ السُّخَامِ من الحـ زُ على حَقْوِ بادِنِ مِخْسالِ
قَطَنَتْ مَكَّةَ الحِرامَ فَسَطَّتْ وَعَدَدْتُني نَوائِبُ الأشْغالِ

وبعد هذا الشوق والغزل يذكر ما نزل به من قتل وقتال وهجرة وأخطار:

(1) الأغاني 24 / 12-13.

(2) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص 112-116، تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.

إن تريني تَغَيَّرَ اللَّوْنُ مَنِي
فَظِلَّالُ الشُّيُوفِ شَيَّيْنَ رَاسِي
وَاعْتَرَابِي مِنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ
وَمَلُوكُ فَارَقَتْهُمْ أَفْرَدُونِي
أَفْقَرْتُ مِنْهُمْ الْفَرَادِيسُ فَالْغَوْ
فَضْمَيْرٌ فَالْمَاطِرُونَ فَحُورًا
لَمْ تُجِنِّي مِنْهَا الطُّلُوعُ وَلَمْ أَمُ
وَتَذَكَّرْتُ مَغْشَرِي وَمُكُمْ كَأَمْ
مُلْكُهُمْ صَالِحٌ وَدَهْرُهُمْ دَهْمٌ

وعلا الشيبُ مَفْرَقِي وَقَدْ أَلِي
وَطِعَانِي فِي الْحَرْبِ صُهْبَ السَّبَالِ
بِبِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ
وَصُرُوفِ الْأَيَّامِ بِي وَاللَّيَالِي
حَلَّةٌ ذَاتُ الْقُرَى وَذَاتُ الظِّلَالِ
نُ قِفَارٌ بِسَائِسِ الْأَطْلَالِ
لِيكَ دُمُوعاً تَسِيلُ كَالْأَوْشَالِ
نَوَا مُلُوكاً فِي سَالِفِ الْأَحْوَالِ
رَّ نَقِيٍّ وَشَرُّهُمْ غَيْرُ عَالِي

وكذلك يقال في بقية الشعراء العذريين من كثرة الشوق والحنين.

ويكثر طهمان بن عمرو الكلابي (ت 80 هـ) من ترديد لفظ الغربة في أبياته، فهو وصاحبه العباسي غريبان في مذجج: (1)

وإني والعبسي في أرضٍ مَدَجَجٍ
غريبانٍ مجفوانٍ أَكْثَرُ هَمِّنا
وما كان غَضُّ الطرفِ مَنَاسِجِيَّةً
ولكنَّنا في مَدَجَجٍ غَرِيبانٍ
غريبانٍ شَتَّى الدَّارِ مُخْتَلِفانٍ
وجيفُ مطايانا بِكُلِّ مَكَانٍ

وفي البلاد النائية تزداد آلام الغربة يقول الشمردل اليربوعي (ت 80 هـ) في رثاء أخيه وائل ويذكر وحدته وغربته بعيداً عن الأهل والديار، ويحن إليه أخوه الشمردل ويرسل إليه أشجانه ونحياته: (2)

سقى جدناً أَكْثَفَ غَمْرَةً دَوْنَهُ
بهضبة كُتْمَانَ الْمَدِيمِ وَوَابِلُهُ

(1) ديوانه ص 61 تحقيق عبد الجبار المعيد، ط بغداد 1968.

(2) شعر الشمردل ص 541 ضمن شعراء أمويون.

بمشوى غريب ليس منا مزاره
إذا ما أتى يوم من الدفر يبتنا
وكل سنا برقي أضاء ومغرب
تحية من أدى الرسالة حبيث
قريباً ولاذو الوء منا يواصلة
فحيالك منا شرقه وأصائله
من الشمس وافي جئح ليل أوائله
إلينا ولم ترجع بشيء رسائله

ويذكر الغربة وتفرق الصحب والرفاق فيأرق ويهجره النوم، ويطول أرقه وهو
يرعى النجوم حزناً مفكراً متشوقاً لجمع الشمل واللقاء، وقد تقسم قلبه أثلاثاً ثلث لمن
يحب في البادية، وثلث لصحبه في الحاضرة، وثلث لرفاقه الأسرى وفي السجون، وليس له
إلا أن يدعو الله سبحانه أن يُزيل الغمة ويجمع الشمل: ^(١)

يا أم حرب برى جسمي وشيئي
ونام صحي واحتمت لعادتها
أرعى الثرياً تفوذ الثاليات معاً
معارضات سهلاً وهو معترض
قلبي ثلاثة أثلاث لبادية
لكلهم من فوادي شعبة قيسمت
إن يجمع الله شعباً بعدد قرقتي
من الخطوب التي تبري وتعترق
بالكوفة العين حتى طال ذا الأرق
كما تتابع خلف الموكب الرق
كانه شاة زمل مفرد لحق
وحاضر وأسير دوة غلق
فشفني الهم والأحزان والشفق
فقد تريغ إلى مقدارها الفرق

وكانت أصبهان مأوى المغتربين سواء الذين هاجروا إليها واستوطنوها، أم الذين
ذهبوا مع الجيش الفاتح وطالت إقامتهم، أو أصابتهم النكبات، ووجدوا أناساً غير
الذين بظنونهم، ففيهم الكره والحقد، ولذلك كان المغتربون يتذمرون ويشكون الغربة

(١) شعر الشمر دل ص 535-536.

والبعاد ويحنون إلى أوطانهم، وهذا ما كان يعانيه أعشى همدان (ت 83 هـ) الذي يصور حاله ويقول: ⁽¹⁾

وكانت أصبهان كخير أرضي لمغترِبٍ وصعلوكٍ عديمٍ
ولكنَّنا أتيناها وفيها ذروا الأضغانِ والحدِّ القديمِ
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتني وجوهٌ ما تحبُّرُ عن كريمِ
وكان سفاهةً مني وجهلاً مسيري لا أسيرُ إلى حميمِ

وقد عانى الأعشى من غربة الأسر والسجن، فقد أرسله الحجاج غازياً إلى بلاد الديلم، فأُسِر وعاش مرارة السجن غريباً في بلاد الأعاجم، يعاني مرارة السجن وهموم الغربة، فيحدث نفسه وهو في الأسر، يتذكر أيامه السعيدة في وطنه، ويعرج على ما أصابه وهو أسير، يقول من قصيدة معزياً نفسه: ⁽²⁾

وإذا تُصِبَكَ من الحوادثِ نكبةٌ فاصبرِ فكل مصيبةٍ ستكشفُ
ولئن بكيتُ من الفراقِ صبابَةً إنَّ الكبيرَ إذا بكى ليُغنِفُ
عجباً من الأيامِ كيفَ تصرَّفتُ والدارُ تدنو مرةً وتقذِفُ
أصبحتُ رهناً للعُداءِ مُكَبَّلاً أمسي وأصبحُ في الأدهامِ أرْسُفُ

ويذكر حياته قبل الأسر وبطولته وليس له الآن إلا الصبر:

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جذلانَ أبي أن أضامَ وأنفُ
واستنكرتُ ساقِي الوثاقِ وساعدي وأنا امرؤُ بادي الأشاجعِ أعجفُ
ولقد تُضَرَّسُني الحروبُ وإنني ألقى بكلِّ مخافةٍ أتَعَسَفُ
فأصابني قومٌ فكنْتُ أصيبهم فالآنَ أصبرُ للزمانِ وأعرفُ

(1) أعشى همدان ص 341، ضمن كتاب الصبح المنير.

(2) أعشى همدان ص 335، الأغاني 45/6.

إِنِّي لَطَلَّابُ الثَّرَاتِ مُطَلَّبٌ وَيَكُلُّ أَسْبَابَ الْمَنِيَةِ أَشْرَفُ

ولم يطل أسره إذ استطاع أن يهرب بمساعدة بنت العِلاج الذي أسره، فقد أحبته
وهربت معه وتزوجها.

وكذلك كان جميل بن معمر (ت 82 هـ) يحن إلى وطنه ووطن حبيبته في وادي
القرى، ويصور وداع بثينة وهو راحل إلى مصر، مبعداً بأمر السلطان، وكله شوق ولهفة
أن يعود الماضي السعيد: ⁽¹⁾

ألا ليت أيام الصفاء جديداً	ودهراً تولى يا بُثَيْنَ يعودُ
فنغنى كما كنّا نكون وأنتم	صديق وإذ ما تبذكين زهيدُ
وما أنسَم الأشياءَ لا أنسَ قولها	وقد قرّبتَ نضوي أمصر تُريدُ
ولا قولها لولا العيونُ التي ترى	أنتِكَ فاعذُزني فدتكُ جُودُ
خليليّ ما أخفي من الوجدِ ظاهرُ	فدمعي بما أخفي الغداةَ شهيدُ
ألا قد أرى والله أن رُبَّ عبرة	إذا الدائرُ سَطَطَ بيننا سترودُ

وكان الحارث بن خالد المخزومي (ت 85 هـ) يحن إلى وطنه مكة ويشتاق إليها،
ويفضلها على كل أرض وبلد، حتى الشام بما فيها من خير وجمال، ومركز الخلافة الأموية،
فإنه لا يريد لها ويفضل عليها أرضه ومراته صباه، وكان يُعرِّض بهذه الأبيات بعائشة بنت
طلحة التي يحبها ويتغزل بها، وقد رحلت إلى الشام، يقول: ⁽²⁾

من كان يسأل عَنَّا أينَ منزلُنا فالأقحوانة مِنَّا منزلٌ قَمَنُ ⁽³⁾

(1) ديوان جميل ص 57، 61، ط عالم الكتب بيروت 1996.

(2) شعر الحارث بن خالد المخزومي ص 140-142، تحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار القلم، الكويت 1983.

(3) الأقحوانة: موضع قرب مكة، قال الأصمعي: هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام. معجم البلدان: الأقحوانة 1/ 234. وهناك أكثر من موضع بهذا الاسم.

إذ نلبس العيش صفواً ما يكدّرهُ
ليت الهوى لم يقرّني إليك ولم
من كان ذا سكّن بالشام يالفهُ
وإنّ ذا القصر حيّ مابه وطني
إذ الحجاز خوى بمنّ نسر به
طعن الوشاة ولا ينّبوا بنا الزمن
أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن
فإنّ في غيره أمسى لي السكّن
لكن بمكة أمسى الأهل والوطن
والحاج داج به مغرورق تُكنّ

ولا يجد الشاعر بديلاً عن وطنه مهما كان جميلاً، فالحنين دائماً إلى من يحب من أهل وأرض ومنازل، فهذا وضاح اليمن (ت 90 هـ) لا يرى في الشام على خصبها وجمالها ما ينسيه وجده إلى مسقط رأسه ودياره في شعاب باليمن، فهناك مراتع صباه وأحبابه الذين يشتاق إليهم، ولا تنسيه المواطن الجديدة ذكرياته وأحبابه في أرضه ووطنه: ⁽¹⁾

أبت بالشام نفسي أن تطيأ
تذكرت المنازل من شعوب
سبوا قلبي فحلّ بحيث حلّوا
ألا ليت الرياح لنا رسول
فتأتكم بما قلنا سريعاً
ويبلغنا الذي قلتم قريباً
تذكرت المنازل والحييا
وحياً أصبحوا قطعوا شعوباً ⁽²⁾
ويعظم أن دعوا الأجييا
إليكم إن شألاً أوجنوبا
ويبلغنا الذي قلتم قريباً

ويذكر حبيته روضة وما فعل به حبها، فهو لا يستطيع سلوها، ويحبها أبداً في

القرب أو البعد :

ألا ياروض قد عدّبت قلبي
ورقّني هواك وكنّ جلدأ
أما ينسيك روضة شحط دار
ولا قُرب إذا كانت قريباً!!
فأصبح من تدّركم كئيباً
وأبدى في مفارقي المشيا

(1) الأغاني 6/ 229-230، ديوان وضاح اليمن ص 31.

(2) شعوب: موضع باليمن، وفيه قصر شعوب المعروف بالارتفاع، وقيل إن شعوب بسانين بظاهر صنعاء. ياقوت: شعوب.

ويرحل عمر بن أبي ربيعة (ت 93 هـ) إلى اليمن، ويشتاق إلى وطنه مكة ومرابعها وأحبابه فيها، ويحن إليهم ويذكر أيامه وإياهم، ومن شغفه ببلده يذكر المنازل التي تحل بها حبيبته، ويحاورها ويذكرها ما قال وقالت في تلك المواطن الحبيبة إلى نفسه:⁽¹⁾

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا يا وهب إذ نزلت نوالك عنا ولا أوطانكم وطني
فلمست أملك إلا أن أقول إذا ذكرت: لا يبعدنك الله يا سكني
يا وهب إن يك قد شط البعاد بكم وفرق الشمل منا صرّف ذا الزمن
فكم وكم من حديث قد خلوت به في مسمع منكم أو منظر حسن

ويحن الصمة القشيري (الصمة بن عبد الله ت 95 هـ) إلى وطنه الحمى، كل الحمى بما فيه من وهاد وهضاب، ويمثل قلبه وهو يخفق بشدة حين يذكر الحمى وأهله كأنه متعلق بجناح طائر:⁽²⁾

تعزبصير لا وجدك لا ترى سنام الحمى أخرى الليالي الغواير⁽³⁾
كان فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى ينفوبه ريش طائر

ويشتاق الصمة القشيري إلى نجد وأهلها، فهي بمرابعها وحماها جميلة في كل فصول السنة صيفاً وربيعاً، ولا يريد لها فراقاً، ومن حب نجد الوطن وشوقه إليها تكاد تتصدع كبده خشية الفراق، ولا يملك عند الفراق إلا الحنين والشوق والبكاء:⁽⁴⁾

(1) ديوان عمر ص 283-284.

(2) الصمة القشيري، حياته وشعره ص 98، جمع وتحقيق خالد الجبر، ط جامعة البترا، عمان 2003.

(3) سنام: جبل قريب من البصرة، ياقوت: سنام.

(4) الصمة القشيري حياته وشعره ص 110.

قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرِّبَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
وَمَا أَحْسَنَ الْمُضْطَافَ وَالْمُتَرَبِّعَا
عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
عَلَيْكَ وَلَكِنْ نَحْلُ عَيْنَيْكَ تَذَمُّعَا

وتذكر الأخوان في الغربية مع نزول المصائب يزيد الأوجاع، كان يزيد بن معاوية قد أمر عبيد الله بن زياد أن يأخذ عبد الله بن همام السلولي (ت 100 هـ)، فسأله أن يكفله عريفه وكان اسمه مالكا، ففعل، إلا أن ابن همام هرب وأخذ عريفه ولحق بيزيد بن معاوية يستجير به، فقال بعدها هذا الشعر يصور حاله ومحتته: (1)

بَكَيْتَ الْعَشِيرَةَ إِذْ فَارَقُوكَ
أَقُولُ لِعِثْمَانَ: لَا تَلْحُنِي
غَرِيبٌ تَذْكُرُ إِخْوَانَهُ
وَكَّرَهْنِي أَرْضَكُمْ أَنَّنِي
فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُ
عَرِيفًا مَقِيمًا بَدَارِ الْهَوَانِ
لَأَنَّكَ فِيهِ وَأَوْطَانُكَ
أَفُقُ عُثْمَ عَنْ بَعْضِ تَعْذَالِكَ
فَهَاجُوا لَهُ سَقْمًا نَاهِكَا
رَأَيْتُ بِهَا مَالِكًا فَاتَكَ
نَجُوتُ وَأَرْهَنَهُم مَالِكَا
فَأَهْوَنُ عَلَيَّ بِهِ هَالِكَا

وكان الخطيم المحرزي (ت 100 هـ) سجيناً في نجران، يشكو غربته ويحن إلى أهله ودياره، ويتمنى لو عاد وبات قرير العين في ربوع وطنه التي يذكرها ويحن إليها: (2)

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَهْبَطَنَ رَوْضَ الْقَطَاغِيرِ خَائِفٍ
وَهَلْ أَسْمَعَنَ يَوْمًا بَكَاءَ حَمَامَةٍ
تَنَادِي حَمَامًا فِي ذُرَى تَنْضِبِ خُضْرِ
بِأَعْلَى بِلْدِي ذِي السَّلَامِ وَذِي السُّنْدِ
وَهَلْ أَصْبَحَنَ الدَّهْرَ وَسَطَ بَنِي صَخْرِ

(1) شعر عبد الله بن همام السلولي ص 84-85، جمع وتحقيق وليد السراقي، ط دبي .

(2) شعراء أمويون 1/ 258.

وهل أرين يوماً جياداً أقودها بذات الشقوق أو بأنفائها العفر
 وهل تقطعن الحرق بي عيدهة نجاة من العيدي تمرح للزجر
 ويتمنى أن يعود الخير ويجتمع الشمل بأهله وأحابه وذوي قرياه، ويسعد بحياة
 العز بعد البعد والجور والعذاب:

وهل أرين بين الخفيرة والحمى حمى النهر أو يوماً بأكتبة الشعر
 جميع بني عمي الكرام وإخوتي وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر
 أخلائني لم يشمت بنا ذو سناء ولم تضطرب مني الكشوح على غمر

وتردد في شعر العذرين ألفاظ الغربة، فالشاعر غريب في دياره ما دامت حبيبته
 بعيدة عنه، أو هو محروم منها ومن وصلها، من ذلك أن كثير عزة (ت 105هـ) يشكو من
 غربته وضغط الشوق والحنين عليه: (1)

إلى الله أشكوا إلى الناس حُبها ولا بد من شكوى حبيب يؤدع
 وأكتم ودًا في الفؤاد مجتمعا تَصْلَعُه مني ضمير وأضلع
 ألا تتقين الله في حُب عاشق له كَبِدُ حَرَى عليك تصدع
 غريب مشوق مولع بأذكركم وكل غريب الدار بالشوق مولع
 وجذت غداة البين إذ بنت زفرة وكادت لها نفسي عليك تصدع
 وأصبحت مما أحدث الدهر خاشعاً وكنت لريب الدهر لا أتضعض

ويشعر من شدة ما يلاقه من حب ووجد أنه غريب هائم في البراري: (2)

وما زلت من ذكراك حتى كأنني أميم بأكناف الديار سليب³
 وحتى كأني من جوى الحب منكم سليب بصحراء البريح غريب

(1) ديوانه ص 176-177، ط دار الجليل، بيروت 1995.

(2) ديوانه ص 48-49.

(3) الأميم: المصاب في أم رأسه.

أَبْنُكَ مَا أَلْقَى فِي النَّفْسِ حَاجَةً لَهَا بَيْنَ جُلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ

ورحل الأحوص (ت 105 هـ) من المدينة إلى الأردن قاصداً يزيد بن عبد الملك، وهو في عَمَّان وقد طال به المقام، وحن إلى وطنه ودياره في المدينة، وكثيراً ما تهيج البروق البيانية أشجان المغتربين فيحنون إلى أوطانهم، فصار يشواق، ويذكر مراعٍ الصبا ويسميه، ويحن إلى أرضها وأهلها، وتنهمر الدموع من عينيه شوقاً وحناناً، فيشد: (1)

أَقُولُ بِعَمَّانَ وَهَلْ طَرَبِي بِهِ إِلَى أَهْلِ سَلْعٍ إِنْ تَشَوَّقْتُ نَافِعُ
أَصَاحِ أَلَمْ تَحْزُنْكَ رَيْحُ مَرِيضَةٍ وَيَزُقُّ تَلَالَا بِالْعَقِيقِينَ لَامِعُ
فَإِنَّ غَرِيبَ الدَّارِ مِمَّا يَشَوَّقُهُ نَسِيمُ الرِّيحِ وَالْبُرُوقِ اللُّوَامِعُ
نَظَرْتُ عَلَى قَوْتٍ وَأَوْقَى عَشِيَّةً بَنَا مَنْظَرٌ مِنْ حِضْنِ عَمَّانَ يَافِعُ
لَأُبْصِرَ أَحْيَاءَ بَخَاخٍ تَضْمَنْتُ مَنَازِلَهُمْ مِنْهَا التَّلَاحُ الدَّوَاعُ
وَمِنْ دُونِ مَا أَسْمُو بِطَرْفِي لِأَرْضِهِمْ مَعَانٌ وَمُغَرٌّ مِنَ الْيَدِ وَاسِعُ
فَأَبْدَتْ كَثِيرًا نَظَرِي مِنْ صَبَابَتِي وَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا تُجِنُّ الْأَصَالِغُ

ويذكر حبيبته التي فارقها وهو طائع، ولكن الشوق قد غلبه الآن فهو ييكي،

ويتمنى لو عاد والتقى بالأحباب والأوطان:

وَكَيْفَ اشْتِيَاقُ الْمَرْءِ يَيْكِي صَبَابَةً إِلَى مَنْ نَأَى عَنْ دَارِهِ وَهُوَ طَائِعُ
وَلِلْعَيْنِ أَسْرَابٌ تَفِيضُ كَأَنَّمَا تُعَلُّ بِكُحْلِ الصَّبَابِ مِنْهَا الْمَدَامِعُ
لَعَمْرُ ابْنَةِ الزَيْدِيِّ إِنْ أَذْكَارَهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِلْفَوَادِ لِرَائِعُ
وَلَا يِلْهَا حَيْثُ طَارَتْ بِهَا النَّوَى مِنَ الْعَوْرِ أَوْ جَلَسَ الْبَلَادِ لِنَازِعُ

(1) ديوان الأحوص ص 183-185، تحقيق عادل سليمان، ط 2 الخانجي، مصر، بعد 1990.

وكان الطرماح بن حكيم (ت 125 هـ) في قزوين شمالي إيران، ونظر إلى البرق
اليمني يلمع في كبد السماء فاشتاق إلى وطنه وحنَّ إلى جبلي طيء؛ أجأً وسلمى، وتذكر
أهله وصحبه وأحبابه، ومن يحب من نساء الحيّ، فهاجت أشجانه: ⁽¹⁾

طَرِبْتَ وَشَاقَكَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي	بَفَجِّ الرِّيحِ فَجَّ الْقَافُزَانِ
أَضْوَاءُ الْبَرْقِ يَلْمَعُ بَيْنَ سَلْمَى	وَبَيْنَ الْهَضْبِ مِنْ جَبَلِيَّ أَبَانِ
أَضْوَاءُ الْبَرْقِ بِتَّ تَشِيمُ وَهَنًا	لَقَدْ دَانَيْتَ وَيَحْكُ غَيْرَ دَانِي
أَلَمْ تَرَ أَنَّ عِزْفَانَ الثَّرِيَّا	يُمَيِّجُ لِي بِقَزْوِينَ اخْتِزَانِي
خَلِيلِي مُدَّ طَرَفَكَ هَلْ تَرَى لِي	ظَعَانَنَ بِاللَّوَى مِنْ عَوَّكَلَانِ
ضَعَانَنُ لَوْ يَصِفُنَ بِدِيرِ لَيْلِ	مَنَى لِي أَنْ أَلَا قِيَهَنَ مَانِي

أما نصيب الشاعر (ت 108 هـ) فيحن إلى أحبابه وهم في مصر بالخوف قرب
دمياط، ويهيج أشجانه البرق وهو غريب في سفر، فيسهر ليلة يحلم بأحبابه ويناجيهم: ⁽²⁾

سَرَى الْهَمُّ تَشْنِينِي إِلَيْكَ طَلَائِعُهُ	بِمَصْرَ وَبِالْخَوْفِ اعْتَرَنِي رَوَائِعُهُ
وَيَاتِ وَسَادِي سَاعِدٌ قَلَّ لَحْمُهُ	عَلَى الْعِظَمِ حَتَّى كَادَ تَبْدُو أَشَايِعُهُ
وَكَمْ دُونَ ذَاكَ الْعَارِضِ الْبَارِقِ الَّذِي	لَهُ اشْتَقْتُ مِنْ وَجْهِ أُسَيْلَ مَدَامِعُهُ
تَمَثَّلِي بِهِ أَفْنَاءُ بَكْرٍ وَمَذْجِجِ	وَأَفْنَاءُ عَمْرٍو وَهُوَ خِضْبُ مَرَابِعُهُ
أَعْنِي عَلَى بَرْقِ أُرَيْكَ وَمِیْضُهُ	تُضْهِئُ دُجْنَائِ الظَّلَامِ لَوَامِعُهُ
إِذَا اكْتَحَلْتَ عَيْنَا مُحِبِّ بَضْوَتِهِ	تَجَافَتْ بِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ مَضَاجِعُهُ
قَعَدْتُ لَهُ ذَاتَ الْعِشَاءِ أَشِيمُهُ	وَأَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَطَالِعُهُ
هَنِيئًا لَأَمْ الْبَخْتَرِي الرَّوَّى بِهِ	أَنْهَجَ الْحَبْلُ الَّذِي أَنَا قَاطِعُهُ

(1) ديوان الطرماح ص 297، تحقيق عزة حسن، ط 2 دار الشرق العربي، بيروت 1994.

(2) شعر نصيب ص 103-104، جمع وتقديم داود سلوم، ط بغداد 1967.

وما زلت حتى قلت إني الخالع ولائي من مولى نمتني قوارعة
وما نوح قوم أنت منهم مودني ومثخذ مولاك مولى فتابعه

وليس البرق وحده ما يثير أشواق نصيب وهمومه وحنينه إلى أحبابه، بل كان هديل

الحمام، حين يهتف بالليل يثير أشواقه وأحزانه، ويحن إلى أحبابه ويستدعي البكاء: (1)

لقد هتفت في جُنح ليلِ حمامة على فننٍ وهنأ وإني لنائم
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنني لنفسي إماً قد رآته للائم
أزعم أنني هائم ذو صباية لسعدى ولا أبكي وتبكي الحمام
كذبت ويبت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمام

وفي مقام سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (ت 115 هـ) في مصر كان يحن

إلى وطنه الحجاز، ولكن حبيته تشبث به تريده أن يبقى ولا يفارق، وتذري الدمع تعلقاً

به، فيصف حالها: (2)

برح الخفاء فأني مابك تكتم والشوق يظهر مائسراً فيعلم
وحملت سقماً من علائقي حُبها والحب يغلقه الصحيح فيسقم
علوية أمست ودون وصاها مضمار مصر وعابد والقلم (3)
خود تطيف بهانواعي كالدمى مما اصطفى ذو النية المتوسم

وتتوسل إليه عند الوداع، وتذرف الدمع ليبقى، وتحبب إليه مصر ليقم فيها، لعله

ينسى الحجاز وأهله:

(1) شعر نصيب ص 124 وفيه تحريج المصادر، وحاسة أبي تمام ص 390، وابن المزيان ص 75، والحيوان 3/ 206،

وتنسب لقيس بن الملوخ في ديوانه ص 278 ط عبد الستار فراج.

(2) الأغاني 8/ 282-283.

(3) عابد: جبل في أطراف مصر، والقلم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور، إليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم.

ياقوت: القلم 4/ 387.

قالت وماء العين يغسل كحلها عند الفراق بمستهل يسبج
يا ليت أنك ياسعيد بأرضنا تلقى المراسي ثاوياً وثخيم
فتصيب لذة عيشنا ورخاءه فنكون أجواراً فإذا تنقم
لا ترجعن إلى الحجاز فإنة بلد به عيش الكريم مدمم

ويرد عليها أن الحجاز هو الوطن الحبيب وهل يفارق المرء وطنه، ويذكر الحمام وما يثير في نفسه من الحنين والشوق، وكذلك البرق وريحه ومطره، له منظر يجيي الروح والبدن، يطرب النفوس ويشفي السقيم العليل، وهل يفارق المرء وطنه الحبيب ؟!

وهلم جاوزنا، فقلت لها: اقصري عيش بطيئة ونح غيرك أنعم
أيفارقن الوطن الحبيب لمنزل ناء ويشرى بالحديث الأقدم
إن الحمام إلى الحجاز يهيج لي طرباً ترثمه إذا يترئم
والبرق حين أشيمه متيامناً وجنائب الأرواح حين تنسم
لولح ذوقسم على أن لم يكن في الناس مشبهها لبر المقسم

أما غربة ذي الرمة (ت 117 هـ) فغربة نفسية دافعها الشوق إلى حبيبته وبعادها وحرمانه من لقائها، فهو يكون بين بقايا ديار الأحبة فيتذكر أيامه السعيدة وتضطرم أشواقه ويزداد حنينه فينعى حاله، ويصف غربته وهو يتأمل ديار الحبيبة بعدما شاخ وذهب عهد الصبا، فيعتاب نفسه، ويحاول أن يمنع عبرته ويكفكف دمعته، ولكنه لا بد هاطل: (1)

أمن دمنه بين القلات وشارع تصاييت حتى ظلت العين تدمع
نسم عبرة ظلت إذا ما وزعتها بحلمي أث منها عواص تترع
تصاييت واهتاجت لها منك حاجة ولوع أث أقرأها ما تقطع

(1) دبران ذي الرمة ص 254-255 ط دار الكتاب العربي، بيروت 1996.

إذا حان منها بعد مَيَّ تَعَرَّضُ لَنَا حَنُّ قَلْبٍ بالصباية مولعٌ
وما يرجعُ الوجْدُ الزمانَ الذي مضى وما للفتى في دِمْنَةِ الدارِ مَجْزَعُ

ويصف حاله ويكي ماضيه الذي لا يعود، فهو حائر يجلس بين الديار يلقط

الحصى ويخط في الأرض اسم مَيَّ حبيته، وحوله الغربان تطير وتقع:

عشبةٌ مالي حيلةٌ غيرَ أنني بِلَقَطِ الحصى والخطِّ في الأرضِ مولعٌ
أخطُّ وأحمر الخطِّ ثم أعيدُهُ بكفِّي والغربانُ في الدارِ وقَّعُ
كَأَنَّ سِنَانًا فارسيًّا أصابني على كَيْدِي بِلُ لوعةِ الحُبِّ أوجعُ

والغربة عند العرجي (ت 120هـ) مقترنة بنزوح الدار، وكان العرجي قد أتهم بدم

فسجن سبع سنين، وقد ضُرب وشُهر به قبل سجنه، فهو يشكو غربة السجن والبعد عن

أهله وأحبابه، وقد هاج أشجانه البرق اليماني، ويغلبه الحنين فتفيض عيناه بالدموع

الجارية، ولا يبالي بلوم الصديق فقد كان الحنين إلى أوطان الحبيبة أشد من أن يكتم: ⁽¹⁾

هاج قلبي بعدما كان سكَنُ فاعتراني الشوقُ لما خِلْتُهُ
لَبُرِّيقي لآح من نحو اليمَنُ أَظْرِبُ الأحسا إلى القَصْرِ قَمَنُ
مَوْهِنًا قَدْ لَجَّ وَهْنًا وَالْحَزَنُ ما يَمِينُجُ ذا الهوى إلا الوَطَنُ
تلكَ أوطانُ الليلِ ولنا سَنَنُ الدَّمْعِ وللدَّمْعِ سَنَنُ
باتَ يُلْحاني رفيقي أن رأى - فدَعِ اللُّومَ هوى ليلي - فَمَنُ
قلتُ يا صاحِ إذا ما لم تُعِنُ نازحِ الدارِ غريبِ ذي شَجَنُ
يغترِّيه من حُبِّ شَوْقُهُ للذي تَلْقَى وما كانَ فُطِنُ
فارعوى عن ذاكِ إذ فطَّشُهُ

(1) ديوان العرجي ص 328، تحقيق سجع الجبيلي، ط دار صادر، بيروت 1998

ويشكو غربته وضياعه في السجن وهو الفتى الفارس الكريم، وقد أهين وضرب وأشهر للناس: ⁽¹⁾

أضاعوني وأَيَّ فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغر
وخَلَّوني لمترك المنايا وقد شرعت أيتها لنخري
كأنِّي لم أكن فيهم وسيطاً ولاي نسبة في آل عمرو
أَجَرُّ في الجوامع كل يوم إلا لله مظلمتي وصبري

وتسوء حاله حتى إنه يتمنى الموت لينجو من عذاب ما هو فيه: ⁽²⁾

ومما يهيج القلب يا صاح نحوها إذا باكر الأيك الحمام السواجع
كأنِّي لذكرها إذا الليل جثني أسيرُ عدو أسهرته الجوامع
يرى الموت غنماً راحة والذي به عليه عناء فهو بالموت طامع
فكيف يذكرها وبالعزج مسكني ومن دونها الشَّم الجبال الفوارع

ويشكو أبو دهب (ت 126هـ) من عناء الغربة الدائم ويحن إلى الوطن، فقد فارق

أهله وصغاره ويتمنى العودة واللقاء، ومما يزيد أحزانه ويهيج أشجانه نوح الحمام: ⁽³⁾

أني كل عام غزبة ونزوح أما للنوى من نية فتريح
لقد طلع البين المشت ركايب فهل أرين البين وهو طليح
وأزقني بالري نوح حمامة فنخت وذو البت الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمة ونخت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون أفرأخي مهامه فيح

(1) الديوان ص 246-247.

(2) ديوانه ص 259.

(3) ديوانه ص 76، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972.

ألا يا حمام الأيك إلك حاضراً وغضنك مياذ فسيم تنوح^١؟

والغربة مقرونة بالقلق والخوف عند يزيد بن الطثرية (ت 126 هـ) فهو يتساءل

هل سترجع أيامه السعيدة بعد الفراق أم يدوم البعد ويشمت العاذلون:^(١)

ألا هل من البين المفرق من بُدَّ وهل لليالٍ قد تسلفن من ردَّ
وهل مثل أيامي بنف سويقة رواجع أيام كما كنَّ بالسعد
وباليت شعري ما الذي تُحدثن لي نوى غربة بعد المشقة والبعد
نوى أم عمرو حيث تغرب النوى بها ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

وبعد، فهو حائر فيما يجد من عذاب الشوق بين البعد عن الحبيب والقرب منه، ولم

يجد في أحدهما شفاء مما يعانيه من الوجد:

وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

أما محمد بن بشير الخارجي (ت 130 هـ) فكانت غربته قسرية، فقد عاش حياته في

المدينة المنورة وبواديهما، ثم خرج لأمر ما إلى البصرة وتزوج من امرأة أحبها، واشترطت

الزوجة عليه أن يقيم معها في البصرة ولا يغادرها، فرضي وأقام، ولكن كانت تتنازعه

أشواقه وحنينه إلى الحجاز، وشعوره بالغربة بعيداً عن وطنه وأهله، فعاش متألماً يعاني ما

يعانيه الغريب بعد سفر ابن عمه ورّاد:^(٢)

لقد أقمْتُ بحيث الفيض من رجب حتى أهل به من قابل رجباً^(٣)
وراح في السفر ورّاد وهي جنسي إن الغريب إذا هيّجته طرباً

(1) شعر يزيد بن الطثرية ص 68-70، جمع حاتم الضامن، ط بغداد 1973.

(2) شعر محمد بن بشير الخارجي ص 36، تحقيق محمد خير البقاعي، ط دار قتيبة، دمشق 1985.

(3) الفيض: محلة البصرة.

إِنَّ الْغَرِيبَ يَسِجُ الْحُزْنَ صَبَوْتُ إِذَا الْمَصَاحِبُ حَيَّاهُ وَقَدْ رَكِبَا
قَدْ قُلْتُ أَمْسِ لَوَزَادٍ وَمَصَاحِبِهِ عَوْجَا عَلَى الْخَارِجِيِّ الْيَوْمَ وَاحْتِسِبَا

وحب الوطن غريزة في النفوس والغريب يتمنى أبدأ العودة إلى وطنه ولقاء أهله
وأحبابه، وهذا ما يتمناه أحد الشعراء العشاق: (١)

سَمَى اللَّهُ أَرْضَ الْعَاشِقِينَ بَغِيَّةٍ وَرَدَّ إِلَى الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبٍ
وَأَعْطَى ذَوِي الْمِهْنَاتِ فَوْقَ مُنَاهِمُ وَمَتَّعَ مَحْبُوبًا بِقَرَبِ حَبِيبٍ

ويعلن طريح بن إسماعيل (ت 165 هـ) غريته ويتوثق منها، في سياق مدحه للوليد
بن يزيد بن عبد الملك: (٢)

فَلَا أُرَانِي بِإِخْلَاصِي وَتَنْقِيَتِي لَكَ الشَّاءُ وَقُرْبِي مِنْكَ أَقْتَرَبُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُيْ غَيْرَ الْغَرِيبِ فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَعْلِنُ أَنِّي الْيَوْمَ مَغْتَرِبُ

ونترك الشاعر المادح المتقرب بذلة إلى الخليفة ونقف عند الشاعر الذي يصور الحنين
والشوق وألم الفراق ساعة الوداع والرحيل، فالزوجة تشبث به وهو حائر بين الشوق
والحنين وبين الرحيل، والدموع تجري من عيون الشاعر وزوجه: (٣)

تَقُولُ وَالْعَيْسُ قَدْ شُدَّتْ بَازِحِلُهَا أَلْحَى أَنْكَ مِنْ الْيَوْمِ مَنْطَلَقُ ۱؟
قُلْتُ نَعَمْ فَكَظَمِي قَالَتْ وَمَا جُلْدِي وَلَا أَظُنُّ اجْتِمَاعاً حِينَ نَفْتَرُقُ
فَقُلْتُ إِنْ أَحْيَى لَا أَطُولُ بَعَادَتُكُمْ وَكَيْفَ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ غَلِقُ
فَارْقُتْهَا لَا فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهَا سَالِي الْهَمُومِ وَلَا حَبْلِي لَهَا خَلَقُ
فَاضَتْ عَلَى إِيْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهَا كَمَا تَتَابَعُ يَجْرِي اللَّوْلُؤُ النَّسَقُ

(1) رسائل الجاحظ 2: 412.

(2) شعر طريح بن إسماعيل ص 75، جمع وتحقيق بدر ضيف، ط الاسكندرية 1987.

(3) شعر طريح ص 98.

فَاسْتَبَقَ عَيْنَكَ لَا يُوْدِي الْبُكَاءُ بِهَا وَانْكَفَ بِوَادِرِ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشَّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجَفْوُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

وبعد، فلم يقتصر الحنين إلى الأوطان على الرجال، بل كان كثير من النساء يشتتن إلى أوطانهن، وكان حنينهن خاصة إلى البادية حين تتزوج بحضري وتسكن المدن فتحن إلى أهلها في البادية، وأكثر حنين النساء من هذا الضرب، ولكن بعضهن تحن إلى وطنها وإن كان في الحاضرة، فهذه امرأة يغلبها الشوق والحنين إلى وطنها مكة، على الرغم من عيشها المرفه في القصور في الأقحوانة بالشام على شاطئ بحيرة طبرية، نقل ياقوت⁽¹⁾ عن هشام بن الوليد عن أبيه قال: خرج قوم من مكة نحو الشام، وكنت فيهم، فبينما نحن نسير في بلاد الأردن من أرض الشام إذ رُفِعَ لنا قصر، فقال بعضنا لبعض: لو ملنا إلى هذا القصر فأقمنا بفنائنه حتى نستريح، ففعلنا، فبينما نحن كذلك إذ انفتح باب القصر وانفرج عن امرأة مثل الغزال العطشان، فرمقها كل واحد منّا بعين وامي وقلب عاشق، فقالت: من أي القبائل أنتم ومن أي البلاد؟ قلنا: نحن أضاميُّ من ههنا وهناك، فقالت: أفيكم من أهل مكة أحد؟ قلنا: نعم، فأنشأت تقول:

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَتَرْنَا فَالْأَقْحَوَانَةُ مِنَّا مَنْزِلُ قَمَنْ
وَإِنْ قَصْرِي هَذَا مَا بِهِ وَطْنِي لَكِنْ بِمَكَّةَ أَمْسَى الْأَهْلُ وَالْوَطَنُ
إِذْ نَلْبَسُ الْعَيْشَ صَفْوًا مَا يَكْدُرُهُ قَوْلُ الْوَشَاقِ وَمَا يَنْبُو بِهِ الزَّمَنُ
مَنْ كَانَ ذَا شَجَنِ بِالشَّامِ يَتَرُّهُ فَبِالْأَبَاطِحِ أَمْسَى الْهَمُّ وَالْحَزَنُ

ثم شهقت شهقة وخرَّت مغشياً عليها، فخرجت عجوز من القصر فنضحت الماء على وجهها، وجعلت تقول:

(1) معجم البلدان: الأقحوانة 1/ 234.

في كل يوم لك مثل هذا مرات تالله للموت خيراً لك من الحياة⁽¹⁾
فقلنا: أيها العجوز، ما قصّتها ؟ فقالت: كانت لرجل من أهل مكة، فباعها، فهي لا
تزال تنزعُ إليه حنيناً وشوقاً.

والحنين إلى الوطن أشد ما يكون عند المرض وترقب الموت، فيشتد الحنين
ويتمنى المرء أن يودع الحياة وهو في وطنه وبين أهله، فهذه امرأة تحتضر وتتمنى أن تودع
وطنها بحرة ليلي، فتوصي خليليها أن يقرأ السلام على مرابع صباها وارض أهلها: ⁽²⁾
خليلي إن حانت بمورة ميتي وأزمعتما أن تحفرا لي بها قبراً
ألا فاقربا مني السلام على فتى وحرّة ليلي لا قليلاً ولا نزراً
سلام الذي قد ظنّ أن ليس رائياً رُماحاً ولا من حرّتيو ذرى خُضراً

والملاحظ أن أكثر حنين النساء إلى أوطانهم حين ينتقلن من البوادي إلى الحاضرة
بالزواج، فلا يجدن سعادتهن في فراق أوطانهم، ونجد ذلك واضحاً في حنين النساء إلى
نجد وإلى البوادي مراتع الحب والصبا.

وبعد فما جاء من الشعر الذي يصور الحنين والغربة في العصر الأموي كثير، وقد
وقفنا عند بعض من نماذجه الجيدة المعبرة وتركنا شعراً كثيراً رغبة في الإيجاز، والدلالة
بالقليل تُغني عن الكثير.

(1) البيت فيه خلل، ولعله من النثر المسجوع.

(2) معجم البلدان: رماح 3/ 65.

الفصل الثالث

الحنين والغربة في الشعر العباسي

قَلَّ شعر الحنين إلى الأوطان في العصر العباسي نسبة إلى العصرين الجاهلي والأموي، وذلك للاستقرار واتساع المدن وانتشار الحضارة واختلاط الشعوب، فكانت بغداد درة العواصم وملتقي الثقافات، وأصبحت الحياة مدنية بعيدة عن البداوة مصدر الشوق والحنين. ومع ذلك كانت هناك بعض الأصوات التي تحس بالحنين عند الهجرة أو الفراق والبعد طلباً للرزق أو هرباً من جور الولاة والسلطين.

ومادام حب الأوطان غريزة في النفوس والحنين إلى الأهل والبلاد طبيعة في الجبلة فقد ظهر هذا الحنين والشوق في شعر الشعراء، ولا شك أن بعضاً من هذا الشعر كان تقليداً لأساليب الجاهليين والأمويين الذين اعتادوا الهجرة والنقلة، ونقف عند جمهرة من هؤلاء الشعراء العباسيين الذين حنوا إلى أوطانهم واشتاقوا إلى مراحب صباهم، ومن هؤلاء الشعراء ابن ميادة (ت 149هـ) الذي يشتاق إلى البادية ويحن إلى حرّة ليلي بديار قيس، وقيل لبني مرة بن عوف من ذبيان: (1)

ألا ليت شعري هل أيتنّ ليلة	بحرّة ليلي حيث ربتني أهلي
بلاد بها نيطت عليّ تمائي	وقطعت عني حين أدركني عقلي
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هجمة	تطالع من هجل خصيب إلى هجل (2)
صهنيّة صفراء تلقني رباها	بمنعرج الصّمان والجرع والسّهل

(1) شعر ابن ميادة ص 199 - 200، تحقيق حنا حداد، ط جمع اللغة العربية، دمشق 1982.

(2) الهجمة القطعة الكبيرة من الإبل، ما بين الثلاثين إلى المائة. الهجل: المتسع من الأرض.

نَحْنُ فَبَاكِ كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَذَاكَ عَلَى الْمُشْتَاكِ قَتَلَ مِنَ الْقَتْلِ
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَاسِبِي فَأَيُّسِرْ عَلَيَّ الرِّزْقُ وَاجْمَعْ إِذَا شَمَلِي

ويستثير نوح الحمام حنين الشعراء إلى الأهل والأوطان، قيل: مرَّ بشار الأعمى (ت 167هـ) أو غيره¹ بباب الطاق، فسمع صياح قُمرية فقال لغلّامه: انطلق فإن وجدت هذه القُمرية بجناحها فاشترها ولو بوزنها ذهباً، فوجدّها بجناحها، فاشترها بثلاثة دنانير، فأخذها فلمسها بيده، ثم قال:

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ الطَّاقِ فَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ
طَرَكْتَ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ فَشَجَّتْ فِؤَادَ الْمَائِمِ الْمُشْتَاكِ
لِمَنْ الْفِرَاقُ وَجُدَّ حَبْلٌ وَتَيْنُهُ وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ سَاقِي
يَا وَجْهَهُ مَا قَصَدُهُ قُمرِيَّةٌ لَمْ تَدِرْ مَا بِبَغْدَادُ فِي الْآفَاقِ
كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي الْأَرَاكِ وَرَبَّهَا كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي فُرُوعِ السَّاقِ
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْعِرَاقُ فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ الْأَنْبَسِ تَنُوحُ فِي الْأَسْوَاقِ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا حَمَامَةً فَاسَالِي مَنْ فَكَّ أَسْرَكَ أَنْ يَحْمِلَ وَثَاقِي
إِنَّ الْحَمَامَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِينِهَا قَدْ مَأَتْ بُبْكِي أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ
ثم أطلقها.

ومن يتعد عن وطنه يحنُّ إلى أحبّابه، فتشتد به الغربة ويشعر أنه مُقسَّم، جسمه في أرض وروحه في وطنه مع من يحب، فحياته في الغربة عذاب وعبث، قدم ابن المولى محمد بن عبد الله (ت 170هـ) في بعض سِنِّيهِ الْعِرَاقِ، فأخفق وطال مقامه وضجر، فاشتاق إلى المدينة، وقال:²

(1) لم ترد الأبيات في ديوانه، وتنسب الأبيات أيضاً لعبد الله بن طاهر (ت 230هـ) ولليان بن أبي اليان البندنجي (ت 284هـ) الشاعر الضمير، راجع: ابن المرزبان ص 71، وانظر مصادر تخريج الأصل للمحقق جليل العطية.

(2) المنازل والديار ص 245، وغير الثاني في الأغاني 3/ 289.

ذهب الرجال فلا أحس رجالا وأرى الإقامة بالعراق ضللا
وأرى المرجي للعراق وأهليه ظمآن هاجرة يؤمل ألا
وطرئت أن ذكر المدينة ذاكر يوم الخميس فهاج لي بلبالا
وجعلت أنظر في السماء كأنني أبغي بناحية السماء هلالا
طرباً إلى أهل الحجاز وتارة أبكي بدمع مُسيل إنبالا

وفي رواية مؤثرة جرت في مجلس الرشيد فيه حنين الشاعر الغريب يحيى بن طالب الحنفي (ت 180هـ) الذي ركه الدين فرحل من وطنه، وصار يشتاق إلى كل ما في الوطن من أرض وماء وشجر، ومحمد الحنفي رجل من أهل اليمامة، كان أديباً كريماً، فابتاع من عامل السلطان غلة مما تحت يده يريد بها الربح، فأصاب الناس باليامة قحط ومسغبة، ففرق يحيى تلك الغلة وأطعمهم إياها، وأن محلّ الوفاء، ولم يكن له شيء، فهرب إلى الري، وبها توفي، وقد غنى إسحاق الموصلي بين يدي الرشيد بهذه الأبيات فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر فأخبر بخبره وأنه من أهل اليمامة وهرب إلى الري من دين غلبه، فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه وإعطائه نفقة، فوصل الكتاب إلى الري يوم مات يحيى بن طالب، والشعر هو: (1)

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قزقرى قبل المساء سبيل
فأشرب من ماء الحجلاء شربة يُداوى بها قبل المساء عليل (2)
فيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى إظلالكن طويل
ويا أثلاث القاع قلبي موكل بكن وجذوى تبليكن قليل

(1) المنازل والديار ص 228-229.

(2) الحجلاء: بئر باليامة.

ويا أثلاث القاعِ قد ملَّ صُخبتي مقامي فهل في ظِلِّكُنْ مَقِيلُ
أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ أَنْ لَسْتُ رَاجِعاً إِلَيْكَ فَهَمِّي فِي الْفُؤَادِ دَخِيلُ
أُرِيدُ رَجوعاً نَحْوَكُم فَيُضِدُّنِي - إِذَا رُمْتَهُ - دَيْنٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ

ويجن أبو حية النميري (ت 183 هـ) إلى أرضه وأهله بالغوير ويتمنى أن يسعد مع أحبابه بنسائم بلده: ⁽¹⁾

ألا هل إلى نَصِّ النَّوَاعِجِ بِالضُّحَى وَشَمِّ الْخَزَامَى بِالْغَوَيْرِ سَبِيلُ
بِلَادَ بِهَا أَمْسَى الْهَوَى غَيْرَ أَنَّنِي أَمِيلُ مَعَ الْمَقْدَارِ حَيْثُ يَمِيلُ
وَأَنشُدُ حَمَّادَ بْنَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِي: ⁽²⁾

أَحَبُّ بِلَادَ اللَّهِ مَا بَيْنَ صَارَةَ إِلَى غُظْفَانَ إِذْ يَصُوبُ سَحَابُهَا
بِلَادَ بِهَا نَبَطَتْ عَلَيَّ تَمَائِي وَأَوَّلُ أَرْضِي مَسَّ جِلْدِي تَرَابُهَا

ويجن الشاعر إلى وطنه ويهديه التحيات والحياة في ظل جبل الوشل هي نعيم الدنيا عنده، قال: وأنشدها أبو عثمان المازني النحوي ⁽³⁾

اقْرَأْ عَلَى الْوَشْلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَوَارِدِ مُذْ هُجِرَتْ ذَمِيمُ
جَبَلٌ يُبَيِّفُ عَلَى الْجِبَالِ إِذَا بَدَا بَيْنَ الْغَدَائِرِ وَالرَّمَالِ مَقِيمُ
تَسْرِي الصَّبَا فَتَبِيْتُ فِي الْوَاوِ وَيَبِيْتُ فِيهِ مِنَ الْجَنُوبِ نَسِيمُ
مَقِيّاً لَظْلَكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى وَلَبَرْدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهِ هَمِيمُ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ مَنَعَ مَائِكَ لَمْ يَدُقْ مِنْ بَرْدِ مَائِكَ مَا حِينْتُ لَتِيمُ

(1) المنازل والديار ص 248، وفي الزهرة 1/ 380 منسوبان للنميري وليس هو الراعي، والبيتان في شعر أبي حية النميري ص 190 ما نسب له ولغيره، تحقيق يحيى الجبور ط وزارة الثقافة، دمشق 1975.

(2) رسائل الجاحظ 2/ 399.

(3) وتنسب الأبيات للمقام الأسدي، رسائل الجاحظ 2/ 403 معجم البلدان 5/ 377.

ويشكو أشجع السلمي (ت 195هـ) من عذاب الغربة وشدة الشوق والحنين، يقول مصوراً ما يعانيه من هذا العذاب، فهو يسهر الليل باكياً متفكراً متألماً لا يستقر به مضجع: ^(١)

وَمُغْتَرِبٍ يَنْقُضِي لَيْلَهُ فنوناً ومُقْلَتُهُ تَذْمَعُ
يُؤَزِّقُهُ نَائِيَهُ فِي الْبَلَا دِ فَمَا يَسْتَقِرُّ بِهِ مَضْجَعُ
إِذَا اللَّيْلُ الْبَسَهُ ثَوْبَهُ تَقَلَّبَ فِيهِ فَتَى مَوْجَعُ

ويعيش سفيان بن عيينة الهلالي (ت 198هـ) هذه التجربة، ويشعر بالضياح والتمزق وأوجاع الحنين، ويصوراً هذه الحال بقوله: ^(٢)

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في الوطن
فليغجب الناس مني أن لي بدنًا لا روح فيه ولي روح بلا بدن

ويغلب الشوق والحنين غليّة بنت المهدي (ت 210هـ) أخت هارون الرشيد، وقد صاحبها الرشيد إلى الريّ، فتشعر بالغربة وتحنّ إلى بغداد، فلما صارت بالمرج عملت شعراً، وصاغت فيه في طريقة الرمل وغنته به، والشعر هو: ^(٣)

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحُبِّ
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشقّ يستشفي برائحة الركب

فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به، فأمر بردها. وقد تقاذفت بعض الشعراء البلدان والأوطان فهم في حِلٍّ وترحال لا يطمثون إلى

(1) المنازل والديار ص 248، وفي أشجع السلمي حياته وشعره ص 226-227 خلاف، جمع وتحقيق خليل بنان الحسون، ط دار المسيرة، بيروت.

(2) الحنين إلى الأوطان ص 86، خاص الخاص ص 116، الإعجاز والإيجاز ص 175، ودون نسبة في مصارع العشاق 260/2.

(3) أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ص 60، عني بنشره: ج. هيورث. دن، ط دار المسيرة، بيروت 1979.

بلدانهم إما هرباً من السلطان أو طلباً للرزق، ولذلك فهم يشكون هذه الحال ويتمنون الاستقرار في أوطانهم آمينين، ومن أولئك كلثوم بن عمرو العتّابي (ت 220 هـ) الذي يشكو من هذه الحال: ⁽¹⁾

حتى متى أنا في حلٍّ وترحالٍ وطولِ همٍّ بإدبار وإقبالٍ
أكابدُ الدهرَ لا أنفكُ مغترِباً عن الأجيّة لا يدرون ما حالي
في مشرقِ الأرضِ طوراً ثم مغربها لا يخطرُ الموتُ من ذكرى على بالي

ويهبج صوت الحمام الشعراء فيعانون آلام الغربة، ويتجرعون غصصها، ويألمون ويكون هوىً وحنيناً وشوقاً إلى الأوطان والأحباب، وفي المجموع اللفيف ⁽²⁾ رواية تقول: خرج عوف بن محلم (ت 220 هـ) مع عبد الله بن طاهر (ت 230 هـ) لما أراد خراسان، فلما صار بالري نزل تحت دوحة، وجاء عوف فأخذ يحادثه تحتها، فبينما هما كذلك، إذ صدح طائر من الدوحة، فقال عبد الله: يا عوف، قاتل الله أبا كبير الهذلي ⁽³⁾ حيث يقول:

ألا يا حمام الأيكِ إلفك حاضراً وغضنك ميّاد فقيم تنوح
أفئد لا تنح من غير شيء فإنتني بكيث زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطت غربة دار زنب فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف: والله أيها الأمير، لقد أحسن، فقال عبد الله: أجز يا عوف، فقال: أيها الأمير، إن شعري قد رق، فيمهلني الأمير، ففعل، فغدا عليه فأنشده: ⁽⁴⁾

(1) العقد الفريد 3/ 208، الحنين إلى الأوطان ص 80، بهجة المجالس 1/ 231، المحاسن والمساوي 1/ 307.

(2) للقاظي أمين الدولة محمد الحسيني الأفظي ص 213-214.

(3) عامر بن الحليس، شاعر جاهلي أدرك الإسلام. الشعر والشعراء ص 257، سبط اللآلي ص 387، معجم الأدباء 5/ 2138.

(4) المجموع اللفيف ص 214، والأبيات مع بيتين آخرين لعوف بن محلم في معجم الأدباء 5/ 2138، وطبقات ابن المعتز ص 187، والحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 74، ومراجع أخرى مع خلاف يسير في رواية الشعر.

أفي كل عام غربةً ونزوحُ
لقد طَلَحَ البَيْنُ المُشِثُ رِكائِي
وأَرْقَنِي بِالزَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ
على أُنْهَا نَاحَتْ ولم تَذِرْ دَمْعَةً
وَنَاحَتْ وَفَرَخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا
عسى جودُ عبدِ الله أن يعكِسَ النُّوى
فإنَّ الغِنَى يُدْنِي الفَتَى من صَدِيقِهِ
أما للنُّوى من وَئِيَةٍ فَتُرُوحُ
فهل أَرَيْنَ البَيْنَ وهو طَلِيحُ
فَنُحْتُ وذو الشَّجْوِ القَرِيحِ يَنُوحُ
وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سُفُوحُ
ومن دون أفرَاحِي مَهَامَةٍ فَيُحُ
فَتُلْقَى عَصَا الأسْفَارِ وهي طَرِيحُ
وإنَّ النُّوى بِالْمُقْتَرِنِ طَرُوحُ

وكان أبو تمام (231هـ) كثير الترحال والتنقل، لا يقرُّ به قرار في بلد حتى ينتقل إلى آخر طلباً للعطايا ممن يمدحهم من الخلفاء والولاة في مشارق الدولة ومغاربها، فهو شبيهه الخضر في كثرة تغربه في البلاد، وكان يحن إلى أهله وأحبابه، يقول: ⁽¹⁾

ما اليومُ أولُ توديعٍ ولا الثاني
دَحِ الفِرَاقُ فإنَّ الدهرَ سَاعِدُهُ
خَلِيفَةُ الخَضِرِ مَنْ يَرِيعُ على وَطَنِ
بالشَّامِ أهلي وبغدادِ الهوى وأنا
وما أَظُنُّ النُّوى تَرْضَى بما صَنَعْتُ
خَلَفْتُ بِالْأَفْقِ الغَزْبِيَّ لِي سَكْنًا
البَيْنُ أَكْثَرُ من شَوْقِي وأَحْزَانِي
فصَارَ أَمْلَكُ من رُوحِي بِجُثْمَانِي
في بِلَدَةٍ فظَهَرُوا العَيْسِ أوطَانِي
بِالرَّقَّتَيْنِ وبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
حتَّى تُطَوِّحَ بي أَقْصَى خُرَاسَانِ
قد كَانَ عَيْشِي به حُلُوءًا بِحُلُوانِ

ويتذمر أبو تمام من صروف الزمان وتقلباته، وجور الحكام وضياع القيم، فهو وأمثاله غرباء في هذا الزمان، يُساسون بالقهر والظلم وكان أحدهم عبدًا أجْدَع: ⁽²⁾

(1) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي ص 2/ 156 - 158 ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) الديوان 1/ 399 - 400.

لقد سأسنا هذا الزمان سياسة شدى لم يسسها قط عند مجدع
تروح علينا كل يوم وتغتدي حطوب كان الدهر منهمن بضرع
حلت نطف منها لنكس وذو النهى يداف له سم من العيش منقع
فإن نك أهملنا فأضعف بسعينا وإن نك أجبرنا فقيم نضع⁽¹⁾

وهو كغيره من شعراء العصر يشعرون أنهم غرباء في هذا الزمان، الذي كثر فيه اللثام وتسلطوا، رغم أن الكرام كثير بأفعالهم رغم قلتهم، واللثام قليل في فعالهم وإن كثروا، فهذا الزمان عجب وهو فيه غريب:⁽²⁾

إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا
لا يذهبتك من ذمهم عدد فإن جلمهم بل كلهم بقر
وكلما أمست الأخطار بينهم هلكى نبي من أمسى له خطر

ولا يرى العيب فيه ولا في أمثاله، ولكن العيب في الزمان الذي يترصد لكل ذي عقل، فيدوف له السم الزؤام، في الوقت الذي تحلو الحياة لكل جاهل عيى، والدنيا كالسيل فهو حرب للمكان العالي:⁽³⁾

عادت له أيامه مسودة حتى توههم أنهن ليالي
لا تتركري عطل الكريم من الغنى فالسئل حرب للمكان العالي

ويجد نفسه غريباً في زمن ضاعت فيه القيم، ووجد كل شيء مزيفاً، وصار الناس في هذا الزمان وحوشاً متكالبه، ولا يملك الكريم إلا أن يتحول عن أهل هذا الزمان:⁽⁴⁾

(1) التعتة: ترديد الكلام.

(2) الديوان 1 / 329.

(3) 38 / 2.

(4) الديوان 2 / 50 - 51.

ساقطع أمطاء المطايا برحلة
فلم أجِد الأخلاق إلا تخلفاً
وأصرف وجهي عن بلاد غدا بها
وجَدُ بها قوم سواي فصادفوا
كلاب أغارت في فريسة ضيغم
إلى البلد الغربي هجراً وموصلاً
ولم أجِد الأفضال إلا تفصلاً
لساني مشكولاً وقلبي مُثَقلاً
بها الصننع أعشى والزمان مُعَقلاً
طروقاً وهاماً أطعمت صيد أجداً

والغريب المفارق مستوحش حزين يتقطع الماء وحنيناً، وهو يذرف الدمع السخي ومشاهد الفراق وما يتبعها من غربة وشوق وحنين كثيرة في الشعر العربي، نقف عند بعض الأشعار التي عانى أصحابها ألم الغربة والحنين.

ومن هؤلاء الشعراء علي بن الجهم (ت 249 هـ) الذي أبعد عن بلاده ونفي عن وطنه بفعل كيد الخصوم وغضب السلطان، كان ممن يحضر مجالس المتوكل ويمدحه، ولكنه كان يكيد لخصومه من الشعراء من أمثال البحتري والحسين بن الضحاك ومروان بن أبي الجنوب، وأحمد بن حمدون وغيرهم، فكان يكيد لهم ويكيدون له وزعموا أنه يطعن على الخليفة ويعيبه ويزري بالخلافة، فغضب عليه المتوكل وأمر بحبسه، وابن الجهم يرسل للخليفة من سجنه قصائد البراءة والمديح. وبقي الشاعر مع كل ما لقي من ضيم وإذلال متمسكاً قوياً، عزيز النفس لم يكسره ما نزل به، قال مصوراً كبرياءه وصبره: ⁽¹⁾

قالت حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ
والشمس لولا أنها محجوبة
وبالدر يُذِرْكُهُ السَّراُرُ فتنجلي
حبسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لَا يُغَمِّدُ
كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدُّدُ
عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ
أيامُهُ وكأله مُنَجَّدُ

(1) ديوان علي بن الجهم ص 41 - 42.

وكلما همَّ المتوكل بالعفو عنه افتنَّ الخصوم في الكيد له، فأمر المتوكل بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان، وأمر واليه طاهر بن عبد الله بن طاهر أن يصلبه يوماً إلى الليل ثم يحبسه، فلما وصل إلى الشادياخ حبسه طاهر ثم أخرجه فُصِّلب يوماً إلى الليل مجرداً من ثيابه ثم أنزل إلى الحبس، وفي ذلك يقول ابن الجهم يصف حاله من قصيدة: ⁽¹⁾

لم ينصبوا بالشادياخ عشيّة الإثنين مسبوقاً ولا مجهولاً
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلاً
ما ازداد إلا رفعةً بتكوله وازدادت الأعداء عنه نكولاً
ومكث في سجن طاهر زمناً، ثم رُقَّ له المتوكل، وكتب إلى طاهر بإطلاقه، فأطلقه ووصله وحمله وكساه ⁽²⁾.

ولما انجلت المحنة عن ابن الجهم وخرج من السجن، لم يجد له صديقاً يواسيه، وساء ظنه بالناس، وسئم العيش، فزهد بالدنيا واشتاق إلى الوطن بعد أن ذهب أهله ومات من يحبهم، فصار في خراسان يجاور المقابر ويرتاح إلى مجالسة الموتى، روى أبو الفرج عن رجل من أهل خراسان، قال: «رأيت على بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالساً في المقابر، فقلت له: ويحك ما يجلسك هاهنا؟ فقال: ⁽³⁾

يشتاق كل غريبٍ عند غربته ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسيْتُ أذكُرُهُ إلا المقابر إذ صارت لهم وطناً

قال أسامة بن منقذ: لي أبيات تنظر إلى هذا المعنى، وهي: ⁽⁴⁾

(1) ديوان ابن الجهم ص 171، والأغاني 253/10، وانظر في محنته: عن الشعراء والأدباء ليحيى الجبوري ص 185-192 ط دار الغرب الإسلامي بيروت 2003.

(2) الأغاني 254/10.

(3) الأغاني 270/10، الديوان 184، المنازل والديار ص 225.

(4) المنازل والديار ص 225، ولم ترد في ديوانه المطبوع.

أشتاق أهلي وأوطاني وقد مُلِكتُ دوني وأفنى الردى أهلي وأحبابي
فأستريحُ إلى رؤيا القبور ففي أمثالها حلّ لإخواني وأترابي
ولستُ أحيا حياةً أَسْتَلِدُّ بها من بعدهم ولحاقِ القومِ أولى بي

وعاد ابن الجهم إلى داره في شارع دُجِيل ببغداد، ولم يتصل بالخليفة في سامراء، وآثر العزلة

وانصرف عن الناس، وانصرف الناس عنه، وظل يعيش في بلده غريباً وكثيراً ما كان ينشد: ⁽¹⁾

طَلِبُ الْمَعاشِ مُفَرَّقٌ بين الأحبّةِ والوطنِ
وَمَصِيرُ جَلَدِ الْجَلِيلِ إلى الصّراعةِ والوَهْنِ
حَتَّى يُقَادَ كَمَا يُقَا دُ النَّضْوِ فِي ثَنِي الرَّسَنِ
ثُمَّ الْمَنِيَّةُ بَعْدَ ذَا فَكَأَنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ

وكان ابن الجهم بطبعه يؤثر السلامة والدعة ولا يحب الغربة وفراق الوطن، ومما

كان ينشده في هذا المعنى: ⁽²⁾

عَمْرَكَ مَا كُلُّ التَّعْطَلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَاعْتَنِمِ لَذَّةَ الدَّعَةِ
وَأِنْ ضَبَقْتَ فَاصْبِرْ يَفْرُجُ اللَّهُ مَا تَرَى أَلَا كُلُّ ضَيْقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَةٌ

وفي سنة 249هـ، هجم الروم على الثغور الإسلامية وخرج ابن الجهم يقاتل فيمن

قاتل، وفي عودته طعن، فاحتمله الناس وكان ينزف دمه فلما أحس بالموت اشتاق إلى

وطنه وجعل يقول: ⁽³⁾

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ أَمْ سَالَ بِالصَّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجِيلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ ⁽⁴⁾

(1) ديوانه ص 189.

(2) ديوانه ص 194، ومعجم الأدياء 6 / 2703، وابن المزيان ص 55 - 56 وفيه زيادة البيت الثالث.

(3) الديوان ص 170، والأغاني 10 / 279.

(4) دجيل: نهر يخرج من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية دون سامراء. معجم البلدان - ياقوت: دجيل.

فأبكى كل من كان معه في القافلة، ومات مع السحر، فدُفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب، وحين نزلت ثيابه بعد موته، وُجد معه رقعة فيها أبيات تقول: ^(١)

وارحمتا للغريب في البلد النـا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعوا
كان عزيزاً بقرب دارهم حتى إذا ما تباعدوا خشعا
يقول في نأيه وغربته عذل من الله كل ما صنعا

وهكذا ارتاح الشاعر بعد رحلة عذاب، وغربة وحنين ومعاناة من مكاييد الحاسدين فذاق صنوف الحبس والصلب والمصادرة والغربة والتشريد. ^(٢)

وهذا شاعر آخر يعاني الغربة ويشتاق إلى وطنه ويخص شمس بوان الذي يجلو القلب من الهموم ويزيل الكرب، لما فيه من خصب وطيب ماء وهواء، ويرسل الشاعر رسالة حنين وسلام مع الريح: ^(٣)

إذا أشرف المحزون من رأس تلعة على شغب بوان أفاق من الكرب
والهاء بطن كالحرير مسه ومطردي يجري من البارد العذب
فبالله ياربج الجنوب تحملي إلى شغب بوان سلام فتى صب

ومن الشعراء المجيدين الذين وصفوا الغربة وحال الغريب النازح عن بلده وما يعاني من ذل وحيرة وهموم وحنين إلى وطنه العراق، الحسن بن مخلد بن الجراح (ت 269هـ) الذي وصف حال الغريب وهو يريد حاله هو، وما يكابده من هموم وحيرة وضياغ: ^(٤)

من للغريب النازح الوطني من للغريب أسير الهم والحزن

(1) الديوان ص 154، تاريخ بغداد 11/ 369، والعقد الفريد 6/ 256.

(2) عن الشعراء والأدباء ص 192.

(3) الحنين إلى الأوطان ص 89، ذيل الأماي ص 127، معجم البلدان: بوان.

(4) ابن المرزبان 67، الواقي بالوفيات للصفدي 2/ 268، تاريخ ابن عساكر 6/ 30.

مَنْ لِلْغَرِيبِ الَّذِي لَا مَسْتَرَاخَ لَهُ مِنْ الْهَمُومِ وَلَا حِظٌّ مِنَ الْوَسَنِ
يُنْسِي وَيُضْبِحُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا يَعُودُ إِلَى خِلٍّ وَلَا سَكَنِ
خَلَّى الْعِرَاقَ وَقَدْ كَانَتْ لَهُ وَطَنًا لَا خَيْرَ فِي عَيْشِ نَائِي الدَّارِ مَغْرَبِ
يَا أَهْلُ كَمْ فَاتَنِي مِنْ حُسْنِ مُسْتَمَعٍ يَا أَيْ إِلَى حَزَنِ نَاهِيكَ مِنْ حَزَنِ
مَنْكُمْ وَفَارَقْتُهُ مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنِ

والغريب في دار الغربة يستحق الرحمة، هو ذليل مهان، إذا حضر مجلساً فهو منسي مهمل لا يُرحب به، وإذا تكلم تعاف كلامه الأسعاع، وهو في نظر القوم غطىء حتى لو أصاب، ولذلك فهو أهل للرحمة كأنه بين الناس مذنب مدين: ⁽¹⁾

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةٌ مُذْنِبٍ وَخُضُوعٌ مَدْيُونٍ وَذُلٌّ غَرِيبٍ ⁽²⁾
فَإِذَا تَكَلَّمَ فِي الْمَجَالِسِ مُبْرَمٌ وَإِذَا أَصَابَ يُقَالُ غَيْرٌ مُصِيبٍ
فَإِذَا الْغَرِيبُ رَأَيْتُهُ مُتَحَيِّراً فَارْحَمْ تَحْيِرُهُ لَفَقْدِ حَبِيبٍ

ولاشك أن الغريب يشعر دائماً بالذلة والمهانة، ولأجل ذلك يوصي أحد الغرباء بالرفق به،

فمن غير الحق أن يجتمع عليه ذل الغربة والندامة، وقسوة خلق الله ممن لا قلوب لهم: ⁽³⁾

لَا تَنْهَرَنَّ غَرِيباً طَالَ غُرْبَتُهُ فَالْدَهْرُ يَضْرِبُهُ بِالذُّلِّ وَالْحَنَنِ
حَسْبُ الْغَرِيبِ مِنَ الدُّنْيَا نِدَامَتُهُ عَضُّ الْأَنَامِلِ مِنْ شَوْقٍ إِلَى الْوَطَنِ

والشاعر الذي يسكن بلداً، ومن يحب في بلد آخر فهو غريب يحن إلى أحبابه فكأنه

ذو نفسين كل واحدة في بلد وكذلك من يحب، وقد عبّر عن هذه الحال خالد بن يزيد

الكاتب (ت 269هـ) في أبياته: ⁽⁴⁾

(1) الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان ص 68، والبيت الأول في بهجة المجالس 224/1.

(2) في بهجة المجالس: وخضوع مديان وذُلُّ مُرِيبٍ.

(3) المنازل والديار ص 220.

(4) الحنين إلى الأوطان ص 85، وبيتان من القطعة مع خلاف يسير في الرواية في معجم البلدان 46/1، ومصارع العشاق

لجعفر السراج ص 641، تحقيق بسمة الدجاني، ط وزارة الثقافة، عمان 2004.

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كَوَدُّ لَا أَسْتَطِيعُ أَبْتُ مَا أَجَدُّ
نَفْسَانِي لِي: نَفْسٌ تَضْمَنُهَا بَلَدٌ وَآخَرَى حَازَهَا بَلَدٌ
فَإِذَا الْمَقِيمَةُ لَيْسَ يَنْفَعُهَا صَبْرٌ وَلَيْسَ يُقِيمُهَا جَلَدٌ
وَأُظُنُّ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي فَكَأَنَّمَا تَجَدُّ الَّذِي أَجَدُّ

والغربة الزمانية - كما مر - واضحة في شعر شعراء العصر العباسي، ومنهم البحري (ت 284 هـ) الذي يشكو الفقر والغربة وتقلب أحوال الزمان، قال هذا وهو في مدينة آمد حيث البرد والجليد، فهو يعاني غريبتين غربة الوطن وغربة الطبيعة: ⁽¹⁾

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَدُومُ زَمَانُهُ هَذَا فَمَا أَنَا لِلزَّمَانِ بِحَامِدٍ
فَقَرٌّ كَفَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَغُرْبَةٌ وَصَبَابَةٌ لَيْسَ الْبَلَاءُ بِوَاحِدٍ
وَأَتَجَبَّ بِخَاطَبِ حَيَاتِهِ اللَّائِمَةِ:

كُنْتُ فَقَدْ أَلْهَاهُ عَنْ حَرِّ الْمَوَى حَدَّثَ أَطْلَلَ مِنَ الْمَوَاِ الْبَارِدِ
كَيْفَ الْمَقَامُ بِأَمْدٍ وَبِلَادِهِمَا مِنْ بَعْدِ مَا شَهِدْتُ مَفَارِقُ أَمْدٍ ⁽²⁾
ضَحِكْتُ فَأَبْكَتْ عَيْنَ كُلِّ مُؤَوِّهِ مُتَقَلِّقِلٍ تَحْتَ الضَّرْبِ الْجَامِدِ ⁽³⁾

ويتذمر من جور الزمان وميله مع القوي وضياع حق الفقير ويشكو البؤس وتغلب القوى الظالم، فهو في زمن القهر والضياع، وما تجدي الشكوى في زمن تسلط القروء: ⁽⁴⁾

أَجْزُ مِنْ عَلَلِ الصَّدْرِ الْعَمِيدِ وَسَكُنْ نَافِرَ الدَّمْعِ الشَّرُودِ
فَمَا جَزَعُ الْجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي بِمُخْرِزِهِ وَلَا جَلَدُ الْجَلِيدِ
فَيَا وَنَحَ الْحَاوِثِ كَيْفَ تُعْطِي شَقِيَّ الْقَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ

(1) ديوانه 1/ 264.

(2) أمْد: تعرف اليوم بديار بكر، كانت لسورية واقطعها الأتراك مع ما اقتطعوا منها أيام الاحتلال الفرنسي.

(3) الموء: السحاب ينصب ماءً. الضرب: الجليد.

(4) الديوان 1/ 314.

وكيفَ تجوزُ إنْ همَّتْ بِحُكْمٍ فتحمِلُ للغويِّ على الرشيدِ
وما برحتْ صُروفُ الدهرِ حتى أرْتنا الأسدَ قتلى للقُروِدِ
وهو غريب في زمانه وبين أناسٍ أشرارٍ لا يخبر مظهرهم عن مخبرهم فهم أوغاد،
ومواعيدهم الخُلف، متقلبون أناسٍ سوء، ستم من سوء فعالمهم، فهمم بغال في لباس
أناس: (١)

تقاذف بي بلادٌ عن بلادٍ كأني بينها جملُ شُرودِ
وإينَ يكونُ مغرِبٌ بدهرٍ شريدٌ في حوادثهِ طريدُ
وحلَّقني الزمانُ على أناسٍ وجوهمهم وأيديهم حديدُ
لهم حُلُلٌ حَسَنٌ فهُنَّ يَبْضُ وأخلاقٌ سَمُجَنٌ فهُنَّ سُودُ
وأخلاقُ البغالِ فكلُّ يومٍ يعنُ لبغضهم خُلُقٌ جديدُ

ويرى نفسه غريباً في هذا الزمان الذي اختلفت فيه القيم والموازين وأصاب أحراره

الضيمُ وذهب خيار الناس وساد جُهاهم: (٢)

وعيرتني سِجَالُ العُذمِ جاهلةً والنبعُ عُزيانُ ما في فرعهِ نمرُ
وما الفقيرُ الذي عَيزَتْ أَوْنَةٌ بل الزمانُ إلى الأحرارِ مُفْتَقِرُ
لم يبقَ من جُلِّ هذا الناسِ باقيةً ينالها الفهمُ إلا هذه الصورُ
جهلٌ وبُخلٌ وحسبُ المرءِ واحدةً من تَينٍ حتى يُعَفَّى خَلْقُهُ الأثرُ
إذا محاسني اللآتي أدلُّ بها كانت ذُنوبي فقل لي كيفَ أعتذرُ
أهزُّ بالشعرِ أقواماً ذوي وَسَنِ في الجهلِ لو ضُربوا بالسيفِ ما شعروا
عليَّ نَحْتُ القوافي من مقاطعها وما عليَّ لهم أنْ تفهَمَ البقرُ

(1) الديوان 1 / 250.

(2) الديوان 1 / 410.

ويسافر الحسن بن محمد المهلب إلى البصرة في أيام وزارته (ت 352هـ)، وينزل بمساران من ضواحي البصرة⁽¹⁾، ثم ارتحل إلى الأهواز، فوجدوا في بيته بيتين كتبهما على الحائط في البصرة فيها شوق عاشق وحنين مشتاق إلى بغداد: ⁽²⁾

أحنُّ إلى بغدادَ شوقاً وإنما أحنُّ إلى ألفِ بها لي شائقُ
مقيم بأرضٍ غبتُ عنها وبدعة إقامة معشوقٍ ورحلة عاشقٍ

أما المتنبي (ت 354هـ) فقد كان يشعر بالغربة في مجتمعه، فغرفته غربة نفسية نابعة من تضخم الأنا والتمرد وحب الحكم والتسلط، وقد نشأ المتنبي ثائراً ناقماً على الحياة الفاسدة التي كانت سائدة في عصره، حيث الفسق والترف الذي يعيش فيه الملوك والأمراء، وقد رأى أن الخلافة صارت نهياً يتحكم فيها السفهاء والجهال، من جنود الترك الذين بغوا وأفسدوا وظلموا، وقد أعلن معارضته ونقمته على الفساد فأدى به إلى السجن، وحاول أن يصل للحكم عن طريق التقرب من الحاكمين، فلم يستطع أن يحقق طموحه، وعاش حياته غربياً في مجتمعه، نفوراً من واقعه، وكان كثيراً ما يصرح بأنه غريب في هذه الأمة: ⁽³⁾

ما مقامي بأرضٍ نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود⁽⁴⁾
ويتحدث عن بطولته وفروسيته، وقد سئم تجواله في الأرض طلباً للمجد والرزق:
ضاق صدري وطال في طلب الرزق في قيسامي وقلَّ عنه قعودي
أبدأ أقطع البلادَ ونجمي في نحوسٍ وممتني في سعود
ولعلي مؤملٌ بعض ما أبـلغ باللطف من عزيزٍ حميد

(1) وكانت مقراً للبريدين. تجارب الأمم 2م 53، و60، و112.

(2) أدب الغرباء ص 76.

(3) ديوان المتنبي 2/ 44-48، شرح عبد الرحمن البرقوقي.

(4) نخلة: قرية لبني كلب قرب بعلبك.

ولكن لم يجد ما يطمح إليه، فلا حياة مع الذل والهوان، بل يعيش كريماً عزيزاً، يقاتل ويطلب العز، بين طعن القنا وخفق البنود:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرووس الرماح أذهب للغيب عظم وأشفى لغل صدر الحقود
لا كما قد حيت غير حميد وإذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى وذو الد ل ولو كان في جنان الخلود
وهو عزيز كريم يشرف بنفسه وأفعاله ولم يتكء على شرف النسب وإن كان
نسبه أشرف من أي نسب:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد
وهو معجب بنفسه لأنه لم يجد من هو أعز منه وأعلى، فهو الشاعر من أصل كريم
يحسده الناس والخصوم لبطولته، وهو غريب بين قومه كالأنبياء بين أقوامهم:

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا تذب التدى ورب القوافي وسام العدا وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله ع غريب كصالح في ثمود
ولكثرة ترحاله من بلاط إلى آخر، يجتاب الأرض ويفارق الأهل والصحاب، فقد

ألف الغربة وجعل الفراق توأمة: (1)

أما الفراق فإنه ما عهد
ولقد علمنا أننا سنطيعه
من خص بالدم الفراق فلأني
هو توأمي لو أن بيننا يولد
لأ علمنا أننا لا نخلد
من لا يرى في الدهر شيئاً يحمّد

وهو غريب في هذا الزمن الذي ساد فيه الجهلة الجبناء البخلاء ولم يجد فيهم من هو أهل لمصاحبتة وودده، فهو يذم الزمان وأهله: ⁽¹⁾

أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْلَهُ فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ
وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ
وَمَنْ تَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَةٍ بُدِّ
وَأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ الْعَمِيِّ وَالْغَبَا وَأَعْدُوٌّ فِي بُغْضِي لَأَنَّهُمْ ضِدُّ

وهو في غربته يشاق إلى الأهل والوطن، ويأتي العيد وكل حبيب يضاحك حبيبه،
أما هو فمن يضاحك في غربته ١١، وفي عينيه دموع الشوق والاغتراب، فقد كثر البعد وعزَّ
اللقاء: ⁽²⁾

يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلِّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأَبْكِي مِنْ أَحِبِّ وَأَنْدُبُ
أَجِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمَشْتَاكِ عِنْفَاءُ مُغْرِبٍ

ويتدبر أمره وينظر في حاله فلا يجد إلا الغربة والضياح، فلا شيء يسعده ولا أحد
يواسيه، وقد سئم ما هو فيه من حيرة وضياح، وعذبه هذا الطموح الكبير، ولكن ما
الفائدة، لا ينفع ولا يدوم في هذه الدنيا سرور ولا حزن: ⁽³⁾

بِمِ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُكَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
لَا تَلَقَّ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رَوْحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُودُ مَا سُرَزَتْ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ

(1) الديوان 2/ 92-95.

(2) الديوان 1/ 307.

(3) 364-363 / 4 (3)

وقد تحمل الكثير من نوائب الزمان وهو غريب فيه، يحمل همومه وجاء في زمن غير زمنه: ⁽¹⁾

الدهرُ يعجبُ من حلي نوائبه وصير جسمي على أحداثه الحطيم
وقت يضيعُ وعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتُهُ في غير أُمَّتِهِ من سالفِ الأُممِ
أتى الزمانَ بنوه في شيبته فسَرَّهم وأتيناؤه على الهرمِ
ويذم هذا الزمان الذي صار صغارُ الناسِ عَلَيْهِ متحكمين، وليس لهم عقول، فلا تغرك ضخامة أجسامهم، فمعادهم تراب: ⁽²⁾

فَوَاذُ مَا تَسْلِيهِ الْمَدَامُ وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّثَامُ
ودفراً نأشهُ ناسٌ صِغَارُ وإن كانت لهم جَفَتْ ضِخَامُ
وما أنا منهم بالعيشِ فيهم ولكن مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ
أرانبٌ غيرَ أَنَّهُمْ ملوكٌ مُفْتَحَةٌ عِيوُهُمْ نِيَامُ
وكان المتنبي في حِلٍّ وترحال دائمين، فقد أَلَفَ الغربة، وصار الفراقُ توأمة، وفي ذلك الزمن الرديء عاش المتنبي قلقاً هارباً متنقلاً، اتصل بسيف الدولة ومدحه فلم يحقق طموحه، وهرب إلى مصر واتصل بكافور، فلم يغنم الولاية التي يطمح إليها، ثم فرَّ إلى العراق، وعاش حياته هارباً مطارداً، يطارده القرامطة ويطارده حساده وخصومه، ولقي آخر الأمر مصرعه بالعراق مقاتلاً بطلاً على يد القرامطة.

وفارس آخر من فرسان الشعر العربي عاش حياة الغربة، وظل ينشد في الحنين إلى الوطن، ذلك هو الفارس البطل أبو فراس الحمداني (ت 357 هـ) الذي عانى غربة الوطن وغربة الأسر، وأبو فراس هو ابن عم سيف الدولة، الذي كان فارساً شجاعاً كريماً، له كل عام

(1) الديوان 4/ 295 - 296.

(2) الديوان 4/ 190 - 191.

غزوة في بلاد الروم، وفي سنة إحدى وخمسين وثلثمائة أغار الروم على مدينة حلب، وقتلهم سيف الدولة ولكنه هُزم، واستطاع الروم أن يأسروا أبا فراس ويأخذوه إلى القسطنطينية، وبقي أسيراً سجيناً عانى آلام الغربة والسجن والحزن إلى الوطن، وطالت غربته أكثر من عامين ولم يستطع سيف الدولة أن يفتديه ويفك أسرهِ، وكان أبو فراس يرسل له شعر الشكوى وهي قصائد كثيرة عرفت بالروميات، يستنجد فيها بابن عمه أن ينقذه من محنة الأسر والغربة، ويصور حاله في ظلمة السجن وعذاب الغربة: (١)

دعوتُكَ للجَفْنِ القريحِ المُسَهَّدِ	لَدَيَّ، وللنومِ القليلِ المُتَرَدِّ
وما ذاك بُخْلاً بالحياةِ وإنْها	لأوْلُ مَبْذُولٍ لِأوْلٍ مُجْتَدِ
وتأبى وأبى أنْ أموتَ مُوسِداً	بأيدي النصارى موتَ أحمَدَ اكْبَدِ
نضوتُ على الأيامِ ثوبَ جِلادِي	ولكنني لم أنْضُ ثوبَ التَجَلْدِ
أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَ خِلِّ مُكْبَلِ	وبَيْنَ صَفِيٍّ بالحديدِ مُصَفَّدِ
دعوتُكَ والأبوابُ تُزْجَعُ دونَا	فَكُنْ خَيْرَ مَدْعُوٍّ وأكرمَ مُنْجِدِ
فمثلُكَ مَنْ يُدْعَى لكلِّ عَظِيمَةٍ	ومثلي من يُفَدَى بكلِّ مُسَوِّدِ

وبقي في أسرهِ وسجنه حزينا متألماً، وسمع حمامة تنوح على شجرة فهَيَّجَتْ أشجانَهُ، وصار يخاطبها ويشكو لها همومه ومحنته: (٢)

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حَمَامَةٌ	أيا جارتا هل تشعرينَ بحالي
معاذَ الهوى ما ذُقْتُ طَارِقَةَ النَّوى	ولا خَطَرْتَ مِنْكِ اهُمُومُ بِيَالِ
أَتَحْمِلُ عِزُونَ الفؤَادِ قَوَادِمُ	على غُصْنِ نائي المسافةِ عَالِ
أيا جارتا ما أنصفَ الدهرُ بيننا	تعالِي أفايِسُكَ اهُمُومَ تعالي
تعالِي تَرَيْ رَوْحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً	تَرَدَّدُ في جِسمٍ يُعَذِّبُ بِأَلِ

(١) ديوان أبي فراس ص 68-69، تحقيق بدر الدين حاضري وعبد حمادي، ط دار الشرق العربي، بيروت 1992.

(٢) الديوان ص 174-175.

أَيْضَحُكَ مَاسُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةً وَبَسْكَتُ عَمَزُونَ وَيَنْدُبُ سَالٍ ؟
لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلِي مِنْكَ بِالدَّمْعِ مُثْقَلَةً وَلَكِنْ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالٍ
وكان في أسره دائم التفكير بأمه التي كثر بكاءها وحنينها، وطال صبرها على فراق

ابنها الأسير، فكتب إليها يواسيها ويوصيها بالصبر الجميل: ⁽¹⁾

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعِزَاءُ جَمِيلٌ وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ
جِرَاحُ تَحَامَاهَا الْأَسَاءَةُ نَحْوَةً وَسُقْمَانُ: بَادٍ مِنْهَا وَدَخِيلُ
وَأَسْرُ أَقَاسِيهِ وَلَيْلُ نَجْوَتِهِ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرُهُنَّ يَزُولُ
فِيَا أُمَّتَا لَا تَعْدِمِي الصَّبْرَ إِنَّهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالنُّجْحِ الْقَرِيبِ رَسُولُ
وَيَا أُمَّتَا لَا تُخْطِئِي الْأَجَرَ إِنَّهُ عَلَى قَدَرِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَزِيلُ
ويذكرها بصبر أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، حين صبرت على قتل ابنها عبد

الله بن الزبير، واحتسبته الله، فالمصائب في الدنيا كثيرة في كل مكان وزمان:

أَمَّا لَكَ فِي ذَاتِ النَّطَاقِينَ أَسْوَةٌ بِمَكَّةَ وَالْحَزْبُ الْعَوَانُ تَجُولُ
أَرَادَ ابْنُهَا أَخَذَ الْأَمَانَ فَلَمْ تُجِبْ وَتَعْلَمُ عِلْمًا أَنَّهُ لَقَتِيلُ
تَأْسِي كُفَاكِ اللَّهِ مَا تَحْذَرِينَهُ فَقَدْ غَالَ هَذَا النَّاسَ قَبْلَكَ غَوْلُ
ويجن التهامي علي بن محمد (ت 416) إلى أهله وأحبابه في الحجاز، ويتمنى أن

تعود ليالي الحب والصفاء التي فقدتها في البعد والغربة: ⁽²⁾

اسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ رِشَا فِي رَوْضَةِ الْقَلْبِ مَأْوَاهُ وَمَرْتَعُهُ
بِاللَّهِ يَا شَوْقُ رِفْقًا بِالْفَوَادِ فَمَا أَطِيقُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ تَصْنَعُهُ
وَأَنْتَ يَا وَصْلُ عُجْجٍ فِي رِنَعٍ فُرْقَتْنَا عَسَاكَ تَجْمَعُ شَمْلًا عَزَّ جَمْعُهُ
وَسَقَوْ مِنْ حَيَا الْقَرِيبِ سَارِيَةً فَإِنَّهُ دَائِرٌ قَدْ مَحَّ مَوْضِعُهُ ⁽³⁾

(1) الديوان ص 171.

(2) المنازل والديار ص 220، ويعارض في هذه الأبيات من قصيدة، عينية ابن زريق البغدادي التي مطلعها لا تعذليه فإن العذل يولمه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه. ولا توجد الأبيات في ديوان التهامي المطبوع.

(3) الحيا: الغيث، السارية: السحابة تسري ليلاً، مُحَّ: درس وانمحي.

عسى الليالي بأوطاني سَلَفَتْ تَرْجِفَنَّ فِيهِ رُجُوعاً لَا نُوذُعُهُ
وكان أسامة بن منقذ (ت 584هـ) قد عانى من الغربة والتشرد والنكبات وظلم المحتل الغاصب، فشاع في شعره البكاء والحنين لمن فقد، والشكوى من الأسر والغربة، يقول يشكو ظلم الزمان: ⁽¹⁾

عَلَامٌ يَادَهُرُ بِالْعَدْوَانِ نَجَسِنِي فِي غَيْرِ جَنَسِي وَلَمْ أَفْقَدْ وَلَمْ أَغِبِ
هَلْ أَبْأَدُنِي الْعَدَايِينَ اقْتَنَعَتْ لَنَا فَالذَّبِيحُ أَرْوَحُ مِنْ تَعْذِيبِ مُغْتَرِبِ
ويشكو من طول الغربة وترحله في البلاد وقد كبرت سنه وكثرت همومه وقارب التسعين: ⁽²⁾

أَهْكَذَا أَنَا بَاقِي الْعُمَرِ مُغْتَرِبٌ نَاءً عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالسَّكَنِ
لَا تَسْتَقِرُّ جِيَادِي فِي مُعَرَّسِهَا حَتَّى أَرْوِّعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّنِّ
ويشكو من البعد والغربة، ويحن إلى اجتماع الشمل، وقلبه تستعر فيه نيران الحنين إلى لقاء الأهل والأوطان: ⁽³⁾

أَيْنَ السُّلُوكُ مِنَ الْمَرْوَعِ بِالنَّوَى أَبَدًا فَلَا وَطَنٌ وَلَا خُلَانٌ
عَيْدُ الْبَرِيَّةِ مُوسِمٌ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانٌ
وَإِذَا رَأَى الشَّمْلَ الْجَمِيعَ تَزَاوَمَتْ فِي قَلْبِهِ الْأَمْوَاهُ وَالنَّيْرَانُ
ودائماً يهيج أشجان الغريب نوح الحمام ويذكره بغربته فيحن إلى أهله ووطنه: ⁽⁴⁾
تَبْكِي لِأَتْنِكَ الْحَمَامُ وَطَالَمَا هَاجَ الْجَوَى لِأَخِي الْهَوَى تَغْرِيدُهُ
يَا رَاقِدَ الْأَجْفَانِ عَنْ قَلْبِي الْحَشَا وَلَهَانَ أَقْلَى طَرْفُهُ تَسْهِدُهُ

(1) ديوانه ص 106، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط عالم الكتب، بيروت 1983.

(2) ديوانه ص 154.

(3) ديوان أسامة بن منقذ ص 154.

(4) ديوانه ص 113.

ماذا عليك إذا بكى أحبابه ذو غربة نائي المحل بعيده
ويرى أسامة أن البعد عن الحبيب غربة، والغربة موت، وغربة الموت أقسى ما
يعانيه الغريب، ورب حي هو ميت في غربته: ⁽¹⁾

أحبابنا من غاب عمن يوده فسيان عندي بعده واقترابه
إذا الميت وارى شخصه عقر الثرى فهل يذنبه أن يقل ترابه
وكل غريب الدار فالأرض دونه وإن كان حياً فالجهاً اغترابه

من آثار الغربة في سبيل الغنى

وهناك اتجاه آخر يبرر الرضى بالغربة والصبر على فراق الأوطان، مادام في الغربة
الكسب والغنى، وكل الأرض وطن، ومن الشعر الذي يروج لهجرة الأوطان في سبيل
العزائم قول إبراهيم بن العباس الصولي (ت 243هـ) الذي يقول: ⁽²⁾

لا يصبر فنتك عن عزم ثم به نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أرضاً بأرضي وإخواناً بإخوان

والذل في الوطن غربة ولا خير في العيش إذا نبئت الأوطان فالرحيل أولى، وفي هذا
القول تنفيس عن الحزن الذي يجده الشاعر شكر بن أبي الفتوح السليمانى (ت 453 هـ)
في قوله: ⁽³⁾

قوض خيامك عن أرضي ثمان بها وجانب الدل إن الدل يمتتب
وارحل إذا كانت الأوطان نايبة فالمدل الرطب في أوطانه حطب

(1) ديوانه ص 104.

(2) ديوانه في الطرائف الأدبية ص 151، وفي ديوان المعاني 2/ 534، أنشدها أبو سرح، مع خلاف يسير في اللفظ.

(3) المنازل والديار ص 240، ومآثر الأنافة 1/ 246، تحقيق عبد الستار فراج، ط الكويت.

وكذلك يرى صردر محمد بن عبد الله (ت 465هـ) الذي يبحث على الهجرة في قوله: ⁽¹⁾

قَلْبُكَ رِكَابَكَ فِي الْفَلَاحِ وَدَعِ الْغَوَايِي فِي الْقُصُورِ
فَمُحَالِفُو أَوْطَانِهِمْ كَشْبِيهِ سُكَّانِ الْقُبُورِ
لَوْلَا التَّغَرُّبُ مَا ارْتَقَى دُرُّ الْبُحُورِ إِلَى النُّحُورِ

وقال آخر يسوغ الاغتراب: ⁽²⁾

لَا رَحْلَنُ الْمَطَايِرِ خَلَّةً عَجَبًا يَكُونُ أَدْنَى مَدَاهَا الصَّيْنُ أَوْ عَدَنُ
فَكُلُّ خِلٍّ إِذَا صَافَيْتُهُ سَكَنُ وَكُلُّ أَرْضٍ إِذَا أَحْمَدَتْهَا وَطَنُ

وقد سبق هؤلاء البحري (ت 284هـ) الذي يروى له قوله: ⁽³⁾

إِذَا نَلَيْتَ فِي أَرْضٍ مَعَاشًا وَإِنْ نَأَتْ فَلَا تُكَيِّزُنْ فِيهَا نِزَاعًا إِلَى الْوَطَنِ
فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلَ بَلَدَةٍ وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَنِ

وقال البحري أيضاً: ⁽⁴⁾

كَمْ مَشْرِقِي لِي قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ فَجَعَلْتُهُ لِي عُذَّةً لِلْمَغْرِبِ
وَأَحَبُّ أَوْطَانٍ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضٌ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَكْسَبِ

(1) ديوانه ص 210 ط دار الكتب، والمنازل والديار ص 238.

(2) المنازل والديار ص 238.

(3) المنازل والديار ص 237، وليس البيتان في ديوان البحري، وهما في معاضرات الأدباء، 273 / 2 منسوبان لأبي نواس،

وليسا في ديوانه.

(4) المنازل والديار ص 237-238، ديوان البحري 1/ 60.

التنقيس عن الكربة في الغربة بالكتابة على الأبنية والجدران

ومن الطريف أن يلتفت أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ) إلى الغرباء وأحوالهم وآلامهم في ديار الغربة وما كانوا يعبرون به عن غربتهم ويحاولون أن يخففوا من آلامهم، فألف كتاب أدب الغرباء الذي حققه ونشره العالم الأديب الدكتور صلاح الدين المنجد عن مخطوطة فريدة⁽¹⁾، وهو كتاب طريف فريد في بابهِ، وقد بيّن أبو الفرج موضوع الكتاب وأهم ما جاء فيه في قوله:⁽²⁾

«وقد جمعتُ في هذا الكتاب ما وقع إليّ وعرفته، وسمعتُ به وشاهدته، من أخبار من قال شعراً في غربة، ونطق عَمَّا به من كُربة، وأعلن الشكوى بوجده إلى كلِّ مسرِّدٍ عن أوطانه، ونازح الدار عن إخوانه، فكتبَ بما لقيَ على الجدران، وبأحَّ بسره في كلِّ حانةٍ وبستان، إذ كان ذلك قد صار عادةً الغرباء في كلِّ بلدٍ ومقصد، وعلامةً بينهم في كلِّ محضِرٍ ومشهد، فأرى الحال تدعو إلى مشاكلتهم، وحيف الزمان يقود إلى التحلّي بِسَمْتِهِمْ».

وهذه بعض المواقف والمشاهد منقبتة من هذا الكتاب النفيس

1- ما يكتبه الغرباء على الجدران:

ولد أحمد بن هشام عن أبيه قال:⁽³⁾ كنتُ في جملة عسكر المأمون حين خرج إلى بلد الروم، فدخل وأنا معه إلى كنيسة قديمة البناء بالشام عجيبة الصور، فلم يزل يطوفُ بها، فلما أراد الخروج قال لي: من شأن الغرباء في الأسفار، ومن نزحت به الدار عن إخوانه وأترابه، إذا دخل موضعاً مذكوراً، ومشهداً مشهوراً أن يجعل لنفسه فيه أثراً، تبرُّكاً

(1) نشر دار الكتاب الجديد، بيروت 1972.

(2) أدب الغرباء ص 21.

(3) أدب الغرباء ص 23.

بدعاء ذوي الغربة، وأهل التقطع والسياسة. وقد أحببت أن أدخل في الجملة، فابغ لي دواة، فكتب على ما بين المذبح⁽¹⁾ هذه الأبيات:

بامعشر الغرباء ردكم ولقيتم الأخبار عن قُرب
قلبي عليكم مُشفقٌ وجِلُّ فشفأ الإلهُ بحفظكم قلبي
إني كتبتُ لكي أساعدكم فإذا قرأتم فاعرفوا كُتبي

وكان بعضهم يكتبون على جدران القصور التي يزورونها استشهاداً بشعر الأقدمين، وذلك ما كتبه أبو جعفر من شعر لبيد بن ربيعة العامري: ⁽²⁾

المراءُ يأملُ أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قديضُرة
نودي بشاشتته ويعقبُ بعدَ حُلُو العيشِ مُرة
وتسوؤه الأيامُ حتَّى لا يرى شيئاً يسُرة
كم شامتٍ بي إن هلكُ كُت وقائلي لله دُرة

قيل: فما لبث إلا قليلاً.

حدث بعض بني نوبخت قال: لما اجتاز الرشيد في طريقه إلى خراسان أقام بحلوان أياماً ثم رحل، فوجد بخط على حجر كان بالقرب منه: ⁽³⁾

حتى متى أنا في جِلٍّ وترحالٍ وطولٍ سغيٍّ وإدبارٍ وإقبالٍ
ونازح الدارِ لا أنفكُ مُغترباً عن الأجيّة لا يدرونَ ما حالي
بمغتربِ الأرضِ طوراً ثم مشرقها لا يخطرُ الموتُ من حرصي على بالي
ولو قُبِعتُ أتاني الرزقُ في دعةٍ إنَّ القُنعَ الغنى لا كثرةُ المالِ

(1) المذبح: الموضع الذي تقيم فيه الكهنة القدّاس في الكنائس وتذبح الذبيحة غير الدموية. أقرب الموارد.

(2) أدب الغرباء ص 23 - 24، ديوان لبيد ص 356، تحقيق إحسان عباس، مع خلاف في رواية الشعر.

(3) أدب الغرباء ص 30.

قال: وحدثني أيضاً⁽¹⁾ قال: قال لي رجل من أهل الشام: اجتزْتُ بمنارة الإسكندرية، فدخلتها لأرى عَجِيبَ بناتها وما أسمعُ من صفتها، فلِني لأطوفُ فيها فمررتُ بموضعٍ في أعلاها فيه خطوطُ الغرباء والمجتازين قديمةٌ وحديثةٌ، وإذا في جملة ذلك موضعٌ مكتوبٌ بحيرٍ بَيِّنٍ: يقول محمد بن عبد الصمد: وصلتُ إلى هذا الموضع في سنة سبعين ومائتين. وصلتُ إليه بعد نَصَبٍ وشقاء، وملاقاةٍ ما لم أحسبُ أني ألقى، ولم أحبِّ الانصراف عنه إلا بعد أن يكون لي به أثر، فقلت هذه الأبيات وكتبتها فيه:⁽²⁾

شَرَّدْتَنِي نَوَائِبُ الْأَيَّامِ وَرَمَّتَنِي بِصَائِبَاتِ السَّهَامِ
فَرَّقَتْ بَيْنَ مَنْ أَحَبُّ وَبَيْنِي وَنَحَّ قَلْبِي الْمَتِيمَ الْمُسْتَهَامِ
لَهَفَ نَفْسِي عَلَى زَمَانٍ تَقْضَى فَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ

قال: وكنت بجوامع الرصافة في مدينة السلام يوم جمعة، وأظن ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وخمسين وثلاث مئة، فمرت بي رقعةٌ قد حُذِفَ بها، كما تفعل العامةُ برقاع الدعاء، فأخذتها غير معتمد، فإذا فيها بخطٌ مليح في معنى خطوط الكتاب:⁽³⁾

بسم الله الرحمن الرحيم:

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ دَعَا لَغَرِيبٍ مُذْنَفٍ قَدْ جَفَاهُ كُلُّ حَبِيبٍ
وَرَمَاهُ الزَّمَانُ مِنْ كُلِّ قَطْرِ فَهَوَ لَا شَكَّ مَيِّتٌ عَنْ قَرِيبٍ

قال: وحدثني شيخٌ لنا قال: قرأتُ على حائط مقبرة سيويه⁽⁴⁾ مكتوباً:
رَحَلَ الْأَجْبَةُ بَعْدَ طَوْلِ تَوَجُّعٍ وَنَأَى الْمَزَارُ فَأَسْلَمُوا وَأَوْجَعُوا

(1) المحدث هو أبو الطيب أحمد بن محمد المخزومي.

(2) أدب الغرباء ص 31.

(3) أدب الغرباء ص 33.

(4) قيل إن سيويه دفن بالبصرة، وقيل إنه دفن بشيراز. تاريخ بغداد 12 / 198.

تركوك أوحش ما يكون بقفرة لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قال: وقرأت على حائط مسجد الجامع بدسكرة الملك^(١): حضر فلان الصّروي^(٢) في سنة
ثلاث وخمسين ومئة، وهو يقول: ^(٣)

سقى الله أيام التواصل غيئة وردّ إلى الأوطان كلّ غريب
فلا خير في دنيا بغير تواصل ولا خير في عيش بغير حبيب

وكتب مغترب بغدادي على صخرة بجزيرة قبرس: قذف بي الزمان إلى هذا المكان: ^(٤)
فهل نحو بغداد معاذ فيشتفي مشوق ويحظى بالزيارة زائر
إلى الله أشكو لا إلى الناس، إنّه على كشف ما ألقى من الهمّ قادر

وفي إكرام الغرب قيل: قال حمزة بن القاسم: قرأت على بعض قصور آل المهلب: ^(٥)
نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المخل
فما زال بي إكرامهم وافتقارهم ويرثهم حتى حسبتهم أهلي

وبلغ أحد المغتربين بلاد اليونان وكتب على جدار الحصن:

بسم الله الرحمن الرحيم. يقول فلان بن فلان: من وصل إلى هذا الموضع بعدي
فليعجب من قصتي، وليرث لمحتي. خرجت هارباً من الإملاق، وتضايق الأرزاق،
فعدّل بي عن السداد، وتمت في البلاد، وبلغ بي الدهر إلى هذا القصر: ^(٦)

(1) دسكرة الملك: قرية في طريق خراسان قرية من شهربان، وكان هُرمز بن سابور يُكثر المقام بها فسميت بذلك. ومعنى الدسكرة: الأرض المستوية. معجم البلدان 2/ 575.

(2) نسبة إلى نهر الصراة من أنهار بغداد. مراصد الاطلاع 2/ 836.

(3) أدب الغرياء ص 34.

(4) أدب الغرياء ص 42.

(5) أدب الغرياء ص 44.

(6) أدب الغرياء ص 69.

فيا ليت شعري متى ينقضي عنائي وتكشف عني المحن
شريداً طريداً قليل العزا سحيق المحل بعيد الوطن

قال: فاستطرفنا أن تكون الغربة بلغت إنساناً إلى ذلك المكان.

وقال: حدثني فتى من أهل الموصل قال: كنت سائراً بالساحل في طريق مكة، وإني لفي بعض الطريق إذ سمعت صوتاً - ولا أرى أحداً - وهو يقول: ⁽¹⁾

نفسى الفداء لنفسي كل غريب وفداء كل مفارق لحبيب
لعبت به الأيام في تصرفها ونأت به عن صاحب وقريب

فحفظت البيتين، ولما وصلت إلى جبل بالقرب من الموضع كتبتُهما على جانبه، ومضيتُ فأقمتُ بالرملة شهوراً، وعدتُ فاجتزتُ بالموضع الذي كنتُ كتبتُهما فيه، فإذا تحته مكتوب:

نحن نفديك يا ظريف الفعال أبداً بالنفوس والأموال
أنقلتنا الأبيات بالشكر حتى قد ضعفنا عن نيله بمقال
أنا ممن نأى وفارقه الإلـ ففأمسى مُغيّر الأحوال
ولعل الزمان يرحم ضعفي فتعود الأيام لي بالوصال

قال: ولا أدري لمن الشعر الأول والثاني.

ومن أخبار العشاق الغرباء، ما رواه صالح بن عبد الرزاق قال: حججتُ فرأيتُ في تطوافي على حائط المسجد الحرام مكتوباً: ⁽²⁾

يا أهل مكة قد قُنتُ بظبية ترعى دياركم فهل من مُسعود

(1) أدب الغرباء ص 72.

(2) أدب الغرباء ص 78 - 79.

إني غريبٌ والغريبُ مُسَاعِدٌ ذو صَبَوَةٍ فارثوا لطولِ تكدُّري
إني احتشمتُ لقاءكم وخطابكم فكتبْتُ ما ألقى ببابِ المسجدِ
فحفظت الأبيات، ولم أدِر لمن هي.

وأقمتُ بمكة أياماً، فدخلتُ إلى مجلسٍ جارية لبعض أهل مكة تغني بالقضيب^(١)، في نهاية الطيب والحذق، فأعجبني وأطربني، فغنت في آخر مجلسها:

قالوا غداة غدٍ رحيلُ الموسمِ وفراقٌ من تهوى بأنفٍ راغِمِ
ففرَّقتُ زفرةً عاشقي متحيرٍ ويكيثُ من جَزَعٍ بدمعٍ ساجِمِ
هذا وما حُكمَ الفراقُ فكيف لو قالوا الرحيلُ يكونُ حالُ الهائمِ

فقام فتى في آخر المجلس فصاح، وعَضَّ ثيابه، ولطم خدَّه، ولم يزل يقول ويبكي:
مل ينفعنِّي كتابي على المساجدِ ما بي
أم لا فأقتلُ نفسي فلأنني في عذابِ
فعلمتُ أنَّ الأبيات المكتوبة على المسجد الحرام له، وأنَّه عاشقٌ للجارية.

وكانوا يرون، وما زالوا أن فقد الأُحبة في الأوطان غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأُحبة ١٩، جاء في أدب الغرباء^(٢): قرأت على فناء المسجد الجامع بمُتوث، وهي مدينة بين سوق الأهواز وبين قُرُتوب^(٣)، عند اجتيازي بها مكتوباً: حضر المؤمِّل بن جعفر البندنجي في شهر رمضان من سنة سبع وعشرين وثلاث مئة وهو يقول: كنا نسمع أهل العلم يقولون: فَقَدُ الأُحبة في الأوطان غُرْبَةٌ، فكيف إذا اجتمعت الغربةُ وَقَدُ الأُحبة، وجملة الأمر أنَّ الذي عرفته من حال الدنيا أنه لا يفي قَرْحُها بترَجِّها، فقلتُ:

(١) قال المحقق: أي أنها تغني وتضرب بالقضيب على مخدة من الجلد لضبط النغمة.

(٢) ص 32.

(٣) معجم البلدان - ياقوت: متوث.

يا مَنْ على الدنيا يُجاذِبُ وعلى زخارفها يُغاضِبُ
لا تَطْلُبَنَّ وَصَالَهَا لَيْسَتْ لَصَاحِبِهَا بِصَاحِبِ
بَيْنَا تَرَاهَا عِنْدَهُ إِذْ فَارَقْتُهْ وَلَمْ تُرَاقِبْ
إِنِّي خَبَرْتُ حَدِيثَهَا يَا صَاحِ مِنْ طَوْلِ التَّجَارِبِ

وإذا تحته مكتوبٌ بغير ذلك الخط:

صَدَقْتُ صَدَقْتُ وَعِنْدِي الْخَبْرُ سَاحَدْتُ مِنْهَا رُكُوبَ الْخَطَرِ
وَأَهْمَلُ نَفْسِي عَلَى حَالَةٍ فَلَمَّا انْتَفَاعٌ وَلَمَّا ضَرَرُ

ومن عادة الغريب المحزون أن يتجول بين الآثار وزيارة الأماكن المعمورة أو المهجورة ليلتمس السلوة والصبر والعزاء، قال أبو الفرج الأصفهاني: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ حمزة بن القاسم الشامي قال: ⁽¹⁾ اجتزت بكنيسة الرُّها عند مسيري إلى العراق، فدخلتها لأشاهد ما كنتُ أسمعُه عنها، فبينما أنا في تطوافي، إذ رأيتُ على ركنٍ من أركانها مكتوباً بالحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة، إذا ركبتهُ المحنة انقطاعُ الحياة، وحضور الوفاة وأشدُّ العذابِ تطاولُ الأعمار في ظلِّ الإدبار. وأنا القائل:

وَلِي هِمَّةٌ أَدْنَى مَنَازِلِهَا الشُّهَا وَنَفْسٌ تَعَالَى فِي الْمَكَارِمِ وَالنُّهَى
وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَالٍ بِمِירו قَرِيْبَةٍ فَلَبَّغَتِ الْأَيَّامُ بِي بَيْعَةَ الرُّهَى
وَلَوْ كُنْتُ مَعْرُوفاً بِهَا لَمْ أَقُمْ بِهَا وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ ذَا غُرْبَةٍ بِهَا
وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ إِبْعَادُ مُضْطَفِّي وَتَفْرِيقُ مَجْمُوعٍ وَتَنْفِيصُ مُشْتَهَى

فاستحسنْتُ النظمَ والشر وحفظتهما.

(1) معجم البلدان: الرُّها 3/ 106-107، أدب الغريب ص 36-37.

الفصل الرابع

الغربة في التراث الإسلامي

جاءت كلمة غربة في اللغة العربية في سياقين، الأول ديني، والثاني نفسي اجتماعي، ففي السياق الديني لم ترد كلمة (غربة) في القرآن الكريم، وإن كانت فكرة الاغتراب التي تعني انفصال الإنسان عن الله قد جاءت في قصة خلق آدم وهبوطه من الجنة، كما وردت في سورة البقرة.

يراد بالاغتراب الديني: الانفصال أو التجنب عن الله، وجاء معنى الاغتراب في الإسلام كما يوضحه الحديث النبوي، قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله، قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس)، فالغرباء هم فئة قليلة من أهل الصلاح والتقوى استجابت للرسول [في مبتدأ الدعوة، ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات.

وقد جاء الاغتراب في الإسلام في درجات ثلاث: اغتراب المسلم بين الناس، واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين. فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب، لِقَلَّتْهُمْ بين الناس، وقلة مشاركة الناس لهم.⁽¹⁾

وحين ظهر الإسلام وانتشرت دعوته زالت الغربة عن المسلمين، ولكن سرعان ما شعر المسلمون بالغربة حين دب الطمع وكثرت الأنانية والعصية القبلية بعد مضي أقل

(1) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر المجلد العاشر، العدد الأول ص 83-98، 1979.

من قرن، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ، وعرف المسلمون الصالحون الزاهدون الغربة وعاشوا أهوالها.

وكان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ؓ قد عاش الغربة وعانى من أهوالها، وكان أول الثائرين حين رأى اختلال ميزان العدل بين طبقات المسلمين في أول العهد الأموي، وقد أنكر على بعض الأثرياء ما هم فيه من الملذات المادية، وصدهم بقوله المأثور: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، لا حبذا المكروهان الموت والفقر». ^(١)

يذكر القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ) في رسالته ما يعاينيه وأبناء زمنه من الغربة فيقول: وإذا كانت الغربة قد أسرع إلى الإسلام في عصوره المبكرة، فما حال الإسلام في زماننا. وكيف لا يغترب الإسلام في زماننا بعد أن «زال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، وإدانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ، حين تفشت في المسلمين فتنة الشبهات والشهوات» ^(٢).

ولاشك أن الإسلام لم يحرم التمتع بالخلال من أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣)، ولكن الإسلام حرم الانغماس في

(1) أبو العلا عفيفي: التصوف، النورة الروحية في الإسلام، ص 111، ط القاهرة 1963.

(2) عن خليفة: سيكولوجية الاغتراب ص 101، ط دار غريب، القاهرة د.ت.

(3) الأعراف 32.

شهواتها التي تشغل القلب عن ذكر الله، فالاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراب الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، اغتراب عن النظام الاجتماعي الظالم المنحرف، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية، فقهروا السلطتين جميعاً: سلطة الحكام وسلطة النفس بترويضها على الطاعات واعتزالهم عن الناس، فحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمن والأمان، محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب والخوف في قلوب المسلمين، بعد أن تفتت بينهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات.⁽¹⁾

معنى الغربة في الإسلام

وجاء معنى الغريب والغرباء عند الصوفية بالمعنى السابق نفسه، فالغريب عندهم: من يتجنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات، وينفصل عن العامة والناس، باعتبار أنهم من عوامل ضياع ذاته الأصلية، ولذلك فهو دائماً ينشد السفر والتجوال لما فيهما من كشف عن حقيقة ذاته والتعرف عليها بعيداً عن العامة.⁽²⁾

وهناك اسم آخر أطلق على (الغرباء) عند الصوفية هو اسم (النوابت) ذكره ابن باجة (ت 1138 م) في كتابه (تدبير المتوحد)، يقول: «فأما من وقع على رأي صادق لم يكن في تلك المدينة، أو كان فيها نقيضه هو المعتقد، فإنهم يسمونهم النوابت. وكلما كانت معتقداتهم أكثر وأعظم موقعاً، كان هذا الاسم أوقع عليهم، وهذا الاسم يقال عليهم خصوصاً، وقد يقال بعموم على من هو يرى غير رأي أهل المدينة، كيف كان صادقاً أو كاذباً، ونُقل إليهم هذا الاسم من العشب النابت من تلقاء نفسه بين الزرع، فلنخص نحن بهذا الاسم الذين يرون الآراء الصادقة»، ويوضح دلالة هذا

(1) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، سنة 1979، ص 83-98.

(2) الكمشخاني: جامع الأصول: ص 88، ط الحلبي، القاهرة. عمود رجب ص 44.

الاسم بقوله: «إن النوابت هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة، وهؤلاء هم الذين يعينهم الصوفية بقولهم الغرباء، لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم، فقد سافروا فأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان»⁽¹⁾.

ويرافق الاغتراب العزلة والتوحد؛ العزلة الجسدية وعزلة الروح، وقد رافقت العزلة الأنبياء والصالحين، وكانت من صفات الزهاد وأهل التصوف، لما تمدهم العزلة من صفاء فكري وتأمل روحاني. وقد رافقت الغربة الأنبياء، فالنبي إبراهيم تغرب حين خرج من العراق إلى الجزيرة، وتغربت معه أسرته، وخرج موسى من مصر متوارياً من ظلم فرعون وقومه، ووطأ أرض مدين غريباً فأواه شعيب وتزوج إحدى ابنتيه، وكان في غربته قد ناجى ربه قائلاً: «ياربِّ إني وحيد مريض غريب، فناداه ربه: يا موسى، الوحيد من ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة»⁽²⁾.

وعاش رسول الله ﷺ الغربة وهو يتحمل أذى قومه من قريش، وعاش الغربة في مقامه بمكة وعند هجرته إلى المدينة متخفياً مع أبي بكر الصديق، وكان المسلمون الأوائل غرباء بين أهلهم يتحملون الأذى وهم صابرون، واضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وجاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾⁽³⁾، وجاء ذكر الغربة في وصف الإسلام في قول النبي ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء)⁽⁴⁾. وسئل رسول الله ﷺ

(1) رسائل ابن باجة الإلهية ص 42، 43، تحقيق ماجد فخري، بيروت 1968.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 2/ 123.

(3) الحج 40.

(4) صحيح مسلم 130/1 ط دمشق 1955.

عن الغرباء في الإسلام، فقال: (هم الذين يزيدون إذا نقص الناس)، وفسر ابن قيم الجوزية معنى الزيادة في الحديث النبوي فقال: «الذين يزيدون خيراً وإيماناً وتقياً إذا نقص الناس من ذلك».⁽¹⁾

وحين استقرت الأمور في صدر الإسلام وكثرت الفتوح، أصاب بعض القرشيين من نعيم الدنيا وكثر المال والعقار في أيديهم، وبقيت هناك طوائف كثيرة في فقر وعوز، فظهرت جماعات تدعو إلى الزهد ونبذ الترف، وفي مقدمة أولئك أبو ذر الغفاري الذي كان غريباً في بيئته، فاضطهد وطُرد، وما كان يقوله في أمر المترفين أهل الترف والثراء: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر»⁽²⁾، لقد دخلت الغربة في الإسلام حين كثرت العقائد والمذاهب والفرق والنظريات، فعاد الإسلام غريباً كما بدأ. وكان من أثر ذلك ظهور الزهد والزهاد الذين دعوا إلى اعتزال الناس، ونبذوا الدنيا وشهواتها وملاذها، فصاروا باعتزالهم الناس ودنياهم غرباء، والزهد صورة من صور الغربة، والزاهد مغترب وهارب من مواجهة الواقع، ومحتج على القيم السائدة التي يراها خطأ وانحرافاً، ويرى القشيري أن الزاهد: «غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة»⁽³⁾.

وكانت الخلوة والاعتزال والتغرب معروفة عند العرب منذ العصر الجاهلي، وقد عرف من هؤلاء المعتزلين قس بن ساعدة الإيادي، وأميمة بن أبي الصلت، وخالد بن سنان العبسي، وزيد بن عمرو بن نفيل⁽⁴⁾، والخلوة والاعتزال والانسحاب إلى الذات أعلى

(1) خليف: الاغتراب في الإسلام السابق والصفحة.

(2) أبو العلا عفيفي: التصوف، الثورة الروحية في الإسلام ص 111.

(3) فصوص الحكم ص 186، ط القاهرة 1946، وانظر: الغزالي: المقصد من الضلال ص 11.

(4) البداية والنهاية لابن كثير الجزء الثاني في تراجم المذكورين.

درجات الاغتراب، ومما روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال لمعروف الكرخي: «أقلل معارفك»، فسأله معروف المزيّد من هذا النصّ فقال له: «أنكر من عرفت منهم»، وقال جعفر الصادق: «لولا الموضع الذي وضعني الله فيه لسرني أن أكون على رأس جبل، لا أعرف الناس ولا يعرفونني حتى يأتيني الموت»⁽¹⁾.

والفكر الصوفي فكرٌ غربيّ وانعزال، سأل أحد المتصوفة ذا النون المصري: متى تصح العزلة عن الخلق؟ ومتى يصح لي طلب الزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك، هارباً من جميع ما يشغلك عن الله.

والخلوة الصوفية انسلاخ عن الناس وعن النفس أيضاً، وبذلك يقول البسطامي: «انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرت إلى ذاتي فإذا أنا هو»، وكان ابن عربي محمد بن علي محيي الدين (ت 638هـ) يدعو في بعض رسائله إلى: «الهرب من طريق الراحة»⁽²⁾.

وهناك من يرى أن الخلوة والاعتزال عند الصوفية ليست بسبب نفورهم وزهدهم في الحياة، فهم يحبون الحياة ويتعلقون بأسبابها، ويقال إن رابعة العدوية حين ذكر أصحابها الدنيا وذمها قالت: «اسكتوا عن ذكرها، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، إن من أحب شيئاً أكثر من ذكره»⁽³⁾، ويرى زكي مبارك: «أن الدنيا شغلت الصوفية، فلم تخل منها قلوبهم طرف عين، ولو خلّت منها قلوبهم لما طوّقوها بقلائد الهجاء، وإنما مثلها في أنفسهم مثل المرأة المطلقة التي يحن إليها زوجها ويتمنى لو عادت لياليها»⁽⁴⁾.

(1) كامل الشيبني: الفكر الشيعي ص 92.

(2) رسالة الخرق لابن عربي، مخطوط في خزانة المتحف العراقي، الورقة 56 ب، عن الاغتراب والعبقرية: عادل الألوسي ص 67.

(3) الغزالي: إحياء علوم الدين 3 / 208.

(4) التصوف الإسلامي 2 / 126.

وتتكرر في عبارات الصوفية غربة الروح، ويعرفها الهروي بقوله: «غربة طالب الحق، غربة العارف، لأن العارف في شاهده غريب، موجودة لا يحملها علم، أو يظهرها وجد، أو تطبيقها إشارة أو يشملها اسم، فغربة العارف غربة الغربة، لأنه غريب الدنيا والآخرة»⁽¹⁾، وغربة الصوفية غربة روحية، تتجسد في سير أعلامهم حيث اعتزلوا الحياة والناس، وحاولوا الاتصال بالله عن طريق التجرد والتسامي والاستغراق في حب الذات الإلهية، كما فعلت رابعة العدوية (رابعة بنت إسماعيل العدوية ت 135 هـ) التي بدأت حياتها لاهية جرفها تيار المجون في أول صباها، ثم جاءت الصحو فنبذت الإثم واتجهت إلى الحب الإلهي وتخلصت من الغربة الروحية حين وجدت طريقها إلى الله وعاشت في حماه، ومن أقوالها: «آن للغريب أن يرى حماه»، وكذلك كان الحال عند بقية المتصوفة كأحمد بن عاصم الذي يقول: «إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ»⁽²⁾. وإذا كانت الغربة عذاباً عند الناس فإنها عند الصوفية ليست كذلك، بل هي عشق لله وحده، وهي مرحلة يقطعها المتصوف للوصول إلى الهدف الأعظم وهو الفناء في الذات الإلهية، يقول الشاعر المتصوف أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243 هـ)، حاكياً طبيعة غربته: ⁽³⁾

أنا في الغربة أبكي ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيب
عجباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي

(1) الهروي: التمكين في شرح منازل السائرين ص 274 .

(2) ابن رجب الحنبلي: كتاب الكربة في وصف حال أهل الغربة ص 15، ط القاهرة د.ت.

(3) عادل الألوسي: الاغتراب والعبقرية ص 70 .

وقد يبلغ العشق الإلهي عند الصوفية إلى درجة الهيام والجنون، كما نجد عند أبي بكر الشبلي (دلف بن جحدرت 334 هـ) الذي كان والياً في دنباوند من نواحي رستاق الري، وكان حاجباً للموفق العباسي، فقد ترك أملاكه للفلاحين وتصوف، وظل سنوات يستجدي الناس إحساناً، وقد طور الشبلي مفهوم العشق إلى معنى روحي هو العشق الإلهي، وتتضح الغربة عنده بالتفرد الذي يصل إلى درجة الفناء في المحبوب، فهو غريب متفرد في هذا العشق، فيقول في غربته هذه: ⁽¹⁾

تَغَرَّبَ أَمْرِي فَأَنْفَرَدْتُ بِغَرِبَتِي وَأَفْنَيْتَنِي عَنِّي فَصَرْتُ مُجَرِّداً

وينوه بعشق قيس بن الملوح الذي دفعه إلى الجنون، أما الشبلي فقد كتم هواه وتفرد بهذا العشق: ⁽²⁾

بَاحَ مَجْنُونٌ عَامِرٌ بِهَوَاهُ وَكَتَمْتُ الْهَوَى فَفَزْتُ بِوَجْدِي
وَإِذَا كَانَ فِي الْقِيَامَةِ نَوْدِي أَيْنَ أَهْلِ الْهَوَى ؟ تَقَدَّمْتُ وَحْدِي

(1) ديوان الشبلي ص 94، جمع وتحقيق كامل مصطفى الشبيبي، ط بغداد 1967، وانظر الحنين والغربة لماهر حسن فهمي ص 21.

(2) ديوان الشبلي ص 99.

مؤلفات المسلمين في الغربية

وقد حفل الفكر الإسلامي بالمؤلفات التي تتضمن الغربية، ومن صور الغربية الاعتزال، وقد ألف الخطابي (ت 388هـ) كتاب (العزلة)، وهو صورة من صور الاغتراب، وأوضح الخطابي المراد بالعزلة وبين أنها نوعان: العزلة الفكرية، والعزلة عن الناس، ويرى أن العزلة التي يريد بها هي ترك فضول الصحبة ونبد الزيادة منها، وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها⁽¹⁾، ويرى أن خير العزلة ما كانت لأجل العلم وإن كانت بعيدة عن الأهل والوطن⁽²⁾.

وحين تناول ابن عربي (ت 638هـ) فكرة الخلق والهبوط، لم يجد سوى كلمة (الغربة) وفعل (الاغتراب)، قال: «إن أول غربة اغتربناها وجوداً حسيّاً عن وطننا، غربتنا عن وطن القبضة عند الأشهاد بالربوبية لله علينان ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة»⁽³⁾.

وجاءت الفكرة نفسها، أي فكرة الانفصال عن الله سبحانه عند السهروردي حكيم الإشراق (ت 550-660 هـ / 1155-1261 م)، في قصته الرمزية (الغربة الغربية) التي تحكي الانفصال عن الأصل (مشرق الأنوار)، والوقوع في عالم البرزخ، وكيف أن الحكمة اللدنية (المشرقية) تقود الصوفي إلى أن يعي (غربته الغربية)، أي أن يدرك عالم البرزخ بوصفه "غرباً" يقوم قبالة "المشرق"⁽⁴⁾.

(1) الخطابي أحمد بن محمد البنداري: العزلة ص 11 - 13، تحقيق عبد الغفار سليمان، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

(2) العزلة ص 52.

(3) الفتوحات المكية 2/ 696، وانظر: محمود رجب: الاغتراب سيرة ومصطلح ص 40 ط 4، دار المعارف 1993.

(4) محمود رجب ص 41.

والاغتراب عن الوطن السماوي، اغتراب يشترك فيه المؤمنون جميعاً، فالمؤمن في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي: ⁽¹⁾

وحي على جنان عدن فإنها منازل لك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سيئ العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تحكم

والغربة عند ابن قيم الجوزية ثلاث: «غربة أهل الله وأهل السنة ورسوله بين الخلق، وهي غربة مدحها الحديث الشريف، وغربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، وغربة مشتركة لا تحمد ولا تذم وهي الغربة عن الوطن» ⁽²⁾.

لقد كان الاهتمام بالغربة بمعناها الروحي والنفسي عند المتصوفة أن ألف بعض الكتاب المسلمين مؤلفات منها: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، وكشف الكربة في وصف الغربة لابن رجب الحنبلي، والعزلة للخطابي، والفلاكة والمفلوكون لشهاب الدين أحمد بن علي الدلجي، ومنازل السائرين للهروي الأنصاري، وكتب الزهد والتصوف الإسلامي مثل كتب الغزالي وابن عربي والقشيري وغيرهم.

(1) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 3/ 126، وانظر: نبيل اسكندر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر ص 33، ط دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1988.

(2) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 3/ 196.

غربة أبي حيان التوحيدي

وأصدق من عاش الغربة وعاش ويلاتها أبو حيان التوحيدي وفي غربة أبي حيان (ت 400 هـ) يقول عبد الرحمن بدوي:⁽¹⁾ «وصاحبنا لا نعرف له أصلاً، إنما هو من أولئك الموالي الذين اختلطت فيهم الدماء والعناصر فكانت مركباً غريباً، على أنه كان يشعر بواشجة قريى مع الغرباء والأفاقيين، حتى كان لا يخالط (إلا الغرباء والمجتدين والأدنياء الأردياء)⁽²⁾، وما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم، إذ كان يرتد إليهم مهتماً زجره عن ذلك زاجر من كبار القوم، على أن الأرجح أن يكون فارسي الأصل، مع احتمال دخول أجناس أخرى، وبالجملة فهو آري في غالب الظن، ولا شك أنه كان يشعر بالذلل العنصري الذي كان بالغاً أشده في عهده، أعني القرن الرابع الهجري، خصوصاً وبدأ عنصره يتصر، بل ويستقل بدويلات لا تكاد تربطها بمركز الخلافة إلا أوهى الروابط، ومن هنا كانت عنايته كلها بأمر الشعوبية، وما ذلك إلا لما يعاينه من تجربة أو شعور أليم يبلغ حد المأساة، لأنه شعور عنصر بأسره في كفاح حضاري مع عناصر قوية أخرى كانت لها عليه مكانة السيادة»⁽³⁾ ويقول: «وصاحبنا قد لقي الأهوال من الأحياء، عرف الشقاء الذي لا يستحقه، بينما وجد التافهين يرتفعون إلى أعلى مراتب الرياسة والشرف في الدنيا. وسعى ما استطاع لطلب المثالة بين الناس (ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم)⁽⁴⁾ فحرم ذلك كله. وزاد من شعوره بالآلم أنه طلب المجد عند أناس مهنتهم مهنته، أعني حرفة الأدب، لكنهم بلغوا مراتب الوزارة وهو لم ينل إلا

(1) مقدمة الإشارات الإلهية ص 7.

(2) الإمتاع والمؤانسة 7/1 ط القاهرة 1939.

(3) السابق ص 12.

(4) ياقوت معجم الأدباء 5/ 1930 ط إحصان عباس.

البؤس والحرمان، وظن أنهم أقدر الناس على معرفة قدره، فلم يلق منهم إلا كل نكران وتحقير وإهانة لكل كرامة.

وعاد من حيث أتى، لم يزد إلا همّاً على همٍّ، ومرارة إملاق على إملاق، فلم يجد غير القرطاس يصبُّ فيه جام غضبته المقدسة، فراح يفضح "مثالبها"، أو بعض المحرومين ممن على شاكلته مثل أبي بكر القومسي الفيلسوف الذي قال هو عنه إنه: (كان بحراً عجاجاً وسراجاً وهاجاً، وكان من الضر والفاقة، ومقاساة الشدة والإصاقة، بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار، منحوس الحظ منهم، مُتَّهَمٌ في دينه عند العوام، مقصوداً من جهتهم)، يناجيه صاحبنا ويطارح كل منهما الآخر، حديث شقائه، وهما في الحرمان والشقاء صنوان. قال لصاحبنا هذا يوماً: (ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغ مني: إن قصدت دجلة لأغسل منها نضب ماؤها، وإن خرجت إلى القفار لأتيمّم بالصعيد عاد صليداً أملس)⁽¹⁾.

ومع ذلك كان ذا أنفة نفس واعتداد بالكرامة، فلم يشأ أن يترامى على أعتاب الرؤساء، هذا الداء العضال المستحكم في الشرق حتى اليوم ويا للأسف الشديد، بل ربا بنفسه عن كل هذا قائلاً: (معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس، والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر إلى مُحَيَّا كل ثقل)⁽²⁾، فرد عليه صاحبنا: (ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى عليّ الحُزف وتمكن مني نكدُ الزمان)⁽³⁾. لقد انطلق يرمي زمانه وأهل زمانه بمقذع الهجاء، شاكياً نائحاً حيناً، متمرداً عنيداً يجذّف بكل شيء حيناً آخر.

(1) معجم الأدباء - ياقوت 1926/5 ط إحصان عباس.

(2) معجم الأدباء 1927/5.

(3) ياقوت السابق والصفحة.

«كذلك فرضت عليه الوحدة في الحياة، فظل عمره لا يجد حوله (ولداً نجيباً وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً ورئيساً مثيباً)»⁽¹⁾، ومن هنا شعر بالوحشة الهائلة في دنياه، فانطلق يصفها بكل حرارة ومرارة في معظم صفحات كتبه.

لقد أحس بأنه غريب في كل شيء: غريب في وطنه، غريب عن أحبائه، غريب عن كل ما في الوجود من أشياء وأحياء. فكان موضوع (الغريب) هذا من أبلغ ما سطره قلمه، وفيه ملامح وجودية لا يخطئها النظر من أول وهلة، ولهذا كان الباحث لي إلى تلمس الوجودية في كتابته، وفي مدينة بغداد التي كانت آنذاك مدينة عالمية، سرعان ما يستأصل فيها ساكنوها، خصوصاً إن كانوا ممن اصطلحت عليهم أخلاط من الأجناس والثقافات المتعارضة، فضلاً عما يضاف إلى هذا من انعدام الشعور القومي المحلي عند أمثال صاحبنا من المفكرين الفضوليين على الحياة السياسية، شأن المفكرين في ذلك الدور الحضاري: يكونون عادة عالمي النزعة (cosmopoles)، وهو ما عبر عنه أبو الفتح البستي (ت 400 هـ) خير تعبير في ذلك العهد نفسه فقال: ⁽²⁾

إذا نبا بكريم موطنٌ فله وراءه في بسيط الأرض أوطانُ
وإن تبت بك أوطانٌ نشأت بها فارحلٌ فكلُّ بلاد الله أوطانُ

ولكن صاحبنا لا يقنع بهذا المعنى المبتذل في عهده ودور الحضارة الذي يتسبب إليه، وإنما يرفعه إلى المعنى الأعمق، فيقول: (قد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب، بل الغريب من نودي من قريب) ثم يرتفع بهذه النبرة إلى درجة عالية

(1) ياقوت 1930/5.

(2) ديوان البستي ص 192، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1989، والبيت الآخر في القصيدة نفسها ص 191.

فيصبح: (بل الغريب من هو في غربته غريب). آية روعة في هذه العبارة التي تبدو في صورة التناقض الوهمي المتناقض (paradoxe)، أو في صورة الابتذال ! إذ معناها أن هذا الغريب قد صارت الغربة نفسها غريبة عنه، ذلك لأنه ارتفع فوق معنى الغربة عن الوطن إلى معنى الغربة عن الغربة بعد أن صارت الغربة نفسها وطناً له.

وصاحبنا حريص⁽¹⁾ كل الحرص على توكيد هذه التفرقة في كل فقرة من تلك الصفحات الدامية النابضة بكل حياة، فنراه يقول عن هذا الغريب بالمعنى الصحيح المليء: (هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه، واغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قُربه، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويغمض عن المشهود، ويُغضي عن المعهود، ليجد من يغنيه عن هذا كله بعطاء ممدود، ورفد مرفود، وركن موطود، وحد غير محدود)، وهذا تفسير جيد لحقيقة هذا الغريب في وطنه، البعيد في محل قُربه،، فالغربة إنما تأتيه من باطنه، إذ عليه أن يسلو عن الموجود، والموجود هنا يشمل كل شيء، الموجود بالمعنى المادي، الموجود بالمعنى الروحي، والموجود بالمعنى الميتافيزيقي، والأول بالزهد في الحياة والعزوف عن الدنيا، والثاني بالعلاء المستمر في معراج التطور الروحي.

حقيقة قديين أبي حيان

« لن نستطيع أن نفصل في أمره في هذه الناحية بيقين⁽²⁾، حتى إن المؤرخين أنفسهم ليمتثلون في حقيقة إيمانه. فالذهبي - ولعله تأثر هنا بابن الجوزي - يرى أنه كان سيء الاعتقاد، وابن فارس في كتاب (الخريدة والفريدة) يقول عنه إنه كان (قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، وإنه تعرض لأمر جسم من القدح في الشريعة

(1) عبد الرحمن بدوي: مقدمى الإشارات الإلهية مقدمة ص 15.

(2) السابق ص 18.

والقول بالتعطيل). وجاء ابن الجوزي في تاريخه فقال: (زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري. قال: وأشدّهم على الإسلام أبو حيان، لأنه مجمج ولم يصرح)⁽¹⁾، بينما جاء فريق آخر على رأسه ياقوت وابن النجار والسكي فبرّاه من تهمة الزندقة، على أساس أن ما في كتبه لا يدل على شيء من ذلك. وهذا حق في جملته، إذ ما بقي لنا من كتبه لا يدلنا على زندقة بالمعنى الدقيق، لكن المستقضي لمراميه البعيدة لا يعدم أن يجد سنداً لاتهامه بأنه كان في القليل رقيق الدين، أو أنه كان يلونه بلون خاص به لا ينظر إليه أصحاب السُّنة نظرة الرضا. على أننا نعتقد أن تكفير ابن الجوزي هنا له، إنما هو من نوع تكفيره للصوفية عامة، كما سيفعل ابن تيمية من بعد بالنسبة إلى ابن عربي والحلاج والصدر الرومي وابن سبعين، ومع ذلك فيجب أن نعترف بأننا لا نملك الوثائق الكافية للحكم في هذه المسألة حكماً صحيحاً.

إحراق كتبه

«إنه لم يأت في هذا ببدعة فله (في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدي بهم، ويؤخذ بهديهم)⁽²⁾، يذكر منهم أبو عمرو بن العلاء اللغوي الأديب الممتاز، وداود الطائي (وكان من خير عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة: طرح كتبه في البحر، وقال يناجيها: (نعمّ الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخول)، ثم يوسف بن أسباط، والصوفي الكبير أبا سليمان الداراني الذي جمع كتبه في تنور وسجّرها بالنار ثم قال: (والله ما أحرقتك حتى كدت أحرقتك بك)⁽³⁾، ويذكر كذلك أن سفيان الثوري، وأبا سعيد السيرافي، وقد كان شيخ صاحبنا، ثم هو قد فعل فعله هذا

(1) السبكي - طبقات الشافعية 3/4.

(2) ياقوت: معجم الأدباء 5/ 1931.

(3) ياقوت 5/ 1931.

وهو في حال من المرض والعسر والفاقة، وهذه حال نفسية يرى فيها من العذر أضعاف ما أبدى. وبهذا كشف عن كل العوامل التي تضافرت وتمايلات حتى حملته على أن يصنع صنيعه هذا الذي لم ينفرد به، بل سبقه إليه طائفة صالحة من أجلة العلماء.

من كتاب الإشارات الإلهية

قال أبو حيان من رسالة: ^(١) «سألتني - رفق الله بك، وعطف على قلبك - أن أذكر لك الغريب ومحنه، وأصف لك الغربة وعجائبها، وأمر في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة، ومعان شريفة، إمّا مُعَرَّضاً، وإمّا مُصَرَّحاً، وإمّا مُبَعَّداً، وإمّا مقرباً.... وما الذي أقول وأصنع، وبماذا أصبر، وعلى ماذا أجزع؟ وعلى العلل التي وصفتها والقوارف التي سترتها أقول:» ^(٢)

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ مَا حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلٌ
وَيَدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ وَلِسَانُهُ أَبْدَأُ كَلِيلٌ
وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَنَاصِرُهُ قَلِيلٌ

وقال آخر:

وما جَزَعَا من خَشْيَةِ الْبَيْنِ أَخْضَلَتْ دُمُوعِي وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبٌ

يا هذا! هذا وصف غريب نأى عن وطن بُنِيَ بالماء والطين، وَيُعَدَّ عن أَلْفٍ له عهدهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأس بين الغُدران والرياض، واجتلى بعينه محاسن الحَدَقِ المِراض، ثم إن كان عاقبة ذلك كله إلى الذهاب والانقراض، فَأَيْنَ أنت عن قريب قد طالت غربته في وطنه، وَقَلَّ حظه ونصيبه من حبيبته وسكنه؟! وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان؟! قد علاه الشحوب وهو

(1) الإشارات الإلهية ص 112، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، ط وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت 1981.

(2) السابق ص 113.

في كُنْ، وغلبه الحزن حتى صار في كَأَنه شَنْ^(١)، إنْ نطق نطق حزنًا منقطعاً، وإنْ سكّت سكّت حيران مرتدعاً.... قد أكله الخمول، ومَصَّه الذبول، وحالفه النحول، لا يتمنى إلا على بعض جنسه، حتى يُفْضي إليه بكامنات نفسه، ويتعلَّل برؤية طلعتة، ويتذكر لمشاهدته قديم لوعته، فينثر الدموع على صحن خده، طالباً للراحة من كده.^(٢)

وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب^(٣) بل الغريب من نودي من قريب، بل الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب، فإن كان هذا صحيحاً، فتعال حتى نبكي على حالٍ أحدثت هذه النَّفْرة، وأورثت هذه الجفوة:

لعل انحذار السدم يُعْقِبُ راحةً من الوجودِ أو يَشْفِي نَجِيَّ البلايل^(٤)

يا هذا ! الغريبُ من غَرَبَتْ شمسُ جماله، واغترَبَ عن حبيبه وعُدَّاله، وأعرَبَ في أقواله وأفعاله، وغَرَّبَ في إدباره وإقباله، واستغَرَّبَ في طِيره وسِرِّباله. يا هذا ! الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة، ودلَّ عنوانه على الفتنة عُقْبَ الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة حدَّ الفينة. الغريب من إن حضر كان غائباً، وإن غاب كان حاضراً. الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه. أما سمعت القائل حين قال:

بِمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا زمنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنٌ

(1) الشَنْ والشَنْة: الغربة الصغيرة الحلق.

(2) السابق ص 114.

(3) أي النديم.

(4) البيت الذي الرمة ص 492 ط مكارنتي، كمبردج 1919.

هذا وصفُ رجلٍ لحَقَّتْهُ الغُربةُ، فتمنى أهلاً يَأْنِسُ بهم، ووطناً يَأْوِي إليهم، ونديماً يَحُلُّ عُقْدَ سِرِّهِ معه، وكأساً يَتَشَبَّيْ مِنْهَا، وَسَكناً يَتَوَادَعُ عنده. فأما وصف الغريب الذي اكتنفته الأحزان من كل جانب، واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب⁽¹⁾ وتحكمت فيه الأيام من كل جانب وذاهب، واستغرقتة الحشرات على كل فائت وآئب، وشَتَّتْ الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب، وفي الجملة أتت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحطته بأيدي العوالب عن المراتب، فوصفٌ يخفى دونه القلم، ويفنى من ورائه القرطاس، ويشلُّ عن بَجْسِهِ⁽²⁾ اللفظ، لأنه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر، ولا رسم له فيُشْهَر، ولا طَيٌّ له فينشر، ولا عُذْرَ له فيُعْذَر، ولا ذَنْبَ له فيغفر، ولا عيبَ عنده فيُسْتَر.

هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مَهَبِّ أنفاسه، وأغربُ الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البُعْداء من كان بعيداً في محلِّ قُربِهِ، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويُعْمَضُ عن المشهود، ويُقْصَى عن المعهود، ليجد من يُغْنِيهِ عن هذا كله بعباء ممدود، ورَفِيدٍ مرفود، وركن موطود⁽³⁾ يوحد غير محدود.

يا هذا ! الغريب من إذا ذَكَرَ الحَقَّ هُجِرَ، وإذا دعا إلى الحق زُجِرَ، الغريب من إذا أسند كُذِّبَ، وإذا تطاهر⁽⁴⁾ عُدِّبَ. الغريب من إذا امتار لم يَمُرَّ⁽⁵⁾ وإذا قعد لم يُزَزَّ. يا رحمتا للغريب⁽⁶⁾.

(1) الإشارات الإلهية ص 115.

(2) بضعف عن جريانه.

(3) ثابت.

(4) تطاهر: تنزه عن الأدناس، من الطهر.

(5) امتار: جلب الميرة، الطعام.

(6) يذكر بيت علي بن الجهم، ديوانه ص 154، تحقيق خليل مردم، ط دار الأفاق الجديدة، بيروت 1980.

وارحمنا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعنا

طال سفره من غير قدوم، وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرره من غير تقصير، وعظم عناؤه من غير جدوى !.

الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رآوه لم يدوروا حوله. الغريب من إذا تنفس أحرقة الأسى والأسف⁽¹⁾، وإن كنتم أكمدته الحزن واللّهف. الغريب من إذا أقبل لم يوسّع له، وإذا أعرض لم يُسئل عنه، الغريب من إذا سأل لم يُعط، وإن سكّت لم يُبدأ. الغريب من إذا عطس لم يُشمّت، وإن مَرَضَ لم يُتَقَفَّد. الغريب من إن زار أُغْلِقَ دونه الباب، وإن استأذن لم يُرفع له الحجاب.

الغريب من إذا نادى لم يُجِبْ، وإن هادى لم يُحَبِّ. اللهم إنا قد أصبحنا غرباء بين خلقك، فأنسنا في فِئائك. اللهم وأمسينا مهجورين عندهم، فصلنا بحبائك⁽²⁾. اللهم إن عادونا من أجلك لأننا ذكرناك لهم فنفروا، ودعوناهم بثوابك فاستكبروا، وأوعدناهم بعذابك فتحيروا، ووعدناهم بثوابك فتجبروا، وتعرّفنا بك إليهم فتنكروا، وصنّاك عنهم فتنمّروا، وقد كُنّا⁽³⁾ عن نذيرهم، ويثسنا من توقيرهم.

أيها السائل عن الغريب ومحتته ! إلى ههنا بلغ وصفي في هذه الورقات. فإن استزدت زدت، وإن اكتفيت اكتفيت، والله أسأل لك تسديداً في المبالغة، ولي تأييداً في الجواب، لتتلاقى على نعمته، ناطقين بحكمته، سابقين إلى كلمته.

(1) الإشارات الإلهية ص 116.

(2) الحياء: العطية.

(3) كمنّا: هبنا وجبنا.

يا هذا ! الغريب في الجملة من كله حُرقة، وبعضه فرقة، وليله أسف، ونهاره
لهف⁽¹⁾، وغذاؤه حَزَن، وعشاؤه شجن، وآراؤه ظَنَن، وجميعه فِتَن، ومفرقه حَجَن، وسِرُّه
عَلَن، وخوفه وطن.

الغريب من إذا دعا لم يُجِب، وإذا هاب لم يُهَب.

الغريب من إذا استوحش استوحش منه: استوحش لأنه يرى ثوب الأمانة ممزقاً،
واستوحش منه لأنه يجد لما بقلبه من الغليل نُحْرَقاً.

الغريب من فجَعَتُهُ مُحْكَمَة، ولوعته مُضَرَمَة.

الغريب من لِبَسَتُهُ خِرْقَة، وأكلته سَلْقَة، وهجَعَتُهُ خَفَقَة .

دع هذا كله ! الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعياً إليه. بل الغريب من
تهالك في ذكر الله متوكلاً عليه، بل الغريب من توجه إلى الله قالياً لكل من سواه. بل
الغريب من وهب نفسه لله متعرضاً لجدواه.

يا هذا ! أنت الغريب في معناك.

أيها السائل عن الغريب ! اعمل واحدة ولا أقل منها، وإذا أردت ذكر الحق فانس
ما سواه، وإذا أردت قُرْبَهُ فابعد عن كل ما عداه، وإذا أردت المكانة عنده فدع ما
تهواه لما تراه، وإذا أردت الدعاء إليه فميّزه مالك مما عليك في دعواه.⁽²⁾

(1) الإشارات الإلهية ص 117.

(2) انتهى النقل من الإشارات الإلهية.

مثيرات الحنين والغربة

الغريب الذي يهزه الحنين والشوق إلى وطنه تذكره وتهيج مثيرات تعصف به وتثير أشجانه، وكثيراً ما تكون سبباً لعذابه، فهي تذكره بغربته، وتذكره بأحبابه وأهله وأوطانه، منها هذا البرق الذي يتوهج من ناحية وطنه، والريح التي تأتي بأنسام أرضه وشذى أحبابه، والناقة رفيقة أسفاره التي تحن إلى أرضها ومراعيها، وهديل الحمام الذي يثير أشجانه ويذكره بأحبابه، وصوت حبيبة القلب التي تشكو الفراق والبعاد وتعاتبه وتحاورة، وقطرات المطر أو الندى التي تذكره بدموع الزوجة والأسرة حين الوداع، ونجوم السماء والثريا التي يسهر وإياها ليلاً، فيذكر وطنه الذي تظله هذه النجوم وسمره ومن يحب وهي ترعاهم ببريقها، والسحب الجارية التي يتمنى أن تسقي أرضه ليعم الخير فيها، ويتمنى أن ينعم وأهله بخيرها بعد أن تنكشف الغمة ويجمع الشمل، كل تلك المحفزات والرؤى تثير عواطف الحنين وأشواق العودة إلى الأحبة والوطن الحبيب، وقد حفل الشعر الذي مر بنا وغيره بهذه المثيرات فأبكتهم وأشجتهم وأنطقتهم بروائع شعر الغربة والحنين.

وهذه بعض النماذج مما جاء في مثيرات الشجاء والحنين:⁽¹⁾

* العين والدموع:

يقول الحارث المخزومي:⁽²⁾

بالخيف هاجت شؤوناً غير جامدة فانملت العينُ تُذري واكفاً سحجا

ويقول الصمة القشيري:⁽³⁾

(1) ينظر فاطمة السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي ص 410 — 457.

(2) شعره ص 94.

(3) شعره ص 64.

ألا من لعينٍ لا ترى قُلَّ الحمى ولا جبل الأوشالٍ إلا استهلَّت
وقال: ^(١)

فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خَلَّ عينك تدمعا
وقال: ^(٢)

بكت عينك اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
محمد بن بشير الخارجي: ^(٣)

باتت لعينك عبرة وسجوم وثوت بقلبك زفرة ومهوم
مالك بن الربيع: ^(٤)

أقلَّب طرفي حول رحلي فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيما
طريح بن إسماعيل الثقفي: ^(٥)

فاستبق عينك لا يودي البكاء بها واكفف بواذر دمع منك تستبق
كثير عزة: ^(٦)

فطوراً أكثر الطُرف نحو تهامة وطوراً أكثر الطُرف كراً إلى نجد
الصمة القشيري: ^(٧)

(١) شعره ص 110 .

(٢) شعره ص 107 .

(٣) شعره ص 122 .

(٤) شعره ، ضمن أشعار اللصوص ص 297 .

(٥) شعره، ص 98 .

(٦) ديوانه ص 129 .

(٧) شعره ص 118 .

نظرتُ وطَرَفُ العَيْنِ يَتَّبِعُ الهَوَىٰ بشرقي بُضْرَى نظرة المتطاوِلِ

الريح: وما يثير الشوق والحنين الريح وهبوبها ونسائمها
يقول يزيد بن لثرية: ^(١)

ألا يا صبا نجد متى هجيت من نجد فهَيَّج لي مسراكِ وجداً على وجدِ

عبيد الله بن الحر: ^(٢)

ستعلمُ إن مالت بي الريحُ ميلاً عليك غداً أني أولياك أجزع

هدبة بن الحشرم: ^(٣)

ألا ليت الريحَ مسخراتُ بحاجتنا بُاكرُ أوتوؤبُ
فتُخبرنا الشمالُ إذا أتتنا وتُخبرُ أهلنا عنا الجنوبُ

جميل بثينة: ^(٤)

أياريح الشمالِ أما تريني أهيمُ وأنسي بادي النحولِ
هبي لي نسمةً من ريحِ بَنِي ومُنِّي باهبوبٍ على جميلِ

الصمة القشيري: ^(٥)

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم أتتنا برِّاكم فطابَ هبوبُها

(١) شعره، ص 68.

(٢) شعره، ص 107.

(٣) شعره ص 57.

(٤) ديوانه ص 192.

(٥) شعره ص 31.

الأحوص الأنصاري: (١)

أصاح ألم تخزنك ريح مريضة ويرق تلالا بالعقبين لامع
فإن الغريب الدار مما يشوقه نسيم الرياح والبرق اللوامع

البرق: وما يثير الشوق والشجن ويذكر بالأهل والأوطان برق السماء.

يقول جميل بثينة: (٢)

وليلة بتنا بالجنينة هاجني سنا بارق من نحو أرضك يلمع

السمهري العكلي: (٣)

أعني على برق أريك وميضه يشوق إذا استوضحت برقاً عنانيا
أرقت له والبرق دون طمية وذئ تجب ما بعده من مكانيا

الصمة القشيري: (٤)

وحنت قلوصي آخر الليل حنة فيا روعة ماراع قلبي حنيها
حنت في تنائها وشب لعينها سنا بارق وهناً فجئن جئوها

العرجي: (٥)

أرقت بسلع إن ذا الشوق يارق لبرق تبدى آخر الليل يخفق
أشيم سناء من بعيد ورئما تشام البرق من بعيد فتصدق
فما ذقت من نوم وما زال عاملاً إلى الصبح ذاك البارق المتألق

(1) ديوانه ص 184.

(2) ديوانه ص 44

(3) ديوانه ص 150

(4) شعره ص 135

(5) ديوانه ص 274

نجوم السماء

مالك بن الرب: (١)

أقول لأصحابي ارفعوني فإنه يقرّ بعيني أن سهيل بدا ليا

المتوكل الليثي: (٢)

أراعي التاليات من الثريا ودمع العين منحدراً سجاما

قيس لبنى: (٣)

وتجمعنا الأرض القراز وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تجول

الأحوص: (٤)

أراقب النجم كالخيران مرتقباً وقلص النوم عن عيني فانشمرا

الشمردل اليربوعي: (٥)

أرعى الثريا تقوّد التاليات معاً معارضات سهيلاً وهو مغرّض
كما تتابع خلف الموكب الرقن كأنه شاء رمل مفرد لهق

الحمام: كثر ما يهيج الشوق ويبعث الحنين صوت الحمام:

يقول أبو دهب الجمحي (٦)

وأرقني بالرّي نوح حمامة وأرقني بالريّ نوح حمامة
فحث وذو البثّ الغريب ينوح وغضنك ميّاد فقيم تنوح

(1) شعره ضمن أشعار اللصوص ص 294

(2) شعره ص 113

(3) ديوانه ص 140.

(4) ديوانه ص 162

(5) شعره ص 196.

(6) ديوانه ص 75.

العرجي^(١)

وما يبيع القلب يا صاح نحوها إذا باكر الأيك الحمام السواجع

المتوكل الليثي^(٢)

طربت وشاقتي يا أم بخر دعاء حمامة تدعو حماما

جحدر بن معاوية^(٣)

ألقدهاجني فازددت شوقاً بكاء حمامتين قجاويان

يزيد بن الطثرية: ^(٤)

تذكرت ليلي أن تغنت حمامة وأنى بليلي والفؤاد قريح

جميل بثينة: ^(٥)

أيكي حمام الأيك من فقد إلف وأصبر! ما بي عن بثينة من صر

الشمردل اليربوعي: ^(٦)

وهاتف فوق الغصون تفجعت من الوزق بالأصياف نواحة الضحى
لفقد حمام أفردتها جباله إذا الغرقد التفت عليه غياطه

جميل بثينة: ^(٧)

ويوم وردنا قرح حاجت لي البكا من الوزق حمام العلاطين تصدح

(1) ديوانه ص 259.

(2) شعره ص 111.

(3) شعره ص 182.

(4) شعره ص 28.

(5) ديوانه 102.

(6) شعره ص 542.

(7) ديوانه ص 44.

مجنون ليل^(١)

ألا ليتنا كنا حمامي مفازة نظير ونأوي بالعشي إلى الوكر
وشعراء آخرون هاج الحمام حنينهم فذرفوا الدمع الغزير شوقاً وحنيناً، قال شقيق بن
السليك الأسدي: ^(٢)

وقد هيّجت شوقي حمامة أيكه تنادي حماماً فاستباحث حمى وجدي
فقلتُ تعالي نبك من ذكرٍ ماضى فنذكرُ منه مائسراً وما نُبدي
فإن تُسعديني نبك عبرتنا معاً وإلا فإني سوف أسفحها وخدي
ويقول شاعر آخر إن الحمام يهيج الأشجان، فيألم السامع العاشق وهو لا يتألم، ويشير
البكاء وهو لا يبكي ^(٣)

هائم لم تهتج وهيجن ذاهوى بتواجها بين الغصون النواضر
تُبكي وما تبكي ولكن هتوفها يهيج لوعات القلوب الزوافر
والشعر الذي قيل في الحمام وما يهيج من لوعة وحنين كثير في كل العصور، وجاء بعض
منه في تضاعيف هذا الكتاب.

الإبل: وكانت الإبل شريكة الإنسان في حله وترحاله، تحن كالإنسان إلى الرفقة والوطن،
وكثيراً ما تهيج عواطف صاحبها وتشاركه ويشاركها الهموم ولوعة الفراق.

يقول الأحوص يحدث نفسه: ^(٤)

فانت إلى سلمى تحسن صباة كما حن آلاف المطي السواجر

(1) ديوانه ص 164.

(2) الزهرة 1/ 239-240.

(3) ابن المرزبان: الحنين إلى الأوطان ص 74-75.

(4) ديوانه ص 114.

الفرزدق^(١)

وليلةً بَشَا دِيرَ حَسَّانَ نَبَّهَتْ مُجُوداً وَعَيْساً كَالْحَسِيَّاتِ ضُمَّراً
بَغَتْ نَاقَتِي لَيْلاً فَهَاجَ بِكَأُوثِهَا فَوَاداً إِلَى أَهْلِ الْوَرِيعةِ أَصَوَّراً
تَرُومُ عَلَى نَعْمَانٍ فِي الْفَجْرِ نَاقَتِي وَإِنْ هِيَ حَنَّتْ كُنْتُ بِالشَّوْقِ أَعْدَّراً

الصمة القشيري: ^(٢)

ووجدني بطيًّا وجدُّ بِكْرٍ غَرِيرةٍ على والديها فارقاها فَجُنَّتِ
ووجدني بطيًّا وجدُّ هيماءَ حُلُثَتْ عن الماءِ كانت منذُ خمسِينَ ضَلَّتْ

مالك بن الريب: ^(٣)

وهل أترك العَيْسَ العَوَالِيَّ بِالضُّحَى بِرُكْبَانِهَا تَعْلُو الْإِتَانَ الْفِيافِيَا
وَعَرَّ قَلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَلَأَيْهَا سَتَقْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيا

ويذكر الصمة القشيري ناقته وحنينها ويعني نفسه ومعاناته، وهذه الأبيات من أروع صور الشوق والحنين في سياق حوار الشاعر وناقته: ^(٤)

وَحَنَّتْ قَلُوصِي آخَرَ اللَّيْلِ حَنَّةً فَيَا رُوعَةَ مَارَاغٍ قَلْبِي حَنِينُهَا
حَنَّتْ فِي تَنَائِيهَا وَشَبَّ لَعِينُهَا سَنَا بَارِقٍ وَهْنًا فَجُنَّ جُنُونُهَا
فَقَلْتُ لَهَا صَبْرًا فَكُلُّ قَرِينَةٍ مُفَارِقُهَا — لَا بَدَّ يَوْمًا — قَرِينُهَا
فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى ارْعَوِينَا لَصَوْتِهَا وَحَتَّى انْبَرَى مِنَّا مُعِينٌ يُعِينُهَا
تَحِنُّ إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ صَبَابَةً وَقَدُبْتُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ قَرِينُهَا
فِيَارِبْ أَطْلِقْ قَيْدَهَا وَجَرِيرَهَا فَقَدَرَاغٍ أَهْلَ الْمَسْجِدِينَ حَنِينُهَا
فَقَلْتُ لَهَا: حِنِّي زَوَيْدًا فَلَأِنِّي وَإِيَّاكَ تُبْدي عَوْلَةً سَنِينُهَا

(1) ديوانه ص 345، ط دار صادر

(2) شعره ص 68.

(3) شعره ص 296 - 297.

(4) شعره ص 135.

النخلة والحنين إلى الوطن

كان للنخلة في عواطف الشعراء وشعرهم مكاناً متميزاً وحنيناً يذكّر بالأهل والوطن والخشب والخير، وقد ذكرها شعراء كثر، نذكر بعض ما تيسر من شعرهم، ولأهمية هذه الشجرة عند العرب وما تثيره من عواطف تذكّر الغرباء بأوطانهم، ولذلك سنقف عندها وقفة تبين أهميتها في إثارة الشوق والحنين إلى الوطن، وقبل البدء بذكر الشعر الذي فيه ذكر النخلة وما تهيجه من ذكرى وشوق وحنين نقف وقفة عند النخلة ومكانتها في ذاكرة التاريخ:

للنخلة شَبَهَ بالإنسان فهي كائن حي ذكر وأنثى، وتتزوج باللقاح، وتتم عملية الإخصاب في فصل الربيع، ويسمى أهل حرّان الوثنيين الشهر الذي يلحق فيه النخل بشهر (البَلَح)، وفيه يحتفلون بزواج الأرباب والربّات، وقد عرفت هذه الاحتفالات في الجزيرة العربية^(١).

والنخلة تشبه الإنسان فلها جذع منتصب كالإنسان، ومنها الذكر والأنثى، ولا تثمر إلا إذا لُقِّحَتْ، وإذا قُطِعَ رأسها ماتت، وإذا تعرّض قلبها لصدمة قوية هلكت، والنخلة مغشاة بالليف الشبيه بشعر جسم الإنسان^(٢)، وكان العرب يعتقدون أن روح (العُزَّى) حلّت في ثلاث سَمُرَات يبطن نخلة، وكانوا يتقربون إليها بالقرايين والندور. والنخلة من أقدم أنواع الشجر الذي عرفه الإنسان، وذكّرت في شريعة حمورابي، وفرضت عقوبة على من يقطع شجرة النخل، وعُرفت عند الفينيقيين بشجرة الحياة.

(١) فريزر: الغصن الذهبي 398/1، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين، ط مصر 1971

(٢) ابن وحشية: كتاب النخل ص 70، تحقيق إبراهيم السامرائي، مجلة المورد، بغداد 1971.

القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص 231، ط الحلبي، مصر 1956.

وحدوا بينها وبين آلهة الإخصاب والتعشير (عشروت) أو (عشتار) واعتبرت شجرة الميلاد وشجرة العائلة عند شعوب غرب آسيا، وفي مصر وبابل وفينيقيا والجزيرة العربية.^(١)

وقد أضفى القدماء على النخلة القدسية، ولذلك كانوا يضعون السعف على القبور، وارتبط هذا التقديس بولادة بعض الأنبياء تحت الشجرة من ذلك أن مريم العذراء ولدت السيد المسيح تحت جذع النخلة^(٢)، وفي التوراة أن جدران هيكلي سليمان منقوش بتمثيل النخيل، ومن طقوس بني إسرائيل في عيد (العرازيل) أنهم يأخذون سعفاً طرياً فيسجدون له ويحملونه عند تلاوة صلاة العيد، وسموا فتيانهم (تمارا) أي التمر، تفاؤلاً بالجمال وتيمناً بالإنجاب والخصوبة، ويحرص النصارى على تزيين جدران معابدهم بسعف النخيل، ويحملون سعف النخيل في عيد (الشعانين)^(٣)، وقدست بعض القبائل العربية مثل جهينة وحنيفة في الجاهلية النخلة وصنعوا من ثمرها صنماً، وحين أصابتهم المجاعة اضطروا إلى أكله، وقد عيرهم بذلك الشعراء فقالوا: ^(٤)

أَكَلْتُ جُهَيْنَةً رِيَّهَا زَمَنْ التَّقْحُمِ وَالْمَجَاعَةِ
وقال آخر:

أَكَلْتُ رِيَّهَا حَنِيفَةً مِنْ جُورٍ عِ قَدِيمِ بِهَا وَمِنْ إِعْوَازِ
وتُسبِّه النخلة بالمرأة الحسنة، وكثر في الشعر الجاهلي تشبيه الطعائن بالنخيل، من ذلك قول أبي دؤاد الإيادي: ^(٥)

(1) أنور أبو سويلم: مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي ص 51، والصفحات التالية، ط دار عمار، عمان 1991،

شوقي عبد الحكيم: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ص 59، بيروت 1978.

(2) سورة مريم آية 23.

(3) أبو سويلم ص 53، توفيق الفكيكي: شجرة العذراء ص 30.

(4) الألوامي: بلوغ الأرب 2/ 227.

(5) الأصمعيات ص 186.

وتراهن في الهواج كالغز لان ما إن يهاهن السهام
نخلات من نخل بيسان أينع - من جميعاً ونبتهن ثؤام

ويقول لييد: (١)

فكان ظعن الحي لماً أشرفت نخل كوارع في خليج محلم
بالال وارتفعت بهن حزوم حملت فمنها مؤقر مكموم
محق يمتعها الصفا وسريه عم نواعم بينهن كروم

وشبهوا شعر المرأة الكثيف بعذق النخلة المتداخل ، يقول امرؤ القيس:

وفرع يغشي المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعكل

وأعجبوا بطعم البلح ورائحته، فشبهوا ريق الحبيبة بنكهة البلح ، يقول الأعشى (٢)

أبام تجلو لنا عن بارد رتل تحال نكهته بالليل سيابا

وصور النخلة في الشعر العربي كثيرة أكثر من أن يحاط بها.

ويهمنا هنا رمز النخلة إلى الوطن ، وما رأى المغتربون فيها صورة الوطن فحنوا إليه واشتاقوا إلى نخل أوطانهم وبيئاتهم ومواطن صباهم ، وحين يرى الغريب النخلة يرى فيها امرأة تشاركه الغربة والحنين فتتهيج أشواقه حنيناً إلى الأهل والأوطان ، فهذا الشاعر عبد الله بن كعب العميري يتشوق إلى نخلة بلده مَرَّان: (٣)

أيا نخلتي مَرَّان هل لي إليك على غفلات الكاشحين سبيل
أمنبكما نفسي إذا كنت خالياً ونفكما إلا العناء قليل

(١) ديوانه ص 120.

(٢) ديوانه ص 411 ، الرتل: مستوي الأسنان حسن التصفيد، والسياب: البلح.

(٣) ابن المزيان: الحنين إلى الأوطان، ص 96، أمالي القالي 2/ 128-129، معجم البلدان: مَرَّان.

ومالي شيء منكما غير أنني أمني الصدى ظلّيكما فأطيل

ويقول الأحير السعدي متشوقاً إلى الأهل والوطن ويخص نخلات كرمان والكرخ

بالخير والسقيا.⁽¹⁾

أيا نخلات الكرم لا زال رائحاً	عليكن منهل الغمام مطير
سقيتن مادامت بكرمان نخلة	عوامر تجري بينهن بحور
سقيتن مادامت بنجد وشيجة	ولا زال يسعى بينكن غدير
ألا حبذا الماء الذي قابل الحمى	ومرتبع من أهلنا ومصير
وأيا منابالمالكية أنني	هن على العهد القديم ذكور
ويا نخلات الكرخ لا زال ماطر	عليكن مستن السحاب دُرور
وما زالت الأيام حتى رأيتني	بدورق ملقى بينهن أدور ⁽²⁾
لقد كنت ذا قرب فأصبحت نازحاً	بكرمان ملقى بينهن أدور

ومن أروع نفثات الحنين ما قاله عبد الرحمن الداخل⁽³⁾ حين سقطت دولة الأمويين

وهرب إلى الأندلس وأنشأ هناك الدولة الأموية، وقد بنى قصرأ بالرصافة على نسق

رصافة الشام، وكان في حديقته نخلة فريدة تذكره بغربته وتهيج أشجانه فقال يخاطبها:⁽⁴⁾

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة	تناءت بأرض الغزب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى	وطول الثنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غواذي المزن من صوبها الذي	يسح ويستمر السماكين بالوبل

(1) ديوان اللصوص 1/ 58 — 59، جمع محمد نبيل طريفي، ط دار الكتب العلمية، بيروت 2004، معجم البلدان: كرمان.

(2) دورق: بلد بخوزستان، معجم البلدان: دورق.

(3) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان.

(4) المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب 2/ 716، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، معجم البلدان: الرصافة.

وكان كثير الشوق والحنين إلى وطنه الشام وأهله، فكتب إلى أخته بالشام يثبها

أشواقه وحنينه:⁽¹⁾

أيها الراكب الميّم أَرْضِي إقِرْ بعضَ السلامِ عني لبعضِ
إنَّ جسمي كما تراهُ بأَرْضِي وفؤادي ومالكِيه بأَرْضِي
قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقنا وطوى البينُ عن جفوني غَمْضِي
قد قضى الله بالفراقِ علينا فعسى باجتماعنا سوفَ يَقْضِي

وتنسب لعبد الرحمن الداخل أبيات أخرى.⁽²⁾

بانخل أنت فريدةٌ مثلي في الأرضِ نائيةٌ عن الأهلِ
تبكي وهل تبكي مُكَمِّمَةً عجماءُ لم تُجَبِّلْ على جَبَلِي
ولأنها عَقَلْتُ إِذَا لَبَّكْتُ ماءَ الفُراتِ وَمَنِيَّتِ النَّخْلِ
لِكِنَّهَا حُرِمْتُ وأُخْرِجَنِي بُغْضِي بنِي العَبَّاسِ عن أَهْلِي

ونخلنا حلوان⁽³⁾ مشهورتان وقد ذكرهما غير شاعر ونفس عن همومه بذكرهما والشوق إليهما، وأول من ذكر نخلتي حلوان مطيع بن إياس وكان مع سَلَمَ بن قُتَيْبَةَ بالري، قال أبو الفرج: «فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على العباسيين، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبها، فأمرني سَلَمَ بالخروج معه، فاضطرت إلى بيع الجارية، فبعْتُها، وندمت على ذلك بعد خروجي،

(1) المقرئ 707/2.

(2) تنسب الأبيات أيضاً إلى ابن عمه والي إشبيلية في غطابة نخلة فريدة في حديقة بأشبيلية فذكرته بغرته وحنينه إلى وطنه:

المقرئ 718/2.

(3) حلوان: مدينة في العراق وهي في آخر حدود السواد عما يلي الجبال من بغداد. ياقوت: حلوان.

وتمنيت أن أكون أقمتُ وتبعْتُها نفسي ، ونزلنا حلوان ، فجلستُ على العقبة أنتظر ثَقلي
وعِنانُ دابَّتِي في يدي ، وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت
الجارية واشتقْتُها ، وقلت: ^(١)

أسعداني يا نخلتي حلواني	واعلم أن ربيك لم يزل يَفْـ
ورُؤي بين الألف والجيران	ولعمري لو ذُقْتُمَا ألم الفز
فأبكاهم الذي أبكاني	أسعداني وأيقنا أن نخساً
سوف يلقاكما فتفترقان	كم رمثني صروف هذي الليالي
بفراق الأحباب والخلائ	غير أني لم تلق نفسي كما لا
قيت من فرقة ابنة الدهقان	جارية لي بالرئي تُذهب همي
ويُسلي دُؤوها أحزاني	فجعنتي الأيام أغبط ما كُنـ
كُ بصدع للبين غير مُدان	ويرغمي أن أصبحت لا تراها الـ
عينُ مني وأصبحث لا تراني	إن تَكُنْ ودعت فقد تركت بي
هَباً في الضمير ليس بوان	كحريق الضرام في قصب الغا
ب زفتة ريمان تختلفان	فعلبك السلام مني ما سـ
غ سلاماً عقلي وفاص لساني	

وبقيت نخلتنا حلوان في ذاكرة التاريخ ، وبقيت أبيات مطيع بن إلياس تحمي هاتين
النخلتين كلما أُريدَ قطعهما ، ومن ذلك ما روي أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت
إحداهما على الطريق ، وكانت تُضيِّقه وتزدحم الأثقال عليه ، فأمر بقطعها ، فأنشد قول
مطيع: ^(٢)

واعلم إن بقيتاً أن نخساً سوف يلقاكما فتفترقان

(١) الأغاني 13/ 355 — 357 ، وانظر معجم البلدان 2/ 292 حلوان ، ومعجم الشعراء ص 480 .

(٢) الأغاني 13/ 359 ، معجم البلدان : حلوان .

فقال: لا والله ، لا كنتُ ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، فانصرف وتركها.

وقيل إن المهدي قال: أكثر الشعراء في ذكر نخلي حُلوان ، ولهممْتُ بقطعها ، فبلغ قولي المنصور فكتب إليّ: بلغني أنك هممت بقطع نخلي حُلوان ، ولا فائدة لك في قطعها ، ولا ضرر عليك في بقائها ، وأنا أعيدك بالله أن تكون النحس الذي يلقاها فيفرف بينهما ، يريد بيت مطيع:

واعلما إن بقيتما أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

وتستمر قصة النخلتين في حياة المهدي، فقد خرج وبلغ عقبة حُلوان ، فاستطاب المكان وتغدى، ودعا بحسنة المغنية فقال لها: أما ترين طيبَ هذا الموضع ؟ غنيني بحياتي حتى أشرب ها هنا أقداحاً ، فأخذت حِجَّة كانت في يده ، وأوقعت على مِخْدَة وغننته: ^(١)
أيا نخلي وادي بُوانةَ حبّذا إذا نامَ حُرَّامُ النخيلِ جَنّاكما ^(٢)
وحُسناكما زادا على كلِّ بهجةٍ وزادَ على طيبِ الغناءِ غناكما

فقال المهدي: أحسنتِ ، ولقد هممتُ بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلي حُلوان - فمنعني منها هذا الصوت، وقالت له حسنة: أعيدك الله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرّق بينهما ، فقال لها: وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع بن إياس ، فلما بلغت قوله:
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال: أحسنتِ والله فيما قلتِ ، إذ نبّهتني على هذا ، والله لا أقطعها أبداً ، ولأوكّلن بهما من يحفظهما ما حييتُ، ثم أمرَ بأن يُفعلَ ذلك ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات. ^(٣)

(1) الأغاني 13/ 358، معجم البلدان: حُلوان ، والبيت مع ثانٍ لوضاح اليمن في ديوانه ص 88، جمع محمد خير البقاعي، ط دار صادر 1996.

(2) بوانة: من مياه بني عقيل، وقيل هضبة وراء ينبع قرية من ساحل البحر.

(3) الأغاني 13/ 358 - 359، معجم البلدان: حُلوان 2/ 392 - 393.

ويبدو أن واحدة من نخلي حلوان قد قُتلت فُقطِع من رأسها واستُخرج قلبُها، وذلك حين خرج الرشيد إلى طوس⁽¹⁾، هاج به الدم بحُلوان، فأشار عليه الطبيب أن يأكل جُجَّاراً⁽²⁾، فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جُجَّاراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فمُرَّ بقطيع إحداهما، فُقطِعَتْ، فأُتي الرشيد بجُجَّارتها، فأكل منها وراح⁽³⁾، فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة، والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب: ⁽⁴⁾

أسعداني يا نخلي حُلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، وقال: يعزُّ عليَّ أن أكون نَحْسْتُكما، ولو كنتُ سمعتُ بهذا الشعر ما قطعْتُ هذه النخلة ولو قتلتني الدم.⁽⁵⁾ وصارت النخلتان رمزَ الحنين والألفة، وكثر من يردد الأبيات التي شاعت في النخلتين ويتغنى بها، وصارت النخلتان حديث الشعراء، يعارضون أبيات مطيع بن إياس في نخلي حلوان، من ذلك أن حمَّاد عجرد مرَّ بقصر شيرين⁽⁶⁾ فاستظَّل من الحرِّ بين سِدْرَتَيْنِ⁽⁷⁾، كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغني:

أسعداني يا نخلي حُلوان وأرثيا لي من ريب هذا الزمان

(1) طوس: مدينة بخراسان قُتحت في أيام عثمان بن عفان، وبها قبر علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد. معجم

البلدان: طوس 49/4.

(2) الجُجَّار: شحم النخل.

(3) راح: نشط وارتاح.

(4) الأغاني 3/358.

(5) معجم البلدان: حلوان 2/293.

(6) قصر شيرين: موضع قريب من قريسين بين همدان وحُلوان في طريق بغداد إلى همدان، وفيه أبنية عظيمة شاهقة. معجم

البلدان 4/358.

(7) السدر: شجرة النبق، واحده سدره.

جعلَ اللهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِي — — — — —
جِئْتُ مُسْتَسْعِداً فَلَمْ يُسْعِدْني — — — — —
— — — — — — — — — — —
— — — — — — — — — — —
منَ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلْوَانِ — — — — —
وَمُطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَخْلَتَانِ — — — — —

فقال حماد عجر: (١)

جعلَ اللهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِي — — — — —
جِئْتُ مُسْتَسْعِداً فَلَمْ يُسْعِدْني — — — — —
— — — — — — — — — — —
— — — — — — — — — — —
منَ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلْوَانِ — — — — —
وَمُطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَخْلَتَانِ — — — — —

وشاعر آخر يذكر نخلتي حُلْوَانِ ويتأسى بالشاعر مطيع بن إلياس فيقول: (٢)

أَيُّهَا الْعَاذِلَانِ لَا تَعْذِلَانِي — — — — —
وَابْكِيَا لِي فَإِنِّي مُسْتَحِقٌّ — — — — —
— — — — — — — — — — —
— — — — — — — — — — —
وَدَعَانِي مِنَ الْمَلَامِ دَعَانِي — — — — —
مَنْكُمَا بِالْبُكَاءِ أَنْ تَسْعِدَانِي — — — — —
— — — — — — — — — — —
— — — — — — — — — — —
إِنِّي مَنكُمَا بِذَلِكَ أَوْلَى — — — — —
فَهِيَ تَجْهَلَانِ مَا كَانَ يَشْكُو — — — — —
مَنْ هَوَاهُ وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ — — — — —

ويلتمس أحمد بن إبراهيم الكاتب العبرة في الفراق من النخلتين فيقول: (٣)

فكَذَاكَ الزَّمَانُ لَيْسَ وَإِنْ أَلْ — — — — —
سَلَبَتْ كَفُّهُ الْغَرِيَّ أَخَاهُ — — — — —
— — — — — — — — — — —
— — — — — — — — — — —
لَفَّ يَبْقَى عَلَيْهِ مُؤْتَلِفَانِ — — — — —
ثُمَّ ثَنَى بِنَخْلَتِي حُلْوَانِ (٤) — — — — —
— — — — — — — — — — —
— — — — — — — — — — —
فَكَأَنَّ الْغَرِيَّ قَدْ كَانَ فَرْدًا — — — — —
وَكَأَنَّ لَمْ تَجَاوِرِ النَخْلَتَانِ — — — — —

وفي حُلْوَانِ مصر نخيل عامرة موقرة بالتمر، وحُلْوَانِ كما يصفها ياقوت: «قرية من

قرى مصر بينها وبين القسوطا نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وكان

قد وقع بمصر طاعون سنة 70 هـ، وواليها عبد العزيز بن مروان، فخرج هارباً من

(1) الأغاني 358/14 — 359، 360/13، معجم البلدان: حُلْوَانِ 2/293.

(2) الأغاني 360/13، معجم البلدان 2/293.

(3) الأغاني 360/13، معجم البلدان 2/293.

(4) في معجم البلدان: العزيز، والغري: واحد الغرين، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي

طالب. معجم البلدان 4/196.

مصر ، فلما وصل حلوان هذه استحسن موضعها ، فبنى بها دوراً وقصوراً واستوطنها ، وزرع بها بساتين وغرس كروماً ونخلًا ، فلذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات يصف تمر هذه النخيل: ⁽¹⁾

سقيًا لحُلوان ذي الكروم وما صَفَّ من تينٍ ومن عِنَةٍ
نخلٌ مواخيرٌ بالفناء من الـ — برني يهتز ثم في سَرَبَةٍ ⁽²⁾
أسودٌ سُكَّانُه الحامُ فما تنفكُ غربائُه على رُطَبَةٍ

وكانت بيسان إحدى مدن الأردن بالغور الشامي ، وهي بين حوران وفلسطين توصف بكثرة النخل ⁽³⁾ ، ذكر نخلها المثمر ، وعين موضعها أبو دواد الإيادي في سياق تشبيه الظعائن بالنخل: ⁽⁴⁾

وتراهنَّ في الهوادج كالغز لاني ما إن يباهنَّ السَّهَامُ
نخلاتٌ من نخلٍ بيسانَ أينعُ — جميعاً وتبتُّهنَّ ثَوَامُ
وتدلَّت على مناهلٍ بُردٍ وفُلُجٍ من دونها وسنام

وبعد فإن مهيجات الحنين والأشواق كثيرة في ما حول الشعراء من طبيعة ساكنة أو متحركة ، وللنخلة أثر شديد في إثارة أشجان الغريب وتذكر الأوطان والحنين إليها.

(1) معجم البلدان: حلوان 2/ 294 ، ديوان ابن الرقيات ص 13 ، تحقيق عماد يوسف نجم ، ط دار صادر ، بيروت د.ت .

(2) في الديوان: البرني غُلِبَ يهتز في شَرَبِه . البرني ضرب من التمر أصفر مدور ، واحدته برنية .

(3) وموضع بأرض البامة ، وبسان أيضاً من قرى مرو الشاهجان ، وبين البصرة وواسط كورة واسعة كثيرة النخل والقرى يقال لها ميسان بالميم . ياقوت: بيسان 1/ 527 .

(4) ياقوت: بيسان 1/ 527 — 528 ، الأصمعيات ص 186 .

الحنين إلى نجد في الشعر العربي

تحتل نجد مكانة كبيرة في الشعر العربي في مختلف العصور، فقد تغنى بها الشعراء وحنوا إليها، وذكروا مراتبها، سواء من عاش بنجد أو من كان بعيداً عنها، فقد ظلت نجد ملهمة للشعراء يتغنون بها وصارت رمزاً للشوق والحنين إلى الأرض والوطن. وقد اشتهر من الشعراء الذين تغنوا بنجد من القدماء، الصمة بن عبد الله القشيري، ويزيد بن الطثرية، وقد أثر هذان في شعر من جاء بعدهما وخاصة الأبيوردي ثم الطغرائي⁽¹⁾، ونذكر ما جاء من شعر قاله الشعراء في الحنين إلى نجد مما تيسر لنا الوقوف عليه:

الصمة القشيري

ذكر الصمة القشيري المتوفى في حدود سنة 95 هـ، نجداً وحن إليها وتغزل بحسانها في شعر رقيق جميل، أجاد فيه وأبدع فيه، نختار منه هذه الإضامة الرائعة⁽²⁾ قال:

لکم سنڊ الودڪاءِ اُن تبکيا جَهِدا	خليليّ إن قابلتما المصبّ أو بدا
خُزازی ومدّ الطرف هل آنس النجدا	سلا عبد الأعلى حيث أوفى عشيّة
إلى جبل الأوشال مُستَخْبِياً بَرّدا	فما من قَلٍّ للنجد أصبحت هاهنا
إذا لم يجد من أن يُطالبها بُدّا	ولكنّ حاجات الفتى قُذِفَ به
لَعِينَ بنا شَيْباً وشَيْبَتنا مُردا	دعوني من نجد فإنّ سِينَتُهُ

(1) ينظر: نجد في الشعر العربي: محمد الحمدان، ضمن بحوث مؤتمر الأدباء السعوديين الأول 5/ 1833.

(2) الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره، جمع وتحقيق خالد الجبر، منشورات جامعة البترا 2003، واعتدنا في هذه المختارات على مجموع شعره المذكور، ونشير إليه باسم: الديوان، وكان الشيخ حمد الجاسر قد جمع شعر الصمة القشيري ونشره في مجلة العرب الجزء الأول السنة الأولى 1966، والسنة الثانية 1967، وقد أفاد صاحب الديوان منه، كما أفاد غيره عن نشر ديوان الصمة، وينظر: شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي — عبد العزيز محمد الفيصل 2/ 179، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1978 م.

(3) ديوان الصمة القشيري ص 77 - 80.

لما الله نجداً كيف يترك ذا الندى
على أن نجداً قد كساني حلة
سواداً وأخلاقاً من الصوف بعدما
ألا أيما البرق الذي بات يرتقي
وهيجني من أذرعَات وما أرى
سقى الله نجداً من ربيع وصيف
ونجداً إذا جادت به رهم الحيا
ألم تر أن الليل يقصُر طوله
بلى إنه قد كان للعيش قرة
خليلي قوما أشرفا القصر فانظروا
وإني لأخشى إن علونا علوه
نظرت وأصحابي بذروة نظرة
إذا مرَّ ركبٌ مُصعدين فليتنى
أي رفقة من آل بُصرى تمملوا
إذا ما وصلتُم سالمين فبلغوا
وقولوا لهم: ليس الضلال أجارنا
وإننا تركنا الحارثي مكبلاً

بخيلاً وحرَّ القوم تحسبُه عبداً
إذا ما رأيَ جاهلٌ ظنني عبداً
أزاني بنجدٍ ناعماً لابساً بُزداً
ويجلو دجى الظلماء أذكركني نجداً
بنجدٍ على ذي حاجةٍ طربٍ بُعداً
وماذا تُرجي من ربيع سقى نجداً
رأيت به المكنان والنفل الجعداً^(١)
بنجدٍ ويزدادُ النطافُ به برداً^(٢)
ولليضر والفتيان منزلةً همداً
بأعيانكم هل تؤنسان لنا نجداً
فشرف أن يزدادَ—ويحكما—بُعداً
فلولم تفض عيناى أبصرتنا نجداً
مع الراحين المصعدين لهم عبداً
رسالتنا لقيت من رُفقةٍ رُشداً
تحيةً من قد ظنَّ أن لا يرى نجداً
ولكننا جُزنا لنلقاكم عمداً
بكبَلِ الهوى من ذكرِكم مُضمرأً وجداً^(٣)

قال في الحنين إلى نجد وشوقه إليها: ^(٤)

(١) الرهم: جمع رهمة، المطر الخفيف الدائم الخفيف القطر. المكنان: ضرب من النبات زهرته صفراء. النفل: ضرب من النبات دقيق.

(٢) النطاف: قطر الماء.

(٣) يريد بالحارثي نفسه، والحارثية في شعره حبيته رثياً.

(٤) الديوان ص 83.

أَجِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَإِنِّي لِيَأْسُ طَوَالَ اللَّيَالِي مِنْ رُجُوعٍ إِلَى نَجْدٍ
فَإِنَّكَ لَا لَيْلَ وَلَا نَجْدَ فَاعْتَرِفْ بِهِجْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ

وقال الصمة يذكر نجداً وقد فارق أهله ولحق بالجد: ^(١)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَسْعِدٍ وَلَمَّا تَخَلُّ مِنْ أَهْلِهَا سُعْدُ
وَهَلْ أَقْبَلَنَ النَّجْدَ أَعْنَاقَ أَيُّنِي وَقَدْ سَالَ مَسِيًّا ثُمَّ صَبَحَهَا النَّجْدُ
وَهَلْ أَخِيطَنَ الْقَوْمَ وَالرَّيْحُ طَلَّةٌ فُرُوعَ الْأَءِ حَفَّةٌ عَقْدٌ جَعْدُ
وَكُنْتُ أَرَى نَجْدًا وَرِيًّا مِنْ الْهَوَى فَمَا مِنْ هَوَايَ الْيَوْمَ رِيًّا وَلَا نَجْدُ
فَدَعَنِي مِنْ رِيًّا وَنَجْدٍ كَلِيهَيَا وَلَكَّنِّي غَادٍ إِذَا مَا غَدَا الْجُنْدُ
أَقُولُ لِعِيَّاشٍ صَحْبِنَا وَجَابِرٍ وَقَفَا فَانظُرَا نَحْوَ الْحِمَى الْيَوْمَ نَظْرَةً
فَلَمَّا رَأَيْنَا قُلَّةَ النَّيْرِ أَعْرَضْتُ لَنَا وَجِبَالَ الْحَزَنِ غَيْبَهَا الْبُعْدُ
وَأَعْرَضَ رُكْنٌ مِنْ سَوَاجٍ كَأَنَّهُ لِعَيْنِكَ فِي آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرَدُ
أَصَابَ جَهْلُ الْقَوْمِ تَتِييُ مَا بِهِ فَحَنٌّ وَلَمْ يَمْلِكْهُ ذُو الْقَوَّةِ الْجَلْدُ ^(٢)

وقال الصمة القشيري في شوقه إلى نجد وأهلها: ^(٣)

أَقُولُ لِمُصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَابِينَ الْمُنَيْفَةِ وَالضُّمَارِ
تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارٍ ^(٤)
وَبَيْنَ قِفَارِهَا فَقِفِ الْمَطَايَا فَإِنَّ الْعَيْسَ تُحْبَسُ بِالْقِفَارِ

(1) الديوان ص 86 — 88.

(2) سعد قرية في ديار قشير.

(3) التميم: ذهاب العقل.

(4) الديوان ص 94 — 95.

(5) العرار: نبات طيب الرائحة، وهو النرجس البري.

ألا يا حَبْدًا نَفَحَاتْ نَجْدٍ وَرَبًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْفِطَارِ
وَأَهْلِكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا عَلَيْنَا بِأَنْصَافِ هُنَّ وَلَا سِرَارِ
تَقَاصَرَ لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ وَأَطْيَبُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ
أَيْسَتْ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَالَ حُزْنِي فَقَلْبِي مَوْجَعٌ وَالدمْعُ جَارِ

وقال متحناً إلى نجد بعد أن ذهب مع الجند الفاتح ، ويتغزل غزلاً جميلاً فيه شوق
وحوار ومعاتبة ، والقصيدة طويلة من جياذ قصائد الغزل: (1)

أَكْرَزُ طَرْفِي نَحْوَ نَجْدٍ وَإِنِّي إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يُذِرْكَ الطَّرْفُ أَنْظُرُ
حَنِيناً إِلَى أَرْضٍ كَأَنَّ ثَرَاهِهَا إِذَا مُطِرَتْ عَوْدٌ وَمَسْكٌ وَعَنْبَرُ
بِلَادُ كَأَنَّ الْأَقْحَوَانَ بَرَوْضَةٍ وَنَوْرُ الْأَقَاحِي وَشَيْ بُرْدٍ مُحَبَّرُ
أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي خِيَامٌ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِئِي أَجَلٌ لَا وَلَكُنِّي إِلَى ذَاكَ أَنْظُرُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً لَعَيْنِكَ مَجْرَى مَائِهَا يَتَحَدَّرُ
مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِمَّا مَجَاوِزَ بِحَرْبٍ وَإِمَّا نَازِحٌ يَتَدَكَّرُ

ومن قصيدة طويلة أولها: (2)

خَلِيلِيْ عَوْجَا مِنْكَ الْيَوْمَ أَوْدَعَا نُحْيِي رُسُومًا بِالْقُبَيْبَةِ بَلَقَعَا

وبعد أن يقف على الديار ويتغزل ويبيكي شوقاً إلى حبيبته العامرية ، يذكر نجداً
وأيامه فيها وشوقه إليها:

قَفَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لَنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا

(1) الديوان ص 102.

(2) الديوان ص 106 ، 110.

وما أحسن المصطاف والمتربعا
على كيدي من خشيّة أن تصدعا
عليك ولكن حلّ عينك تدمعا
بوضلي الغواني مُذْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَرعا
إليه العيونُ الناظراتُ التطلعا
إذا سُمْتُهِنَّ الوصلُ أَمْسَيْنَ قُطعا
تراهنّ بالآقدامِ إذ مِسْنِ ظُلُعا
فقلن: سقاكَ اللهُ بالسُّمِّ مُنْقعا
لنفسِي من دونِ الحِمَى اليومَ مُنْقعا
بنائك من يُمنى ذراعيك أقطعا
وجالت بناتُ الشَّوقِ بِحَنَنِ نَزْعَا
وجِعتُ من الإصغاءِ لَيْتَا وأخذعا
يقينا ونزوى بالشَّبَابِ فتنقعا
إذا حلّ الوادُ الحشا فتمنعا⁽¹⁾
كذكرك ما كفكفت للعينِ مدمعا
يُصبُّ على صُمِّ الصِّفا لتصدعا
بوادي الشَّرى والغورِ ماءً ومَرْتعا⁽²⁾
مصادِرَ نجدٍ والفضاء فرجعا
مرايعةً من بينَ قُفٍّ وأجرعا⁽³⁾
وما لا يرى فيه أخو القيد مطمعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الرِّبا
وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنشي
فليست عشيّاتُ الحِمَى برواجع
معي كلُّ غُرٍّ قد عصى عاذلاتِهِ
إذا راح يمشي في الرداءينِ أَسْرَعَتْ
وسربُ بَدَثٍ لي فيه بِبِضْ نواهدُ
مَشِينِ اطِّرادِ السيلِ هَوْناً كائِها
فقلتُ سقى الله الحِمَى دِيَمَ الحِيا
وقلتُ: عليكنَّ السلامُ فلا أرى
فقلن: أراك اللهُ إِنْ كُنْتَ كاذباً
ولما رأيتُ النِّيرَ أَعْرَضَ دوننا
تلفتُ نحوَ الحَيِّ حَتَّى وجدْتُنِي
فإن كُتِمُ ترجونَ أن يذهبَ الهوى
فَرُدُّوا هبوبَ الرِّيحِ أو غَيِّروا الجوى
أما وجلالُ اللهِ لو تذكُرْتُنِي
فقلت: بلى واللهِ ذِكْراً لوأنهُ
فما وَجَدُ علويَّ الهوى حَنٌّ واجتوى
رأى وهو في رأسِ الشَّرى مُتَمَنِّعا
تَشَوَّقُ لما عَصَهُ القيدُ واجتوى
ورام بعينه جبالاً منيفةً

(1) الواد الحشا: مكان الحشا

(2) الشرى جبل بنجد في ديار طيء، وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع. معجم البلدان: الشرى.

(3) القف: ما ارتفع من الأرض وغلظ. ياقوت: قف. الأجرع: الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة. اللسان: جرع

إذا رام منها مطلعاً ردّ شأوه
بأكبر من وجيد برّياً وجدته
ولا بكثرة بكر رأت من حوارها
إذا رجعت في آخر الليل حنة
لقد خفت أن لا تنفع النفس بعدها
وأعدّل فيها النفس إذ حيل دونهما
سلام على الدنيا فما هي راحة
ولا مزججاً بالربيع لستم حلولة
فماء بلا مرعى ومرعى بغير ماء
لعمري لقد نادى مُنادي فراقنا
بكلّ بلاد أم بكلّ مظنة
كأنّا خلّقنا للنوى وكأنّا

أمن القوى عضّ اليدين فأوجعا
غداة دعا داعي الفراق فأسمعا
بحراً حديثاً مُستيناً ومضرعا
لذكر حديث أبكت البُزْل أجمعا
بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا
وتأبى إليها النفس إلا تطلعا
إذا لم يكن شملِي ومُملِكُم معا
ولو كان تحفّل الجوانب مُمرعا
وحيث أرى ماء ومرعى فمُسبعا
بتشيتنا في كل وادٍ فأسمعا
أخو أمل مِنّا يُحاول مَطْمعا
حرام على الأيام أن تتجمعا

ويقول في الحنين إلى الحجاز ونجد مشاركا الناقة في عراطفها وحنينها إلى الصحب والأرض والديار: (١)

وحنّ قلوصي آخر الليل حنة
حنّ في تنائها وشبّ لعينها
فقلت لها: صبرا فكلّ قرينة
فما برحت حتى اروعينا لصوتها
نحن إلى أهل الحجاز صباة
فيا ربّ أطلّق قيدها وجريزها
فقلت لها: حنّي زويدا فإني

فيا زوعة ماراع قلبي حنينها
سنا بارقي وهنا فجئن جنوتها
مفارقها لأبد يوماً قرينها
وحتى انبرى مِنّا مُعين يُعينها
وقد بُت من أهل الحجاز قرينها
فقد راع أهل المسجدين حنينها
وإياك تُبدي عولة سنينها

(١) الديوان ص 135 - 136.

خليلي هل بالشام عين حزينه
وهل بائع نفساً بنفس أو الأسي
وأسلمها الباكون إلا حمامة
تجأويها أخرى على خيزرانة
نظرت بعيني مؤنسني فلم أكذ
فكذبت نفسي ثم راجعت نظرة

تبكي على نجد لعل أعينها
إليها فأجلاها بذاك حينها
مطوقة قد بان عنها قريبها
يكاد يذئبها من الأرض لينها
أرى من سهيل نظرة استبينها
فهيج لي شوقاً لنجد يقينها

يزيد بن الطثرية

وقال يزيد بن الطثرية (ت 126 هـ) يذكر نجداً وقد هيئت الحمامة أشجانه فصار

يحاورها ويشكو همّه وأشواقه ويذكر حبه لحبيته التي أحب الناس لأجلها: ⁽¹⁾

ألا يا صبا نجد متى هجيت من نجد
إن هتفت ورقاء في رونق الضحى
بكيت كما يبكي الحزين صبا
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
بكل تدأينا فلم يشف ما بنا
هوأي بهذا الغور غور تامة
فوالله رب البيت لا تجدينني
ولا أشتري أمراً يكون قطيعة
فمن حبها أحبت من ليس عنده
ألا رباً أهدى لي الشوق والجوى

لقد زادني مسراك ونجداً على ونجد
على فتن غصن النبات من الرند ⁽²⁾
وذبت من الحزن المبرح والجهد
يمل وأن النأي يشفي من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد
وليس بهذا المجلس من مستوى نجد
تطلبت قطع الحبل منك على عمد
لما بيننا حتى أغيب في لحدي
يد بيد تجزي ولا مئة عندي
على النأي منها ذكرة قلما تجدي

(1) شعر يزيد بن الطثرية ص 68-72، جمع حاتم الضامن، بغداد 1973، شعراء قشير 2/ 129، الأغاني 5/ 246.

(2) رونق الضحى: إشراقه. الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.

الأبيوردي

ومن ولع بنجد والتغني بربوعها والشوق إلى حماها وأهلها الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق القرشي الأموي يتصل نسبه بمعاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس، المتوفى سنة 557هـ، كان شاعراً ظريفاً مشهوراً، وراوية نَسَابة، قسم ديوانه شعره إلى أقسام: منها العراقيات، ومنها النجديات، ومنها الوجديات، وله تصانيف كثيرة منها تاريخ أبيورد ونساء، وكتاب المختلف والمؤتلف، وطبقات كل فن، وله في اللغة مصنفات كثيرة، وتوفي بأصبهان مسموماً سنة سبع وخمسين وخمسمائة⁽¹⁾، ولا يُدرى هل زار الأبيوردي نجداً وأقام فيها، أم ذكر مرابعها على الوصف والسماع؟ وقيل إنه زار نجداً ومكث فيها، وتعلق بامرأة نجدية وصار يذكرها في شعره وأحب لأجلها نجداً وأهلها، ويحفل ديوانه بالحنين إلى الوطن والشوق إلى الأهل والديار، والتغني بنجد والتغزل بصباياها، وشعره عامر بالشوق والوجد والحنين، يقول وهو في غربته في العيد يتشوق إلى وطنه:⁽²⁾

النَّاسُ بِالْعِيدِ مَسْرُورُونَ غَيْرَ فِتَى	يَشْفُقُ فِي إِسَارِ الْغُرْبَةِ الْحَزَنُ
وَيَنْ جَنِيهِ هَمٌّ لَا يَسُوحُ بِهِ	فَفَرَحَةُ الْمَرْءِ حَيْثُ الْأَهْلُ وَالْوَطَنُ
وَلَا اغْتِرَابَ عَلَيْنَا فَالْبِلَادُ لَنَا	فَتَوَحُّهَا وَبِنَا يُسْتَرْحَبُ الْعَطَنُ ⁽³⁾
إِذْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَنَا بِالْمَجْدِ حَالِيَةً	وَلَا هَا مِنْظَرٌ مِنْ بَعْدِنَا حَسَنُ
وَالْأَرْضُ تُزْهِى بِنَا أَطْرَافُهَا فَمَتَى	نَعْمَلُ إِلَى الشَّامِ يَحْسُدُهَا بِنَا الْيَمَنُ

(1) وفيات الأعيان 4/ 444—449، ط إحصان عباس.

(2) ديوان الأبيوردي النجديات 2/ 83—84 تحقيق عمر الأسعد، ط 2 مؤسسة الرسالة، بيروت 1987، وانظر محمد بن

عبد الرحمن الربيع، الرياض 1983.

(3) العطن: رحابة الصدر، يقال: فلان واسع العطن، إذا كان رحب الذراع. أساس البلاغة: عط.

وتلك دارٌ ورثناها معاويةً لكن كوفنَ ألقانا بها الزمن⁽¹⁾
 أصبو إليها وأشواقِي تُبرِّحُ بي وتمنعُ العينُ أن يعتادها الوسنُ
 فليت شعري وليت غيرُ نافعةٍ هل يبدونَ لعيني مُنجدٌ حصن⁽²⁾
 وهل أنيخُ ببابِ القصرِ ناجيةً مئانئها فيه من صوبِ الحيا قوينُ
 هنالك الهضباتُ الحُمُرُ لو هتفتُ بالمتيتِ راجعٍ فيها روحهُ البدنُ

وقال أبو المظفر الأبيوردي لما استولى الفرنج على بيت المقدس في سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة يأسف على ما حل بالبلاد ويحن للوطن السليب: ⁽³⁾

مزجنا دماءً بالدموعِ السَّواجِمِ فلم يبقَ مِنَّا عَرَصَةٌ للمراحِمِ
 وشَرُّ سلاحِ المرءِ دمعٌ يُفِيضُهُ إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصَّوارِمِ
 فإنيأ بني الإسلامِ إنَّ وراءكم وقائعَ يُلْحِقَنَّ الذُّرا بالناسِمِ
 أتهويمَةٌ في ظلِّ أمني وغبطةٍ وعيشِ كَنُوارِ الحميلةِ ناعمِ
 وكيف تنامُ العينُ ولاءَ جفوننا على هَقَواتِ أيقظتْ كلَّ نائمِ
 وإخوانكم بالشامِ بُضحي مَقيلُهُم ظُهورَ المذاكي أو بَطُونِ القشاعِمِ
 تسوُّمُهُمُ الرُّومُ الهَوانَ وأنتمُ تُجَرُّرونَ ذَيْلَ الحَقَضِ فَعَلَّ المُسالمِ
 وكم من دماءٍ قد أبْنَحَتْ ومن دُمى تُوارِي حياءَ حُسْنِها بالمعاصِمِ
 بحيثُ السُّيوفُ البَيْضُ حُمَرُةُ الظُّبا وَسُمُرُ العوالي دَامِياتُ اللهاذِمِ

(1) ورثناها معاوية: أي من معاوية. كوفن: بليدة صغيرة في خراسان على ستة فراسخ من أبيورد التي ينسب إليها الشاعر الأبيوردي. معجم البلدان: كوفن.

(2) حصن: جبل شامخ بنجد. معجم البلدان: حصن، مجمع الأمثال 2/299.

(3) الديوان 2/156 — 157.

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة
وتلك حروب من يغيب عن غيارها
سلكن بأيدي المشركين قواضياً
يكاد هن المستجن بطيبة
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا
ويجتنبون النار خوفاً من الردى
أنرضى صناديد الأعراب بالأذى
فليتهم إذ لم يذودوا حمية
وإن زهدوا في الأجر إذ حَسَّ الوعى
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى
دعوناكم والحزب تزنو ملحة
ثراقب فينا غارة عريئة
فلئن أنتم لم تغضبوا بعد هذه

وقال في الحنين إلى نجد، وهي أول النجديات: ^(١)

خليلي إن الحُب ما تغرفائه
أجن وللأنضاء بالغور حنة
وتضبو إلى رند الحمى وعراره
ومما شجاني أن ليلي تغبظت
هذييم وسعد يغدلان على الهوى

فلا تُنكرا أن الحنين من الوجيد
إذا ذكرت أوطانها برى نجد
ومن أين تدري ما العرا من الرند ^(٢)
فقلت سراً والمطبي بنا تحدي ^(٣)
فماذا لقينا من هذييم ومن سعد ^(٤)

(١) الديوان 2 / 172.

(٢) العرا والرند: نباتان طيبا الرائحة من نبات نجد.

(٣) تحدي: تسرع.

(٤) فماذا لقينا: أي فأي أمر عظيم لقينا منها.

وقال في الحنين والشوق ويبكي على فراق الأهل والأحباب: ^(١)

ولوعةٍ بِتْ أخفيها وأظهرها
والدمعُ يغلبني طوراً وأغلبه
حتى تبيّن صَخبِي ما اتهمتُ به
ظَلَلْتَ تُذري دموعاً ما يُنهضها
هَبْنِي أغضُّها ما لم تُسب بدم
وهكذا كنت تبكي يومَ ذي بقرٍ
فانتِ أَمْنُ لي عِماً أحاوله
ونَحَ العَدولِ أما يُبقي على دَرفِ
يمشي بعرضي إلى ظمياء يفلمه
إن أعرضتِ ونأتِ أو أقبلتِ ودئتِ
ورُبَّ ليلٍ طليح النجم قصَّره
تقبيلةً كانتهاز الصفر قرصته
ولم يكن بعدها إلا التقى وطر
ثم افترقنا فاغتتنا مباسمها
والفقر منها كعقد وهو منتظم
والليل يُنفي ضياء الصبح ظلمته

بمَنزِلِ الحَيِّ بين الضال والسلم ^(٢)
وَمَنْ يُطيقُ غلابَ المذمَعِ السَّجَمِ
فَقُلْتُ لِلطَّرَفِ هذا موضعُ التَّهَمِ
عَذْلُ الصَّدِيقِ فسرِّي غيرُ مُكْتَمِ
فكيف أسرَّها تمزوجةً بِدم
وليلةَ الحَزْزِ والمثوى على إضم ^(٣)
من الوشاة فدعني والهوى ونم
طوى الحيازيمَ من وَجدٍ على ألم ^(٤)
وقد درى أَنَّ من الحاظِها سَقَمِي
فهي المني والهوى النجدي من شيمي ^(٥)
بها الشفاء إن من لثمٍ ومُلتَزِمِ ^(٦)
بها التقى في عناق خدَّها وفمي
وهل خَطَّتْ بي إلى ما شانني قَدَمِي ؟
عن البروقِ وأجفاني عن الدَّيَمِ
والذَّمْعُ مِنِّي كعقدٍ غيرِ مُنْتَظِمِ ^(٧)
كعابسٍ ما به أنسٌ ليَتَسِمِ ^(٨)

(١) الديوان 2 / 197 - 198.

(٢) الضال والسلم: شجرتان من أشجار البادية.

(٣) ذو بقر: واد بين أخيلة الحمى، حى الربة، إضم: موضع فيه ماء بين مكة واليامة. ياقوت: بقر، إضم.

(٤) الحيازيم: عظام الصدر، يقول: أما يرحم مريضاً أضمر في صدره ألم الوجد، يريد به نفسه.

(٥) الهوى النجدي: يوصف صاحبه بالوفاء.

(٦) طليح النجم: ضعيف النجم. الملتزم: المعانقة.

(٧) أي أن أسنانها عند التمس كالدُر المنظوم، ودعني عند البكاء كالدُر المنثور.

(٨) يريد: أن الليل والصبح افترقا، والليل عابس والصبح مبسم، كما افترقنا نحن وأنا بك وهي مبسمة.

إِنْ شَاعَ عَنْ أَزْرِهَا مِنْ عِقْتِي خَبْرٌ فَإِنْ شَاهِدَهَا فَيَا حَكَّتْ كَرَمِي

ويقول في قصيدة يتغزل بحبيته ويذكر نجداً وحينه إليها: ^١

هِيَ الْجَزْعَاءُ صَادِيَةٌ رُبَاهَا فَزُرْهَا يَا مُدَيِّمُ أَمَّا تَرَاهَا
وَحَلَّ بِهَا دُمُوعَكَ وَكَفَاتِ وَكَيْفَ السُّخْبِ وَاهِيَةٌ كَلَاهَا

وبعد غزل بنساء شبيهات الظباء يقول في وصف حبيته النجدية:

لَهَا بَيْتٌ رَفِيعُ السَّنَكِ صَخْمٌ بِهِ تُزْمَى إِذَا انْتَسَبَتْ أَبَاهَا
أَظُنُّ الْخَمَرَ رِيقَتَهَا وَظَنِّي مُحَقَّقُهُ إِذَا قَبَّلْتُ فَاهَا
مَتَى ابْتَسَمْتَ تَكْشَفُ عَنْ أَفَاحٍ تُقَرِّطُهُنَّ سَارِيَةً نَدَاهَا ^٢
أَحِبُّ حُبِّهَا تَلْعَاتٍ نَجْدٍ وَمَا شَفَفِي بِهَا لَوْلَا هَوَاهَا
أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ ثِقُلُ رَكْبًا كَأَنَّهُمُ الصُّقُورُ عَلَى مَطَاهَا ^٣
لَتَرَمَيْنِي بِاللَّيْلِ دَاجٍ إِلَيْهَا الْعَيْسُ مَائِلَةٌ طَلَاهَا
فَإِنْ بِهَا أَوَائِسَ نَاضَلْتَنِي بِالْحَاطِظِ تَغِيظُ بِهَا مَهَاهَا ^٤
وَمُرْتَبِعًا بِهِ الْغُذْرَانُ تُخْذِي إِلَيْهَا النَّاجِيَاتُ عَلَى وَجَاهَا
وَتُلْصِقُ صِحَّةً بِالذَّاءِ مِنْهَا إِذَا اعْتَنَقَتْ كَلَاكِلَهَا نَرَاهَا ^٥

(1) الديوان 2/ 201 - 203.

(2) عن أفاح: أي أسنان يبيض كزهر الأقحوان.

(3) الرافصات: الإبل المسرعات على ظهورها ركبان كأنهم الصقور في الخفة.

(4) ناضلتني: رميتني بسهام عينيها، مهاها: أي مها التلعات.

(5) كلاكل الإبل: صدورها.

ويتغزل بامرأة من بنات الحمى في نجد ويذكر الشيب الذي وخط ذوائبه: ⁽¹⁾
 ومُرْتَبِعٍ من مَسْقَطِ الرَّمْلِ بِالْحَمَى يُحَاصِرُهُ وَادٍ أَغْنُ خَصِيبُ ⁽²⁾
 تَحِلُّ بِهِ ظُمِيَاءٌ وَهِيَ حَيِيَّةٌ إِلَيَّ وَمَغْنَاهَا إِلَيَّ حَيِيبُ
 إِذَا مَحَبَّتْ أَذْيَاهَا فِي عِرَاصِهِ وَجَدْتُ ثَرَى تِلْكَ الرِّبَاعِ يَطِيبُ
 وَيَحْلُو بِفِي الشَّعْرُ مَا أَطْرَبَتْ بِهِ وَمَا كَانَ يَحْلُو لِي لَدَيَّ نَسِيبُ
 وَلَمَّا رَأَتْ وَخَطَ الْقَتِيرِ يَلْمَنِي تَوَلَّتْ كَمَا رَاعَ الْغَزَالَةَ ذَيْبُ ⁽³⁾
 وَكُنَّا كَقُضْنِي بَانَةِ طَابَ عِرْقُهَا فَطَالَا وَلَكِنْ ذَابِلُ وَرَطِيبُ ⁽⁴⁾
 فَمَا بَالُهَا تَرْمِي إِلَيَّ بِنَظَرَةٍ تُغَازِلُهَا الْبَغْضَاءُ وَهِيَ تُرِيبُ
 كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الشَّيْبَ أَوْلَيْسَ فِي الْوَرَى ذَوَائِبُ فِي أَطْرَافِهِنَّ مَشِيبُ
 وَلَا غَرَوْ أَنْ أَكْخَسَى الْقَلَى مِنْ كَوَاعِبِ رِدَاءُ شَبَابِي عِنْدَهُنَّ سَلِيبُ ⁽⁵⁾

ومن غزله في النجديات وفيها محاورة رقيقة شائقة فيها حنين وشوق ووصف

لمحاسن الحبيبة: ⁽⁶⁾

نَظَرْتُ وَلِلْأَدَمِ النِّوَاغِ فِي الْبُرَى بَشَرِي نَجْدٍ يَا هُذَيْمُ حَنِى ⁽⁷⁾
 إِلَى خُفَرَاتٍ مِنْ نُمَيْرٍ كَأَنَّهَا ظُمِيَاءُ كَحِيلَاتُ الْمَدَامِ عَيْنُ

(1) الديوان 2/ 209-210.

(2) واد أغن: كثير النبات، خصيب: كثير النعم.

(3) القتير: الشيب، أي كما أخاف الذئب الغزالة.

(4) يقول: أنا ذابل من شدائد العشق وهي كالغصن الرطيب الناضر.

(5) رداء الشباب: ما للشباب من البهجة وسواد الشعر وغيرها.

(6) الديوان 2/ 213-214.

(7) الأدم: الإبل البيض، البرى: جمع برة، وهي حلقة من صفر تكون في أنف البعير.

إذا ما تنازعنَ الحديثَ اشتفى به
 كأن الذي استودعته منه لؤلؤ
 وقد سمعت بي فاعتزتها بشاشة
 وسدَّ خصاصَ الخدر طَرْفَ ومسَمَعُ
 وقالت سُلَيْمى مرحباً بك مالنا
 فقال هُذَيْنم وهو خَلِي وناصحُ
 ألم تعلمي أن الصَّبابةَ أَجَحَفَتْ
 فقالت له: مَنْ أَنْتَ تبغي انتِسابه
 أبوه عَلِيْمِي النَّجَارِ وأُمُّه
 فقالت: بمانٍ أَبَعَدَ اللهُ دارَهُ
 تَنَحَّ فما لِلْحَيِّ كَلْبٍ بأَرْضِنَا
 فَرُخْنَا وبالكَلْبِي غَيِظُ يُجِئُهُ
 كَأَنِّي وإياهُ بِسَائِقَةِ النِّفَا
 من الْوَجْدِ مُتَبَوِّلُ الْفُؤَادِ حَزِينٌ⁽¹⁾
 يَلُوحُ على أَيْدِي النَّجَارِ ثَمِينٌ
 ومثلي بها عِنْدَ الْكَرامِ قَمِينٌ
 وَنَخَرٌ وَخَدٌ وَاضِحٌ وَجَبِينٌ
 نرى أَثَرَ الْبَلَوِ عَلَيْكَ يَمِينٌ
 لها وعلى أَسْرارِها أَمِينٌ
 به وأخوكِ الْعَامِرِيُّ سَمِينٌ
 فقال: هِجَانٌ لَمْ يَلِدْهُ هَجِينٌ⁽²⁾
 أبوها زُهَيْرِيَّ نَمَاهُ عَرِينٌ⁽³⁾
 لَهُ مِنْ نِزَارٍ صَاحِبٌ وَخَدِينٌ
 قَرَارٌ يَقيها النَّائِبَاتِ مَكِينٌ
 ولي من هَوَاهَا زَنْةٌ وَأَنِينٌ⁽⁴⁾
 أَخَوَسَقَمٍ يَشْكُو الْجِرَاحَ طَمِينٌ

وقال الأبيوردي متغزلاً وذاكراً ديار نجد ومن يحب من أهلها ، ويقسم بالبيت

الحرام في سياق الغزل: ⁽⁵⁾

أَلَيْتُنَا بِالْحَزَنِ عَوْدِي فَبَأْنِي
 وَأَذْرِي بِهِ دَمْعاً يُرَوِّي غَلِيلَهُ
 وَأُقْسِمُ بِالْبَيْتِ الرَّحِيبِ فِناؤُهُ
 وَأَطَامِنُ أَحْشائي على لَوْعَةِ الْحَزَنِ
 فلم يَتَحَمَّلْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ الْمُزْنِ
 وبالحَجَرِ الْمَلْثُومِ والحَجَرِ الرُّكْنِ

(1) متبول الفؤاد: أسقمه الحب وذهب بعقله.

(2) الهجان: الكريم، وامرأة هجان: كريمة ليست من الإماء، والهجين: غير الأصل، الذي ولدته أمة.

(3) عليمي: منسوب إلى علي، حي من كلب، وكتب حي من اليمن.

(4) الزنة: التهمة.

(5) الديوان 219/2 - 220.

وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي فَوَادِي مِنَ الْأَمَنِ
وَيَذُرُّ الدُّجَى مِنْ حَاسِدِيهَا عَلَى الْحُسْنِ
وَرَابِعُنَا مَاضِي الْغِرَارَيْنِ فِي الْجَفْنِ
فَلَمَّا افْتَرَقْنَا صَارَ كَالْقُرْطِ لِلْأَذْنِ
رَمَقْتُ بِذَاتِ الرُّمَيْتِ نَارَ بَنِي حِصْنِ
عَلَى قِصْدِ الْحَطَّيِّ بِالْمَنْدَلِ الَّذِي
فَقُلْتُ ابْنُ أَرْضٍ ضَلَّ فِي لَيْلَةِ الدُّخَنِ
وَنَجَدُ هَوَاهُ وَهِيَ تَعْرِفُ مَا أَعْنِي

لَأَتَّيْتُ إِلَى نَفْسِي أَحَبُّ مِنَ الْغِنَى
فَكَمْ غَادَةٌ جَلَّى ظِلَامَكَ وَجْهَهَا
خَلَوْتُ بِهَا وَحْدِي وَثَالِثُنَا الثَّقَى
يَذُودُ الْكَرَى عَنَّا حَدِيثُ كِعْقِدِهَا
وَأَخِرُ عَهْدِي بِالْمَلِيحَةِ أَتَنِي
فَحَيِّتُ أَهْلَ الضُّوءِ وَهِيَ تُشَبِّهَا
فَقَالُوا مَنِ السَّارِي وَقَدْ بَلَّهَ النَّدَى
لَهُ حَاجَةٌ بِالْغُورِ وَالِدَارُ بِالْحِمَى

وقال يتغزل في نجدية مترفة ويذكر وجده بها وما يعانیه من الشوق ويذكر مشاركة

الحيوان في حنينه وعواطفه: (١)

لَأَسْرَبَهَا فِي عَامِرٍ مَا تَمَّتْ
بِهِ فَاسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ وَاطْمَأْنَنْتِ
وَمَا جَاطِبَاهُمُ حَنِينِي فَحَنَنْتِ
يَقُولُ أَلَا اللَّهُ نَفْسٌ تَعْنَتْ
وَلِنْ نَشَرَ اللَّيْلُ الْجَنَاحَ أَرَنْتِ
لَهَا الْخَيْرُ مَاذَا أَضْمَرْتِ وَأَجْنَنْتِ
بَنَجْدٍ أَوِ الْيَكِيَّةُ الْوُزُقُ غَنَنْتِ
وَمِنْ أَجْلِهَا حَنَنْتِ وَرَنْتِ وَأَنْتِ
عَلَيْنَا وَلَوْ لَا بُخْلُهَا مَا تَجَنَنْتِ
أَلَا سَاءَ مَا ظَنَنْتُ بِنَا حِينَ ظَنَنْتِ

وَأَلْفَةً لِلْخِذْرِ ظَاهِرَةَ الثَّقَى
تَحِلُّ بَنَجْدٍ مَنْزِلًا حَلَّتِ الْعُلَا
تَذَكَّرْتُهَا وَالرَّكْبُ مُغْفٍ وَسَاهِرٌ
وَهَبَّ صَحَابِي وَاجْمِيزَ وَكُلُّهُمْ
إِذَا حَذَرَ الصُّبْحِ اللَّثَامَ تَأَوَّهَتْ
وَلَسْنَا نَرَاهَا تَسْتَفِيْقُ مِنَ الْهَوَى
تَهْنِمْ إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ لَهَا
وَتَصْبُو إِلَى لَيْلٍ وَقَدْ شَطَطَتِ النَّوَى
مَنْ الْبَيْضِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَجَنُّيَا
تَضِنُّ بِمَا نَبْغِي لَظَنُ تُسِينُهُ

وقال يتشوق إلى نجد ويحن إليها ويبكي شوقاً ووجداً: ^(١)

أَلَا مِ عَلَى نَجْدٍ وَأَبْكِي صَبَابَةً
فَلِي بِالْحَمَى مِنْ لَا أَطِيقُ فِرَاقَهُ
وَأَكْرِمُ مِنْ جِيرَانِهِ كُلَّ طَارِيءٍ
إِذَا لَمْ يَدْعُ مِنِّي نَوَاهُ وَحُبَّهُ
وَلَوْلَا الْهَوَى مَا رَقَّ لِلدَّهْرِ جَانِبِي
رَوَيْدَكَ بِأَدْمَعِي وَيَا عَاذِلِي رِفْقاً
بِهِ يَسْعَدُ الْوَاشِي وَلَكِنِّي أَشْقَى
يَوَدُّ وَدَاداً أَنَّهُ مِنْ دَمِي يُسْقَى
سِوَى رَمَقِي يَا أَهْلَ نَجْدٍ فِكْمَ أَبْقَى
وَلَا رَضِيتُ مِنْكُمْ قُرَيْشٌ بِمَا أَلْقَى

وقال في الشوق والحنين إلى نجد وأهلها: ^(٢)

يَا نَجْدُ مَا لَأَجِيتِي شَطُّوا
ظَنُّنَا فَمَا لَكَ لَا تُفَارِقُنَا
وَكأنْ عِيسَهُمْ عَلَى حَذَقِ
أَلْفَتْ جَوَارَ الرُّكْبِ غَانِيَةً
وَالْعَيْنُ مِمَّا الْهَنْدُ تَطْبَعُهُ
رَبِيعَةً الْأَبَاءِ إِنْ نُسِبَتْ
يَا سَلَمُ شَفَّ الْجِسْمُ وَغَذُلُكُ لِي
وَمَلَاتِ بِمِرْطِكِ إِنَّهُ نَسَمٌ
إِنِّي لِأُخِي اللَّيْلُ مُكْتَبِيّاً
فِي مَنْزِلٍ أَوْدَعَتْ عَرَضَتُهُ
لَمْ يَحْمِ أَرْصَكَ مِثْلَهُمْ قَطُّ
يَا قَلْبُ إِنْ رَحَلُوا وَإِنْ حَطُّوا
تُذْمِي الْجَفُونَ دُمُوعَهَا تَخْطُرُ
بِأَبَى جَوَارَ عُقُودِهَا الْقُرْطُ
وَالْقَدُّ مِمَّا يُنْبِتُ الْحَطُّ
فَلَهَا أَرَاقِمُ وَائِلِ رَمَطُ ^(٣)
بِرِضَى يَشْفُ وَرَاءَهُ سُخْطُ
بَرٌّ يَخْصُ بِجَنَلِهِ الْمِرْطُ ^(٤)
حَتَّى يُرَى وَفُرْعُهُ شُمَطُ ^(٥)
مِسْكَاً يَمْجُجُ قَيْتَهُ الْمِشْطُ

(1) الديوان 2/ 227.

(2) الديوان 2/ 231-232.

(3) أصل الأرقام: الحيات الرقش، والمراد هنا الشجعان.

(4) المرط: كساء تُنَزَّرُ به المرأة. لائته: لفته وتلفعت به. ويريد بملاط المرط: الكفل.

(5) الفرع: شعر الرأس. شمط: بيض، أي أبيض شعر رأسه.

وقال الأبيوردي في الحنين إلى نجد وديارها وأهلها: (1)

أَرْضُ الْعَذِيبِ أَمَا تَنْفُكُ بَارِقَةً
أَصْبُو إِلَى أَرْضِ نَجْدٍ وَهِيَ نَازِحَةٌ
وَأَسْأَلُ الرُّكْبَ عَنْهَا وَالدَّمْعُ دَمٌ
وَأَنْ سَرَى الْبَرْقُ مِنْ تَلْقَائِهَا عَرَضَتْ
وَالرَّيْحُ إِنْ نَسَمَتْ عُلوِيَّةً نَضَحَتْ
فَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ
لَيْسَ الْعِرَاقُ لَهُ بَعْدَ الْحِمَى وَطَنًا
وَتَسْتَرِيحُ الْمَطَايَا مِنْ تَوَقُّصِهَا
فَلَيْتَ شِعْرِي وَكَمْ غَرَّ الْمُنَى أَمَّا
هَلْ أَهْبَطَنْ بِلَادًا أَهْلُهَا عَرَبٌ
عَلَى مُطَهَّمَةٍ جُزْدٍ جَحَافِلُهَا
إِذَا رَمَوْا مَنْ يُعَادِيهِمْ بِهَارِجَعَتْ
فَلَا دُرُوعَ لَهُمْ إِلَّا جُلُودُهُمْ
إِنْ يَجْمَعِ اللَّهُ شَمْلِي يَا هُذَيْنِمْ بِهِمْ

تَسْمُو بِطَرْفِي إِلَى الرِّبَانِ أَوْحَصَنِ
وَالْقَلْبُ مُشْتَعِلٌ مِنِّي عَلَى الْحَزَنِ
بِنَاطِرٍ لَمْ يَحِطْ جَفْنًا عَلَى وَسَنِ
عَيْنِي بِذِي سَلَمٍ مِنْ مَبْرَكٍ خَشِينٍ (2)
بِالدَّمْعِ حَنَّةً عَلُويٍّ إِلَى الْوَطَنِ (3)
يَهْزُ مَنْ أَلْفَ الْمُضَرِّينَ لِلظُّعَنِ (4)
يَمِيسُ عَافِيهِ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ (5)
إِذَا فَلَكَ لِمَ الْحَوَذَانِ بِالثَّنَنِ (6)
مَنْ قَرَعَ عَدْنَانَ وَالْأَذْوَاءَ مِنْ يَمَنِ (7)
لَمْ يَشْرَبُوا غَيْرَ صَوْبِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ (8)
يَنْقُصُ تَلَوُّحٌ عَلَيْهَا رَغْوَةُ اللَّبَنِ (9)
بِالنَّهَبِ دَامِيَةَ اللَّبَّاتِ وَالثَّنَنِ (10)
وَلَا عَلَيْهِمْ سِوَى الْأَحْسَابِ مِنْ جُنَنِ
فَلَسْتُ مَا عِشْتُ بِالزَّارِي عَلَى الزَّمَنِ

(1) الديوان 2/ 235 — 237.

(2) غرضت: ملئت وسمعت.

(3) العلوية: نسبة إلى عالية نجد، أي صار حنينه سبباً لانسكاب دمع.

(4) يريد بالمضرين: الكوفة والبصرة، الظعن: الارتحال.

(5) العطن: موضع الإناخة.

(6) توقص وثب وثباً قصيراً، فلت: قطعت. الحوذان: ثوب. الثنن: اخفاف البعير، وكل ما غلظ من جسمه ومباركه.

(7) الأذواء: ملوك اليمن.

(8) العارض الهتن: السحاب الماطر.

(9) المطهم: الجواد التام الحسن. جرد: جمع أجرد أي سباق. الجحافل: جمع جحفة، والجحفة للفرس كالشفة للإنسان.

(10) الثنن: جمع ثنة وهي الشعرات التي في مؤخر رجل الفرس.

ويذكر حنينه وشوقه إلى حبيبته وهو في منى وقد لبى الحاج وطلبوا المغفرة فيسأل

الله سبحانه أن يجمعه بمن يحب: (١)

سَجَانِي بِأَعْلَامِ الْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى
وَقَدْ رَفَعَ الشُّعْتُ الْمَلْبُونُ أَيْدِيَا
فِيَارِبُ إِنَّ الْمَالِكِيَّةَ حَاجَتِي
وَلَمْ أَزْهَأْ إِلَّا بِنَعْمَانٍ مَرَّةً
فَلَا احْبُبْ يُجِدِّنِي وَلَا الشُّوقُ يَنْقُضِي
خَفِي حَنِينٍ رَجَعْتُهُ الْإِبَاعِرُ (٢)
بِحَاجَاتِهِمُ وَاللَّهُ مُغْطٍ وَغَافِرُ
وَأَنْتَ عَلَى أَنْ تَجْمَعَ الشَّمْلَ قَادِرُ
وَقَدْ عَطَّرْتَ مِنْهَا ثَرَاهُ الصُّفَائِرُ
وَلَا دَارَهَا تَذْنُو وَلَا الْقَلْبُ صَابِرُ

ويذكر مرابع نجد ويحن إلى الديار والغيد الحسان: (٣)

وَسَرَّحَ بِرِّيَا نَجْدٍ مُهْدَلَةٍ
إِذَا الصَّبَا تَسَمَّتْ وَالْمُزْنُ يَتَضَبُّهَا
تَقِيلُ فِي ظِلِّهَا بَيْضَاءُ آنَسَةٍ
سُوْدٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا
عَارَضَتْهَا فَانَّقَتْ طَرْفِي بِجَارَتِهَا
وَرِنْتُ مُلْقَى عَلَى سِقْطِ اللَّوَى لَمِي
ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَلَاخَ الْفَجْرِ فِي ظَلَمٍ
وَبَلَّ دِزْعِي وَمُنْهَرِي صَوْبُ غَادِيَةٍ
وَالْعَيْنُ مِنْ حُبِّ أَغْرَابِيَّةٍ عَرَضَتْ
فَلَيْتَهَا لِي — وَالْأَمَالُ أَكْثَرُهَا
أَغْصَانُهَا فِي غَدِيرٍ ظَلٌّ يُزْوِيهَا
مَشَى النِّسِيمُ عَلَى آيِنٍ يُتَاجِبُهَا (٤)
تَكَادُ تَنْشُرُهَا لَيْنًا وَتَطْوِيهَا
مُحَرَّرٌ مَجَاسِدُهَا صُفْرٌ تَرَاقِبُهَا
كَالشَّمْسِ عَارَضَهَا غَيْمٌ يُوَارِيهَا
وَنَفْحَةُ الْمَسْكِ تَسْرِي فِي نَوَاجِبِهَا
غَدَا يَفْقُصُ سَنَاهُ مِنْ حَوَاشِيهَا
فَالْبَرْقُ يُضْحِكُهَا وَالرَّعْدُ يُبْكِيهَا
تَعُومُ فِي عِبْرَاتٍ كُنْتُ أَذْرِيهَا
يُعَذِّبُ النَّفْسَ — بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

(1) الديوان 2/ 284.

(2) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى

(3) الديوان 2/ 286 — 288.

(4) المزْن يتضَبُّها: أي يرويهها. الأين: الإعياء

وقال في الشوق إلى نجد وأهلها: ⁽¹⁾

قَفَا بَنَجْدٌ نَسَلْمُ
فَلِي دُمُوعٌ تُرَوَّى
وَالنَّاجِيَاتُ إِلَيْهَا
لَهَا مِنَ الشُّوقِ هَادٍ
وَكَمْ بِهَا مِنْ ظِيَاءٍ
تَنْسِي الْأَسْوَدَ بِنُجْلٍ
كَأَنَّهَا مِنْ قُتُورٍ
عَارِضَتُهَا إِذْ تَوَلَّتْ
أَبْغَى الْفُؤَادَ لَدَيْهَا

وقال في الحنين إلى نجد وساكنيه: ⁽²⁾

إِنْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ حَيٌّ يَطْعَنُونَ غَدَاً
فَلَا تَرَى لَوْلُؤاً مِنْ مَبْسَمٍ تَسْقَا
يَا سَعْدُ إِنْ فِرَاقاً كُنْتَ تَحْذَرُهُ
هَلُمَّ تَبْكِ عَلَى نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ
وَدَعْ مُدْنِيّاً فَقَدْ طَافَ السُّلُوبُ بِهِ
وَيَا مُدْنِيّاً أَلَا تَبْكِي عَلَى وَطَنِ
هَلَا أَفْتَدَيْتَ بِسَعْدٍ فِي صَبَابَتِهِ
أَتُنْجِدَانِ فُؤَاداً شَيْقاً عَلِقَتْ

عَلَى دِيَارِ سُعَادٍ
بِهَا الطَّلُوبُ الصَّوَادِي
يَحْذَرْنَ مِنْ لُحَايِ الْوَادِي ⁽³⁾
وَمِنْ زَفِيرِي حَادٍ
حَلَّتْ سَرَارَةُ وَادِي ⁽⁴⁾
كَالْبَاتِرَاتِ الْجَدَادِ
تَمْلُؤُهُ مِنْ رُقَادٍ
بِهَا الْحُدُوجُ الْغَوَادِي
فَمَا وَجَدْتُ فُؤَادِي

وَفِي لِي الطَّرْفُ مِنْ دَمْعِي بِمَا وَعَدَا
حَتَّى تَرَى لَوْلُؤاً مِنْ مَدْمَعٍ بَدَدَا
دَنَا لِيَنْزِعَ مِنْ أَحْشَائِكَ الْكَبِدَا
فَلَنْ تَرَى بَعْدَ نَجْدٍ عَيْشَةً رَغَدَا
وَعَنْ قَرِيبٍ تَرَاهُ يَلْتَوِي كَمَدَا
يُذَيِّبُ مِنْ أَدْمُعِي ذِكْرَاهُ مَا جَمَدَا
غَدَاةً مَدَّ لَتَوْدِيعِ الْحَبِيبِ يَدَا
بِهِ الصَّبَابَةُ إِنْ أَتَمَمْتُهَا نَجَدَا

(1) الديوان 2/ 288.

(2) يَحْذَرْنَ: الوجد ضرب من السير سريع.

(3) سرارة الوادي: خير المواضع فيه.

(4) الديوان 2/ 291 — 292.

أَمْ تَنْقُضَانِ عُهُوداً كُنْتُمْ أُبْرِمُهَا إِنْ تَنْقُضَاهَا فَلَا لُفَيْتُمَا رَشَدًا
مَتَى تَغِيْبَا وَلَمْ يَمْنَعَكُمَا كَرَمٌ أَنْ تُخْبِرَا بِأَحَادِيثِ الْهَوَى أَحَدَا
فَلَارَأَتْ عَلَمِي نَجْدٍ غَيْرُكُمْ وَلَا رَعَى بِالْحِمَى نِضْوَاكُمَا أَبَدَا

وقال يحن ويتشوق إلى ديار الحبيبة: (١)

خَلِيلِي هَذَا رَنْعُ لَيْلٍ بِذِي الْغَصَى سَقَى اللَّهُ لَيْلٍ وَالْغَصَى وَسَقَاكُمَا
وَقَدْ كُنْتُمَا لِي مُسْعِدَيْنِ عَلَى الْبُكََا فَمَا لَكُمَا لَا تُسْعِدَانِي أَخَاكُمَا
أَظُلُّ وَحِيداً لَا أَرَى مَنْ أُجِبُّهُ وَهَلْ بِالْحِمَى لِي مِنْ خَلِيلٍ سِوَاكُمَا
وَلَوْ غَابَ عَنِّي وَاحِدٌ مِنْكُمَا وَهَتَّ قُوَى الصَّيْرِ لَا أَوْهَى الزَّمَانُ قُوَاكُمَا
فَكَيْفَ أَذُودُ أَلْهَمَ عَنِّي تَجَلُّدًا وَقَدْ غِبْتُمَا عَنْ أَرْضِ نَجْدٍ كِلَاكُمَا

والنجديات في ديوان الأبيوردي كثيرة، وفيها غزل ووجد ووصف وفخر وأغراض أخرى، ويعد الأبيوردي أكثر الشعراء الذين ذكروا نجدًا ومواضعها وحنًا إلى أهلها وتغزل بنسائها، وفيما اخترناه من شعره في نجد بيان لشدة تعلقه وحبه وحنينه لهذه البيئة التي أحبها الشعراء منذ الجاهلية وحتى العصور الحاضرة، وما أحب الشعراء نجدًا إلا لأنها ترمز للأصالة العربية والفروسية والنقاء اللغوي بالإضافة إلى جمال الطبيعة وجمال أهلها وطبيبتهم ونقاء أصولهم وأعرافهم.

حجازيات الشريف الرضي

ولم يكن حب نجد والحجاز مقصوراً على الأبيوردي ، وإن كان أكثرهم شعراً في هذا الفن، بل كان هناك شعراء آخرون شاركوا في الحنين والشوق إلى نجد والحجاز، من ذلك الشريف الرضي (ت 406 هـ) الذي اشتهر بالحجازيات ، وهي قصائد ومقطعات في الغزل فيها حنين وشوق إلى الحجاز ونجد وأهله، وكان الشريف الرضي سابقاً في هذا الضرب من الشعر واحتذى حذوه الأبيوردي، وقد قيل إن الأبيوردي تلميذ المتنبّي في الفخر ، وتلميذ الشريف الرضي في الغزل.

ومن شعر الرضي (ت 406 هـ) في الحنين إلى نجد وأهلها والغزل بحبيته هناك ، هذه الأشواق:⁽¹⁾

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى	فلاقي بها ليلاً نسيمٌ ربا نجدٍ
فإنّ بذاك الحي إنفاً عهدئذُ	وبالرغم مني أن يطولَ به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الجوى	بذكر تلافينا قضيتُ من الوجدِ

ويحن إلى نجد ويشتاق إلى موطنه ويتمنى أن يلتقي الأحبة والصحاب هناك:⁽²⁾

يا قلبُ ما أنت من نجدٍ وساكنه	خَلَفْتَ نجداً وراء المدليج الساري
راحت نوازغُ من قلبي تتبعهُ	على بقايا لُباناتٍ وأوطارٍ
ياراكبانِ تعالا واقضيا وطري	وخبّراني عن نجدٍ بأخبارٍ
هل رُوِضت قاعةُ الرّغساءِ أم مطرت	جميلةُ الطَّلحِ ذاتِ البانِ والغارِ

(1) ديوان الشريف الرضي 1/ 389 ط صادر، بيروت .

(2) الديوان 1/ 517 .

أم هل أيتُّ ودارُّ عندَ كاظمِ داري وسمازُ ذاك الحيِّ سُمَّاري

ومن أشواقه وحسراته على نجد وأهله قوله: ^(١)

آهاً على نفحاتِ نجدٍ إنها رُسلُ الهوى وأدلةُ الأشواقِ

ويرى أن أشواقه وأوجاعه التي بالعراق لا شفاء لها ، فلربما وجد طبيبها في نجد: ^(٢)

عَمْتُ دوائِي بالعراقِ فرُّمًا وَجَدْتُمْ بِنَجْدٍ لي طبيباً مداوياً

(١) الديوان 1/389 .

(٢) الديوان 1/517 .

نجد في شعر الطغرائي

ومن ذكر نجداً وحنَّ إليها كما حنَّ معاصره الأبيوردي، الطغرائي (ت 513 هـ) يقول متغنياً بنجد ومواضعها وأهلها ويتغزل بحسانها ويصف مغانيها، وهي من جباد شعره: ^(١)

أيا حادي الأضعان غرَّد فقد بدا	لنا حَصْنٌ واستقبلتنا صبا نجد
وبشَّرنَا وَعَدُّ من المَزْنِ صادق	بواصي من الحَوَازِنِ والنَّقْلِ الجَعْدِ
وطارح رذاياها وقد ملَّت السُّرى	أغاريدٌ يُغرينَ الطلائعَ بالوَحْدِ
فإنَّ بذاك الجُرَّ فاتنة اللُّمى	أسيلةٌ مجرى الدمعِ واضحة الخُدِّ
إذا ما المِدارى خُصِنَ سُودَ لِمَامِها	خَلَطَنَ قُتَاتَ المِسكِ بالعَنْبَرِ الوَرْدِ
لقد طالَ عهدي بالحمى وحلولِهِ	ولولا شِقائِي لم يَطُلْ بهمُ عهدي
أسائلُ عنه من لقيتُ وعنهم	مَتى جادُهُ غيْتُ وما فعلوا بعدي
هل اخضَرَّ واديهم فعاشوا بغيطةٍ	أم استبدَلوا الصَّمَانَ بالأَجْرَعِ الفَرْدِ
وهل جَذوهُ النارِ التي يوقِدونها	لها حيثُ شَبَّوها دليلٌ على كَبدي
وهل تُغَبُّ الماءَ التي يردونها	على الحائِمِ الحيرانِ ممنوعَةُ الوَرْدِ
أقولُ لأصحابي غداةَ تَزافروا	رُويَدَكمُ إنَّ الهوى داوَهُ يُعدي
إذا ما قَدَحْتُم نَارَ وَجَدٍ فلإنَّها	شرارتُها فيكم وبجمرَتها عندي

ويقول متشوقاً إلى نجد ويذكر حينه لها وقد بعد عنها وحُرم منها: ^(٢)

أقولُ لهُ وأنضاءَ المِهَارِ	طلائحُ قدَوَيْنِ من السُّفَارِ
تَعَزَّ أخا العَرَبِ فما بنجدٍ	لنا أخرى الليالي من قَرارِ

(١) دبرانه ص 138—139.

(٢) الديوان ص 168.

انطمع في شميم عرارِ نجدٍ وهل "بعد العشيّة من عرارٍ"⁽¹⁾
 ستطلبُ منهمُ داراً بدارٍ فترضى دونهم جارا بجارٍ
 وما فارقتهم طوعاً ولكن قضاء ما ملكت له اختياري
 ثموم قد مئيت بها طوال لأيام مزين به قصار

ومن قصيدة غزلية رقيقة يعرّج فيها على ذكر نجد، ويحن إليها ويصف طبيعتها
 ومحاسن أرضها، وبطولة رجالها وكرمهم، وجمال صبيتها:⁽²⁾

يا حبذا نجدٌ وأعراقُ الثرى لذنّ وأنفاسُ النسيمِ رِقاقُ
 فهوأوه خصرُ النسيمِ وثربُهُ حالي الأديمِ وماؤه رِقراقُ
 وساكنيه إن استقرّ بنا النوى تُشقى النفوسُ وتمسكُ الأرماقُ
 والحيّ بالجزعاء بين يوتهم أُنشد وعينُ جاذِرٍ وعِناقُ
 والبيض أمثال الخدودِ صقيلةٌ والشمرُ أشباه القُدودِ رشاقُ
 والجودُ والإقدامُ في فتيانهم والبُخلُ في الفتياتِ والإشفاقُ
 والرميُّ في الأخداقِ دأبُ رُماتهم والراميَّاتُ سهامُها الأحداقُ

ويذكره البرقُ نجداً ومَن بنجد فيشتاق إلى الحبيبة، وتلومه العاذلة فيحاورها
 وتحاوره، ويبث أشواقه ويتحدث عن ذكرياته في نجد ومن حلّ نجداً:⁽³⁾

أرقتُ لبرقٍ لاحَ عَنِّي وميضُهُ وإنسانٌ عيني في صرى الدمعِ سابغُ
 وما لاحَ لي إلا وبينَ جوانحي جوى مثل سِرِّ الزندِ أوره قاذحُ

وبعد أن يذكر آلامه وأشواقه يقول:

(1) يضمن بيت الصمة القشيري السابق، شعراء قشير 2/ 179.

(2) الديران 261.

(3) الديران ص 108 - 110.

وأعوزُ شيء ما يرومُ النواصِحُ
تردَّتْ بأفوافِ المشيبِ المسابِحُ
إليه على طولِ العناءِ جَوانِحُ
وقد ضاعَ وهناً رنْدُهُ المتفاحُ
أطارَ البرى أنضاؤُهُنَّ الطلائِحُ
قليلاً لساتِ بالشُّجونِ الأباطِحُ
ثقياتُ ما تحتَ الحُصورِ رواجِحُ
وهنَّ لأطرافِ المروطِ روامِحُ
براقعُها تلكَ العيونُ اللوامِحُ
يفسِقُ ولا النفسُ النقيَّةُ صالحُ
إذا عَنَ ظبيُّ بالصَّريمةِ جانِحُ

وعاذلةٌ هبَّتْ ترومُ نصيحتي
تقولُ: ألا يصحرفؤاذكَ بعدما
فقلتُ دعيني والهوى فجوانحي
ولا تذكرني نجداً وطيبَ هوائهِ
فبي طَرَبٌ لو أنَّ بالعيسِ مثلهُ
وبي شَجَنٌ لو كنتُ بمَن يُذيعُهُ
وفي الجيرةِ الأدنينِ هِنَفٌ خصوصُها
برزنٌ بالحاظِ العيونِ نواشباً
جلونٌ شُفوفاً عن شُئوفٍ ونَقَبَتِ
فلم يملكِ العينَ الطموحُ مجاهرُ
ولا غرو أن يرتاحَ للصَّيدِ قانصُ

ويذكر ديار الحبيبة في نجد وقد ذكره بها البرق الذي يجتاز على إصم ويبلغ نجداً

فيحن إلى الحبيب ويذكر محاسنه: (١)

إذا شكوتُ إليه زادني مرَضاً
أرسلتُ طرفي سهماً وانثنى غَرَضاً
يسري ويمري جفوني كُلاًّ ومَضاً
يهفو بلُبي وقلبي كُلاًّ عَرَضاً
بالجارِ جاراً وما أرضى بهم عَرَضاً
عن الرِّضاعِ تَقَضَّى والشَّبابُ مَقَى

يا صاحبي أعيناني على مَسْكِنِ
ظبِّي غَريراً إذا حاولتُ غَرَتَهُ
مالي وللبرقِ مُجتازاً على إَصَمِ
برقٌ يلوخُ بنَجْدٍ والحمى وطني
مَنْ مبلغُ الحمي شَطَطَتْ دَارُهُم ورضوا
ما طابَ عنكم فؤادٌ طابَ قَبْلُكُم

ويتذكر أيامه في نجد حين شدَّ الرحال ووصل أرض الأخبة، وتنسم أنسام البادية

وما فيها من أريج نباتها وعليل هوائها، ويفوح العطر حين ترعد السماء وينزل القطر،

فحبذا العيش هناك، فتلك جنته بين أحبابه الذين يحن إليهم أبداً، وهذه قطعة من قصيدة من طوال وحياد قصائده: (١)

الاحبذا شد الركائب صخوة	وللظل في اخفافهن مقيّل
ومذقة ظل بين غصني اراكية	وقد كاد ميزان النهار يميل
ومن شبح نجد نفحة سحرية	تساهم فيها شئال وقبول
ومرئجز بالرعد يرضع درة	نبات رياضي مسهن ذبول
وعاجية عودي ولم تدبر انه	صليب يرد الناب وهو كليل
تخونني زنب الزمان وانه	شروب لاشلاء الكرام اكول
وتامرني بالمال او كي عيابه	وهيهات مني ان يقال بخيل

وهكذا فإن لنجد في شعر الطغرائي نصيب وافر، وكان خير شعره غناء بنجد وأهلها ومرابعها وغيدها الحسان.

نجد هي كتاب المنازل والديار

وجاء ذكر نجد متفرقاً غير مجموع، في ثانيا كتاب أسامة بن منقذ (ت 584 هـ) نذكر ما جاء من ذلك في شعر الشعراء:

قال أبو زياد الطائي: (٢)

أحقاً عباد الله أن لست ناسياً	بلادي ولا قومي ولا ساكناً نجداً
ولا ناظراً نحو الحصى اليوم نظرة	أسلي بها قلبي ولا تحديتاً عهداً
بلادها نيطت عليّ تمائي	وكان بها عصر الصبي نضراً رغداً
بلادها قومي وأرض أجبها	وإن لم أجذ من طول هجرتها بُداً

(1) ديوانه ص 280.

(2) المنازل والديار ص 246.

وقال صدقة بن نافع الغنوي: ⁽¹⁾

ألا ليت شعري هل أسيّر ناقتي
بلاد بها أنضيت راحلة الصبي
فقدنا بها الهَمَّ المَظِلَّ وشُرْبَهُ
بيضاء نجد حيث كان مسيرها
ولأنت لنا آياها وشهورها
ودار علينا بالنعيم سرورها

أنشد المبرد، قال أنشدتني القريظية: ⁽²⁾

سقى الله نجداً من ربيع وصيف
على أنه قد كان للعيش مرة
وماذا تُرجي من ربيع سقى نجدا
وللبئس والفتيان منزلة تحدا

وقال أبو نباتة الكلابي: ⁽³⁾

أزيتك إن نجداً أظ بأهله
وعاد نبات الأرض رطباً كأنه
أمطّل تلك الديار فناظر
وحرّته العليا الغيوث الرواحس
إذا اطردت فيه الرياح الطيالس
إلى أهلها أم أنت من ذاك آيس

وقال أبو تمام: ⁽⁴⁾

شهدت لقد أقوت مغانكم بعدي
فأنجدتكم من بعد إتهام داركم
لعمري لقد أبليتكم جدّة البكا
ومحت كما محت وشائع من بُرد
فيا دمع أنجذني على ساكني نجد
يلاي وجذذتم عليّ بلى الوجد

(1) المنازل والديار ص 247.

(2) المنازل والديار ص 46.

(3) المنازل والديار ص 82.

(4) أظ به: أقام به ولزمه وألح عليه، الرواحس الشديدة الصوت والرعد.

(5) المنازل والديار ص 101، ديوانه 2/ 109.

(6) شهدت: حلفت، محت: أخلقت، الوشائع: خيوط الثوب.

وقال قعنب بن أم صاحب: (١)

قد كنتُ أفصرتُ عن نجدٍ فهيّجني على تذكّرها الحَقَّانُ والحَضَنُ (٢)
لَمَّا وردتُ بِبلادٍ لَسْتُ أَعْرِفُهَا وشاقني ذِكْرُ أُخرى هاجَ لي حَزَنُ
فقلتُ قد حانَ من أرضي وَلِدْتُ بها أوبُّ وقد حانَ من صَرْفِ النَّوى قَرَنُ (٣)
عَلَّ النَّوى بِكَ يوماً أنْ تَريعَ فقد تَذُنو الغريبةَ حَتَّى يَذُنو الوطنُ (٤)

وقال رجل من تميم: (٥)

حَنَّتْ قَلوصي في عَدَانٍ إلى نجدٍ ولم يُنْسِها أوطانها قِدَمُ العَهْدِ (٦)
إِذَا شِئْتُ لاقِيتُ القُلُوصَ ولا أرى لقومي أشبَهاً فيألفُهم وُدِّي

وهكذا كان لنجد في ذاكرة الشعر العربي مكانة مرموقة، فنجد رمز الحنين إلى الوطن والأصل والنقاء، ونجد رمز الحياة البريئة الطاهرة العفيفة الخصبية، ورمز الجمال والحب والعفة، حفظ الله نجداً وساكنيها ومن يحنُّ إليها. وليس هذا كل ما قيل في نجد فهناك شعر كثير في دواوين الشعراء، نكتفي بما مر من شعر بديع رائع.

(1) المنازل والديار ص 210.

(2) خفان: موضع قرب الكوفة، حضن: جبل بأعلى نجد.

(3) القرن: الجمع والاقتران

(4) تريع: ترجع.

(5) المنازل والديار ص 226.

(6) عدان: موضع في ديار بني تميم.

الفصل الخامس

الحنين إلى العراق، وبغداد خاصة

العراق أصل الحضارة ومنبع العلوم وأول بلد عرف العلم والكتابة، وأول من سن القوانين، وكان إشعاع نوره أن ملأ الأرض وعمَّ خيرها بقاع الدنيا، وبعد قرون من أمجاد العراقيين الأوائل عُرفت بغداد درة العواصم وأجمل مدن الدنيا، وأكثرها خيراً وعطاءً، وكانت مدينة المنصور وبقيت على مرور الزمان أم الدنيا ومصدر الإشعاع للخير والعلم، منها شعت أنوار الحضارة، وفيها عرف الفن وزها الشعر، وكانت منارة الدنيا ومقصد العلماء ومهوى الأفئدة، ورغم ما نزل بها من مصائب وكوارث، وما أصابها من اجتياح وعدوان من الهمج الغزاة، فإنها سرعان ما تنهض وتعاود ازدهارها وأمجادها، فيشع نورها وتزدهر حضارتها وعلومها من جديد ليشمل ما حولها من دول وأمم. بارك الله في بغداد أم الخير والأجداد التي يحن إليها كل من زارها أو سكنها أو تنعم بخيرها ونهل من علمها، وما من أحد من العلماء والأدباء زارها أو أقام فيها قليلاً أو كثيراً إلا أحبها وأحب أهلها، وأحب كل خير فيها، فقد زارها كثرة من علماء العرب وأدبائها وشعرائها فأحبوها وحنوا إليها، ولا يُبْزَلُ لها ويحن إليها إلا الكرام الأصلاء الأوفياء ذوو الأصول الكريمة، ودع عنك الطغام اللثام من وحوش الأرض الذين يتربصون بها، ويوجهون إليها سهام الغدر والخيانة والكيد اللثيم.

ولنقرأ الصفحات الخيرة من الشعر الذي قاله فيها المحبون والمعجبون من أهلها ومن زائريها، وشعر الحنين إلى بغداد وأهلها كثير وكثير وسنكتفي بالمختار منه «وحسبك من الفلادة ما أحاط بالحنق»⁽¹⁾

(1) الميداني: مجمع الأمثال 1/ 196.

من القدماء

الأبيوردي

ومن أشهر الشعراء الذين كثر حنينهم إلى العراق، وإلى بغداد خاصة الشاعر الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 507 هـ)، كتب من أصفهان إلى صديقه في بغداد مدينة السلام، من قصيدة طويلة، نظر إلى السماء ورأى البرق يضيء فهيج أشجانه وحنينه، نقتطف منها قوله: ^(١)

أضاء بُرَيْقٌ بِالْعُدَيْبِ كَلِيلُ	فَنَيْيُ نِجَادِي لِلدُمُوعِ مَسِيلُ
تَنَاعَسَ فِي حِضْنِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ	حَسَامٌ رَمِيضُ الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلُ ^(٢)
يُنِيرُ سَنَاهُ مَنْزَلَ الْحَيِّ بِاللَّوَى	وَيُسْنِدِيهِ مِزْزَامُ الْعَشِيِّ هَطُولُ ^(٣)
تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَحَنَّتْ نَوْبَقَةٌ	يُجَاذِبُهَا فَضْلُ الْمِرَاحِ جَدِيلُ
وَبِهَا مَا مِنْ لَوْعَةٍ وَصَابِيَةٍ	وَلَكِنَّ صَبَرَ الْعَبَشِيِّ جَمِيلُ
وَمَا لِي إِلَّا الْبَرْقُ يَسْرِي أَوَالِصْبَا	إِلَى حَيْثُ يَسْتَنُّ الْفَرَاتُ سَبِيلُ

ويذكر حنينه لبغداد وأهلها وما يعانيه من شوق، وينفّس بالبكاء عن لوعة أشجانه:

فَقُلْ لِأَخْلَاسِي يَبْغِدَادَ هَلْ بَكُمْ	سُؤْرٌ؟ فَعَنْدِي رَنْةٌ وَعَوِيلُ
تُرْنُحُنِي ذِكْرَاكُمُ فَكَاثِمَا	نَمِيلُ بِي الصُّهْبَاءُ حِينَ أَمِيلُ
لَسْتُ قَصُرْتُ أَبَا أُنْسِي بِقُرْبِكُمْ	فَلَيْلِي عَلَى نَائِي الْمَزَارِ طَوِيلُ
وَحَوْلِي قَوْمٌ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّي	بِهِمْ — وَهَمْ يَكْتُمُونَ — قَلِيلُ
إِذَا نَشْنُ التَّجْرِبُ عَنْهُمْ تَشَاهَتْ	سَجَايَا كَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ تُكُولُ

(1) ديوان الأبيوردي 1/ 567 — 571.

(2) رميض: حاد.

(3) المرزّام: الغمام المرعد.

وقال يذكر حنينه إلى العراق، ووجده ببغداد وهو في طريقه إليها: ^(١)

عَرَضْتُ نَاشِئَةً الْمُزْنَ لَنَا	فَاسْتَهَلَّتْ مِنْ أَصْنِحَابِي دُمُوعُ
هَزَّهْمَ بِالْمَرْجِ ذَكَرِي بَابِلَ	أَتَمَّا مَرَمَى عَلَى الْعَيْسِ شُسُوعُ ^(٢)
فَتَجَاذَبْنَا عَلَى أَكْوَارِهَا	ذَكَرًا تَنْقَدُ مِنْهُنَّ الضُّلُوعُ
وَسَرَى الطَّنِيفُ فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ	مَقَلَّ لَمْ يَسِرْ فِيهِنَّ الْهَجُوعُ
يَسْتَعِيرُ الْمَاءَ مِنْ أَجْفَانِهَا	عَارِضٌ دَانِي الرَّبَائِينِ هُمُوعُ
وَمِنَ النَّارِ الَّتِي تُضْمِرُهَا	أَضْلَعِي يَفْتَقِسُ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ
لَا تُقْنِئُنَّ الْحَيَا مِنْ إِبِلِ	تَذَرُغُ الْأَرْضَ بِصَخْبِي وَتَبُوعُ ^(٣)
فَارَقْتُ بَغْدَادَ وَالْقَلْبُ بِهَا	كَلِيفٌ، لَا فَارَقْتَهُنَّ النَّسُوعُ ^(٤)
وَبِنَا شَوْقُ إِلَيْهَا وَبِهَا	مِثْلُهُ لَا أَجْدَبْتُ مِنْهَا الرُّبُوعُ
وَعَدْتُ تَمْرِي بِهَا أَخْلَاقَهَا	سُحِبْتُ تَشْرِقُ مِنْهُنَّ الضُّرُوعُ
وَلَكِنْ غَبْنَا فَكَمْ مِنْ ضَاعِنِ	وَلَهُ بَعْدَ تَنَائِيهِ رُجُوعُ
إِنَّمَا نَحْنُ بُدُورٌ وَكَذَا	شَيْمَةُ الْبَذْرِ مَغِيبٌ وَطُلُوعُ

وقال يشكو الغربة ويحن إلى وطنه وقد هَيَّجَ العيدُ أشجانَه: ^(٥)

النَّاسُ بِالْعِيدِ مَسْرُورُونَ غَيْرَ فَتَى	يَشْفُهُ فِي إِسَارِ الْغُرَبَةِ الْحَزَنُ
وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ هَمٌّ لَا يَبُوحُ بِهِ	فَفَرَحَهُ الْمَرْءُ حَيْثُ الْأَهْلُ وَالْوَطَنُ
وَلَا اغْتَرَابَ عَلَيْنَا فَالْبِلَادُ لَنَا	فَتَوَحُّهَا وَبِنَا يُسْتَرْحَبُ الْعَطَنُ ^(٦)

(1) الديوان 2/ 19 — 20.

(2) بابل: مدينة في العراق، حاضرتها الآن الحِلَّة، شسوع: بعيدة.

(3) باع البعير والفرس: إذا مدَّ باعه في سيره، وكذلك ذرع إذا مدَّ راعه.

(4) يدعو على الإبل بالتعب من السير لأنها غَيِّبَتْ عَنْ بَغْدَادَ، والنسوع: السيور العريضة التي تشد بها الرجال على الناقة.

(5) الديوان 2/ 83 — 84.

(6) يقال: فلان واسع العطن، إذا كان رجب الذراع، وأصل العطن: مبرك الإبل، ومريض الغنم.

إذ لم تكن قبلنا بالمجدِ حاليةً
والأرضُ تُزهِى بنا أطرافها فمتى
وتلك دارٌ ورثناها معاويةً
أصبوا إليها وأشواقى تُبرِّحُ بي
فليت شعري وليست غيرُ نافعةٍ
وهل أنيخُ بيبابِ القصرِ ناجيةً
هنالك الهضباتُ الحُمْرُ لو هتكتُ
ولا لها منظرٌ من بغدنا حَسَنُ
نَمِلُ إلى الشامِ يحسُّدها بنا اليمَنُ
لكنَّ كُوفَنَ ألقانا بها الزمنُ^(١)
وتمنعُ العينُ أن يعتادها الوَسَنُ
هل يدُونُ لَعَيْنِي مُنْجِدِ حَضَنُ^(٢)
مُنَاخُهَا فِيهِ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا قَمِينُ ؟
بالمَيتِ راجِعَ فيها روحهُ البَدَنُ

وقال في الحنين إلى الوطن ويشكو البعد والغربة: ^(٣)

ياريمُ ما لي إلا بالهوى سُغْلُ
لولاكِ ما غرقتُ في الدمعِ إذ أرقْتُ
وبالفؤادِ أناةٌ حينَ أجذبُهُ
فَمَنْ لِيَصَبُّ بَكى شوقاً إلى بلدِ
إذا الصَّبَا نَسَمَتْ فافراً تَحِيَّتُهُ
فَمُنِيَّةُ النَّفْسِ حَيْثُ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ
مَدَامِمْ لَمْ يُغَاذِلْهَا الْكَرَى هُطْلُ
إلى السَّلْوِ ولكن أدْمعي عَجْلُ
أَقَمْتُ فِيهِ وَسُدَّتْ دُونَهُ السُّبُلُ
فمالهُ غيرُ أنفاسِ الصَّبَا رُسْلُ
إذا الصَّبَا نَسَمَتْ فافراً تَحِيَّتُهُ

وقد جمع ياقوت الحموي أشعاراً كثيرة وأوصافاً في ذكر بغداد وأهلها وبنائها
وأبنائها ومزارعها وقصورها، فأرشد المتعطشين إلى بغداد وساكنيها بأوصاف وأشعار،
نغترف منها ما تيسر، من ذلك ما قاله الشعراء العباسيون في مدحها والحنين إليها، منهم
عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي (ت 239 هـ) الذي يقول: ^(٤)

(1) ورثناها معاوية: أي من معاوية، والشاعر يعود نسبه إلى معاوية، وكوفن: بليدة صغيرة بخراسان على ستة فراسخ من

أبيورد التي نسب إليها الشاعر الأبيوردي. معجم البلدان: كوفن.

(2) حضن: جبل شامخ بنجد. معجم البلدان: حضن.

(3) الديوان 2 / 118.

(4) ياقوت: معجم البلدان (بغداد) 1 / 460 — 461.

كِبْغَدَادَ مِنْ دَارِهَا مَسْكَنُ الْخَفْضِ ؟
وَعِيشُ سِوَاهَا غَيْرُ خَفْضٍ وَلَا عَفْصٍ
مَرِيءٌ وَبَعْضُ الْأَرْضِ أَمْرٌ مِنْ بَعْضٍ
بِهَا، إِنَّهُ مَا شَاءَ فِي تَخْلِقِهِ يَقْضِي
غَرِيباً بِأَرْضِ الشَّامِ يَطْمَعُ فِي الْعَفْصِ
فَمَا أَسْلَفْتُ إِلَّا الْجَمِيلَ مِنَ الْقَرْضِ
فَمَا أَصْبَحْتُ أَهْلاً هَاجِرٍ وَلَا بُغْضِ

عَلَى تَقْلُبِهَا فِي كُلِّ مَا حِينِ
تَنْدَى وَمَنْبِتُ خَيْرِي وَنَسْرِي
وَحُرْسَتُ بَيْنَ أَوْرَاقِ الرِّيحِ حِينِ
دُفْمِ السَّفِينِ تَعَالَى كَالْبَرَادِينِ
أَنْيَقَةُ بَزْخَارِيفِ وَتَزِينِ
بِالزَّائِرِينَ إِلَى الْقَوْمِ الْمَزُورِينَ
قَضَرُ مِنَ السَّاجِ عَالِ ذَوِ الْأَسَاطِينِ

مِثْلًا قَدْ اخْتَرْتُ شَيْئًا دُونَهُ الْيَاسُ
عِنْدِي وَسَكَانُ بَغْدَادٍ هُمُ النَّاسُ

أَعَانَتَ فِي طَوْلٍ مِنَ الْأَرْضِ وَالْعَرْضِ
صَفَا الْعَيْشُ فِي "بَغْدَادَ" وَاخْضَرَّ عَوْدُهُ
تَطَوَّلَ بِهَا الْأَعْمَارُ إِنَّ غِذَاءَهَا
قَضَى رُبُّهَا أَنْ لَا يَمُوتَ خَلِيفَةً
تَنَامُ بِهَا عَيْنُ الْغَرِيبِ وَلَا تَرَى
فَإِنْ جُزِيتَ بَغْدَادُ عَنْهُمْ بَقَرُضِهَا
وَلَنْ رُمِيتَ بِالْهَاجِرِ مِنْهُمْ وَبِالْقَلَى

وقال عمار بن عقيل أيضاً يصف بغداد: (1)

مَا مِثْلُ بَغْدَادَ فِي الدُّنْيَا وَلَا الدِّينِ
مَا بَيْنَ قُطْرَيْلٍ فَالْكَرْخِ نَرْجِسَةٌ
تَحِيَا النُّفُوسُ بِرَبَّاهَا إِذَا نَفَحَتْ
تَسْتَنُّ "وَجَلَّةً" فِيمَا بَيْنَهَا فَتَرَى
مَنَاظِرَ ذَاتِ أَبْوَابٍ مُفْتَحَةٍ
فِيهَا الْقُصُورُ الَّتِي تَهْوِي بِأَجْنَحَةٍ
مِنْ كُلِّ حَرَّاقَةٍ يعلو فَقَارَتَهَا

وقال ابن زريق الكاتب الكوفي: (2)

سَافَرْتُ أَبْغِي لِبَغْدَادٍ وَسَاكِنَهَا
هِيَ هَاتِ بَغْدَادُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا

وقال آخر: (3)

(1) باقوت 1/ 462.

(2) باقوت 1/ 461.

(3) باقوت 1/ 461 — 462.

أبغدادُ يا دارَ الملوكِ ومُجْتَنَى
صنوفِ المَنى يا مُسْتَقَرَّ المنايرِ
ويا جَنَّةَ الدنيا ويا مُجْتَنَى الغنى
ومَنبَسَطَ الأمالِ عند المتاجرِ

وقال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن يصف بغداد: (1)

سقى الله صَوْبَ الغادياتِ محلَّةً
هي البلدةُ الحسنةُ حُفَّتْ لأهلها
هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصحَّةٍ
ودجلتها شَطَّانٍ قد نُظِّمنا لنا
ثراها كِمِسْكٍ والمياهُ كِفَضَّةٍ
بيغدادَ بينَ الخُلْدِ والكَرْخِ والجُسْرِ
بأشياءَ لا يَجْمَعَنَّ مُذْكَرٌ في مِصْرِ
وماءٌ له طَعْمٌ أَلْدُ من الحَمْرِ
بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قَصْرِ
وحَضَبَاؤُها مثلُ اليواقيتِ والدُّرِّ

وقال أبو نواس الحسن بن هاني (ت 198): (2)

وقائل هل تُريدُ الحَجَّ قلتُ له
أما وَقُطْرُئِلَ منها بحيثُ أرى
فالصالحيةُ فالكَرْخُ التي جمعتُ
فكيفَ بالحَجِّ لي ما دُمْتُ مُنْغَمِساً
وهَبَكَ من قَضَبِ بغدادٍ تُخَلِّصُنِي
نعم إذا قَنَيْتَ لَذَاتُ بغدادٍ
فَقُبَّةُ الفَرْكِ من أكنافِ كِلَواذٍ (3)
شُدَّاذَ بغدادَ ما هُم لي بِشُدَّاذٍ
في بيتِ قَوَادِةٍ أوبيتِ نَبَّاذٍ (4)
كيفَ السَّخْلُصُ لي من طيرِ ناباذٍ؟ (5)

وقال مطيع بن إبّاس الكناني (ت 166 هـ)، يذكر مجلس ترف وطرب في بغداد: (6)

(1) ياقوت 1/ 463.

(2) ديوانه ص 167 ط الغزالي.

(3) الفرك: قرية قرب كلواذ. وكلواذ: أرض أو قرية قرب بغداد.

(4) النَبَّاذ: الذي يعصر النبيذ ويبيعه.

(5) نصف بغداد: لُها ومنتعها. طير ناباذ: موضع بين القادسية والكوفة، والمواضع المذكورة كلها مشهورة بالكروم والحانات.

(6) الأغاني 13/ 326.

ويوم يغداد نَعْمنا صباحه
بيت ترى فيه الزجاج كأنه
يُصَرَّفُ ساقينا ويقطَّبُ تارة
علينا سحيق الزعفران وفوقنا
فما زلت أَسْقَى بين صَنْجٍ ومِزْهِرٍ
على وجه حوراء المدام تُطْرِبُ
نجوم الدُّجى بين الندامى تَقْلُبُ
فيا طيبها مقطوبة حين يقطَّبُ⁽¹⁾
أكاليل فيها الياسمين المذهب
من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وقال علي بن جبلة المعروف بالعمَّوك (ت 213 هـ) وقد ارتحل من بغداد:⁽²⁾

لهفي على بغداد من بلدة
كانت من الأسقام لي جنة
كأنني عند فراقي لها
آدم لئلا فارق الجنة

وفي بعض نساء بغداد وترفهن ونزههن، قيل:⁽³⁾

أها على بغدادها وعراقها وظبائها
وبجالتها عند الفرات بأوجها
متبخترات في النعيم كأنما
نفس الفداء لها فأبي محاسن
والسَّرَّ في أحداقها
تبدو أهلتها على أطواقها
خُلِقَ الهوى العذري من أخلاقها
في الدَّهر تشرق من سنا إشراقها

وباب الطَّاق محلة من محال بغداد، وصفها القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد، بقوله وذكر قصة عبد الله بن طاهر وشعره: «كان بها سوق الطير، فاعتقدوا أن من تعسَّر عليه شيء من الأمور فاشترى طيراً من باب الطاق وأرسله، سهل عليه ذلك الأمر، وكان عبد الله بن طاهر (عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ت 230 هـ) قد طال مقامه ببغداد،

(1) يقطَّب: أي يمزج.

(2) الألويسي: بغداد في الشعر العربي ص 24، ولم يرد البيتان في ديوان علي بن جبلة تحقيق حسين عطوان، ط 3 دار المعارف مصر 1982.

(3) الألويسي: بغداد ص 32.

ولم يحصل له إذن الخليفة، فاجتاز يوماً باب الطاق فرأى قُمريّة تنوح، فأمر بشرائها وإطلاقها، فامتنع صاحبها أن يبيعها إلا بخمس مئة درهم، فاشتراها وأطلقها، وقال: ^(١)
 ناحت مُطَوَّقَةٌ بباب الطَّاقِ فَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِي المُهُراقِ
 كانت تَغَرُّدُ بالأراكِ ورُيّا كانت تَغَرُّدُ في فروعِ السَّاقِ
 فرمى الفِراقُ بها العراقَ فأصبحت بعد الأراكِ تنوحُ في الأسواقِ
 فُجِعَتْ بأفراحٍ فأسبَلَ دمعُها إنَّ الدموعَ تبوحُ بالمشاقِ
 تَعَسَ الفِراقُ وبُتَّ حَبْلُ وتِينِهِ وسقاهُ من سُمِّ الأسودِ ساقِ
 ماذا أرادَ بقصده قُمرِيَّةٌ لم تدر ما بغدادُ في الأفاقِ
 بي مثلُ ما بكِ يا حمامةُ فاسألي مَنْ فَكَّ أَمْرِكَ أنْ يَحُلَّ وِثاقِ

وصحب إسحاق بن إبراهيم الموصلِي (ت 235 هـ) الخليفة الواثق، فقال في الحنين والشوق إلى بغداد: ^(٢)

أتبكي على بغداد وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازدَدَدْتَ منها غداً بُغدا
 لَعَمْرُكَ ما فارَقْتُ بغدادَ عن قَلِي لو أنا وجدنا عن فِراقِ لها بُداً
 إذا ذكُرَتْ بغدادَ نفسي تقطَّعتْ من الشوقِ أو كادتْ تموتُ بها وَجداً
 كفى حَزَنًا أنْ رُحْتُ لم أستطِعْ لها وداعاً ولم أَخِدْثْ بساكِنِها عَهداً

ومن القصائد الذائعة في بغداد والرصافة وجسرهما وما فيها من غزل شائق ووصف رائع رائق قصيدة علي بن الجهم (ت 249 هـ)، وقد جمعها خليل مردم محقق الديوان من مصادر شتى وبلغت ثلاثة وأربعين بيتاً، نكتفي بمقدمتها: ^(٣)

(1) الألو سي ص 33، و الأبيات منسوبة إلى بعض الأدباء في الزهرة 1/ 331 مع خلاف يسير في الرواية ترتيباً ١١٠٠ .

(2) الأغاني 5/ 368.

(3) ديوان علي بن الجهم ص 220 — 223، تحقيق خليل مردم، ط2 دار الأفاق الجديدة، بيروت 1980م.

عيونُ السَّهْمَا بين الرُّصَافَةِ والجَسْرِ
أَعَذَنَ لِي الشَّوْقُ القَدِيمَ ولم أَكُنْ
سَلِمْنَ وَأَسْلَمْنَ القُلُوبَ كَأَنَّمَا
وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ الأَهْلَةُ إِنَّمَا
فَلَا بَذَلُ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَاطِرُ
أَرْخَنَ رَسِيْسَ القَلْبِ عن مُسْتَقَرِّهِ
فَلَوْ قَبَّلَ أَنْ يَنْدُو المَشِيبُ بَدَأْتَنِي
ولكنهُ أودى الشَّبَابُ وَإِنَّمَا

جَلَبْنَ أهْوَى من حيثُ أدري ولا أدري
سَلَوْتُ ولكن زِدْنَ جَمْرًا على جَمْرِ
تُشَكُّ بِأَطْرَافِ المُتَقَفِّةِ السُّمْرِ
تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بَلِيلٌ ولا تَقْرِي
ولا وَضَلْ إِلَّا بِالْحَيَالِ الذي يَسْرِي
وَأَهْبَنَ مَا بَيْنَ الجَوَانِحِ والصَّدْرِ
يَبَاسُ مُبِينٍ أَوْ جَنَحَنَ إِلَى العَذْرِ
تُصَادُ أَلْمَا بَيْنَ الشَّيْبَةِ والسَّوْفَرِ

إلى آخر القصيدة.

وقال ابن الرومي (علي بن العباس ت 283 هـ) يذكر بغداد وخيرها، وكان في

بعض أسفاره: ⁽¹⁾

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ والصُّبَا
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيُهُ
وَلَيْسَتْ فِيهِ العَيْشُ وهو جَدِيدُ
وَعَلَيْهِ أَفْنَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ

وقال محمد بن داود الأصبهاني (ت 297 هـ) يحن إلى الكرخ في بغداد: ⁽²⁾

يَمِيمٌ بِذِكْرِ الكَرْخِ قَلْبِي صَبَابَةٌ
وَلَسْتُ أَبَالِي بِالرَّدَى بَعْدَ فَقْدِهِمْ
وَمَا هُوَ إِلَّا حُبٌّ مِنْ حَلٍّ بِالكَرْخِ
وَهَلْ يَجْنَعُ المَذْبُوحُ مِنَ أَلَمِ السَّلَخِ؟

وأضاف إليهما عبيد الله بن عبيد الله الحافظ بيتين آخرين وهما:

أَقُولُ وَقَدْ فَارَقْتُ بَغْدَادَ مُكْرَهًا
سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ القَطِيعَةِ والكَرْخِ

(1) ديوان ابن الرومي 496/1 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.

(2) ياقوت كرخ بغداد 4/448، والأبيات مع خلاف في الزهرة 1/406، وفيها: ولبعض أهل العصر، ومحمد بن داود هو

نفسه صاحب كتاب الزهرة.

هوايَ ورائي والمسيرُ خلافةُ فقلبي إلى كَرْخٍ ووجهي إلى بَلْخِ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (ت 300 هـ) يحن إلى بغداد ويحزن من فراقها، وقد عَيَّن والياً على اليمن: ⁽¹⁾

أيرحلُ ألفٌ ويُقيمُ ألفٌ
على بغدادَ دارِ اللهوِ مِنِّي
وما فارقَها لقلِّي ولكنْ
الأزوحُ ألافَرَجُ قريبٌ
لعلَّ زماننا سيعودُ يوماً
فبلغ الوزير هذا الشعر فأعفاه.

وفي حبِّ بغداد والحنين إليها يقول علي بن محمد بن خلف النيرماني (ت 414 هـ) مفضلاً بغداد على كل مدن الدنيا: ⁽²⁾

خليليَّ في بغدادَ هل أنتما ليَا
وهل ذرفت يومَ النَّوى مُقلَّتاكُما
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما
فندى لك يا بغدادُ كلَّ مدينةٍ
فقد طُفَّت في شرقِ البلادِ وغرِبها
فلم أرَ فيها مثلاً ببغدادَ منزلاً
ولا مثلاً أهلها أرقَّ شائلاً
وكم قائلٍ: لو كان وُدُّكَ صادقاً
يُقيمُ الرجالُ الموسرونَ بأرضهم

على العهدِ مثلي أم غدا العهدُ باليا
عليَّ كما أمسي وأصبحُ باكياً
إذا ما جرى ذكرُ لمن كان نائياً
من الأرضِ حتى تُخطِّي وديارياً
وسيرتُ خيلي بينها وركابياً
ولم أرَ فيها مثلاً دجلةً وادياً
وأعذبَ الفاظاً وأحلَّ معانياً
لبغدادَ لم ترَحَلْ، فقلتُ جوابياً:
وترمي النَّوى بالمقترين المرامياً

(1) ياقوت 1/ 463.

(2) ياقوت 1/ 464، فوات الوفيات 2/ 75.

وأما القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي (ت 422 هـ)، فقد نبأ به المقام ببغداد، فرحل إلى مصر، فخرج البغداديون يودعون، وجعلوا يتوجعون لفراقه، فقال: والله لو وجدت عندكم في كل يوم مُدًّا من الباقي ما فارقتكم، وأنشد في رحلته هذه أبياتاً فيها حنين إلى بغداد وحسرة على فراقها: ⁽¹⁾

سلامٌ على بغدادَ من كلِّ منزلٍ وحقُّ لها مِنِّي السلامُ المضاعفُ
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها وإني بسطني جانبيها لعارفِ
ولكنَّها ضاقت عليَّ برُحِّها ولم تكن الأرزاقُ فيها تُساعفُ
وكانت كخُلِّ كنتُ أهوى دُؤوهُ وأخلاقهُ تنأى به وتُخالفُ

وشاعر آخر يذكر طيب هوائها وشوقه إليها: ⁽²⁾

طيبُ الهواءِ ببغدادٍ يشوقني قُرباً إليها وإن عاقت مقاديرُ
وكيفَ أرحلُ عنها اليومَ إذ جمعتُ طيبَ الهواءِين: ممدودٌ ومقصورُ ⁽³⁾

وزار أبو العلاء المعري (ت 449 هـ) بغداد بعد أن اكتهل وجاوز شرخ الشباب، وسعد بمجالس علمها، وأثرى مجالسه بآرائه وعلمه وشعره، وقال يتشوق إلى العراق وإلى بغداد من قصيدة: ⁽⁴⁾

كلَّفنا بالعراقي ونحنُ شَرخُ فلم نُلمِّم به إلا كُهولا
ورَزنا ماءً دجَلَةً خيرَ ماءٍ ورَزنا أشرفَ الشَّجَرِ النَّخِلا
ورَزنا بالغليلِ وما اشتَقينا وغايةُ كلِّ شيءٍ أن يزولا ⁽⁵⁾

(1) ياقوت 1 / 462.

(2) ياقوت 1 / 463.

(3) أَرَادَ بِالْمَدُودِ: الهواء، وبالمَقْصُورِ: الهوى وهو الحب.

(4) سقط الزند ص 270 — 272، شرح أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1990 م.

(5) زلنا بالغليل: أي فارقنا العطش.

وقال أثناء إقامته بالعراق يذكر شوقه إلى المعرة، وسروره في إقامته ببغداد: ⁽¹⁾

طَرِينْ لَضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِيغْدَادَ وَهَنَّا مَا هُنَّ وَمَالِي
سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَهَا بِنَارِيهِ مِنْ هُنَّا وَتَمَّ صَوْلِي ⁽²⁾

ويقول فيها:

أَلْخَوَانَنَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجَلَّقِي يَدَ اللَّهِ لَا خَيْرَ تَكُم بِمُحَالِ
أَتَبَّيْتُكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ سَالِمٌ وَوَجْهِي كَمَا يُتَنَذَّلُ بِسَوَالِ
وَأَنِّي تَيَمَّمْتُ الْعِرَاقَ لَغَيْرِ مَا تَيَمَّمَهُ غِيلَانُ عِنْدَ بِلَالِ ⁽³⁾
فَأَصْبَحْتُ عَمُوداً بِفَضْلِي وَحَدَّهُ عَلَى بُعْدِ أَنْصَارِي وَقَلَّةِ مَالِي

ولما ودع أبو العلاء بغداد وأهلها قال من قصيدة: ⁽⁴⁾

أَوَدُّعُكُمْ يَا أَهْلَ بَغْدَادَ وَالْحَشَا عَلَى زَقَرَاتِ مَا يَنْبِئُ مِنَ اللَّذَعِ
وَدَاعَ ضَنْئِي لَمْ يَسْتَقِيلْ وَإِنَّمَا تَحَامَلُ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ عَلَى ظَلْعِ
إِذَا أَطْنَسَعَ قَلْتُ وَاللَّوْمُ كَارِبِي أَجِدُّكُمْ لَمْ تَفْهَمُوا طَرَبَ النَّسْعِ
فِيئَسَ الْبَدِيلُ الشَّامُ مِنْكُمْ وَأَهْلُهُ عَلَى أَتْهَمِ قَوْمِي وَيَسْتَهْمُ زَنْعِي
أَلَا زَوْدُونِي شَرِبَةً وَلَوْ أَنَّنِي قَدَزْتُ إِذْنُ أَفْنَيْتُ دِجْلَةً بِالْجَرْعِ
وَأَنَّى لَنَا مِنْ مَاءِ دِجْلَةٍ نُغْبَةِ عَلَى الْخَمْسِ مِنْ بُعْدِ الْمَقَاوِزِ وَالرَّيْعِ ⁽⁵⁾
وَمَا الْفُصْحَاءُ الصَّيْدُ وَالْبَذْوُ دَارُهَا بِأَفْصَحَ قَوْلًا مِنْ إِمَانِكُمْ الْوُكْعِ ⁽⁶⁾

(1) سقط الزند ص 237 و 242.

(2) طرين: أي الإبل، الوهن: القطعة من الليل، هنأ: ههنا، صوالي: مصطلية، يريد: سمت الأبصار نحو البارق من جهتي الشام والعراق، وأحدثت به كما يحدق المصطلون بالنار.

(3) غيلان: هو ذو الرمة، وبلال: هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقد مدحه ذو الرمة طالباً نيله.

(4) سقط الزند ص 263 — 264.

(5) النغبة: الجرعة من الماء، الخمس والربع: من إضياء الإبل وورودها في اليوم الخامس أو الرابع.

(6) الوكع: جمع وكعاء، وهي التي مالت بإيهاها على ما يليها، والإماء يوصفن بالجهل وقلة العقل.

أدزُتُم مَقَالاً فِي الْحَدَالِ بِالسُّنَنِ خُلِقْنَ فَجَائِبَنَ الْمَضَرَّةَ لِلنَّفْعِ
سَاغِرُضْ إِنْ نَاجَيْتُ مِنْ غَيْرِكُمْ فَتَى وَأَجْعَلُ زَوْأً مِنْ بَنَاتِي فِي سَمْعِي^(١)

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت 463هـ) يُحْيِي بَغْدَادَ وَيَحْنُ
إِلَيْهَا وَيَأْسُفُ عَلَى فِرَاقِهَا:^(٢)

عَلَى بَغْدَادَ مَعْدِنِ كُلِّ طَيْبٍ وَمَغْنَى نُزْمَةِ الْمُتَزُهِنَا
سَلَامٌ كُلَّمَا جَرَحْتَ بِلَحْظٍ عِيُونَ الْمُشْتَهِنِ الْمُشْتَهِنَا
وَمَاحِبُ الدِّيَارِ بَنَا وَلَكِنْ أَمْرُ الْعَيْشِ فُرْقَةٌ مَن هَوِينَا

وشاعر آخر يتشوق إلى بغداد ويجعل فراقها موتاً له:^(٣)

وَلَمَّا تَجَاوَزْتُ الْمَدَائِنَ سَائِراً وَأَيَقُنْتُ يَا بَغْدَادَ أَنِّي عَلَى بُعْدٍ
عَلِمْتُ بِأَنَّ اللَّهَ بِالسَّالِغِ أَمْرِهِ وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ يَنْفُذُ فِي الْعَبْدِ
وَقُلْتُ وَقَلْبِي فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ جَوَى وَدَمْعِي جَارٍ كَالْجَمَانِ عَلَى خَدِّي
تُرى اللَّهُ يَا بَغْدَادَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا فَالْقَى الَّذِي خَلَفْتُ فِيكَ مِنَ الْعَهْدِ؟

ومن القصائد الرائعة التي جمعت بين الحب والحنين إلى بغداد قصيدة ابن زريق

الكاتب البغدادي ، وهي مشهورة ومتداولة نكتطف منها، قال في وداع حبيبته:^(٤)

لَا تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلَعُهُ قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزْتَ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضْرَبُهُ مِنْ حَيْثُ قَدْزَرْتَ أَنَّ اللَوْمَ يَنْفَعُهُ
فَاسْتَعْمَلِي الرُّفْقَ فِي تَأْنِيهِ بَدَلًا مِنْ عَذْلِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مَوْجَعُهُ

(1) الزو: الزوج، أي يجعل أصبعي في أذنيه لتلا يسمع كلام غيرهم.

(2) ياقوت 1/ 463.

(3) ياقوت 1/ 463 — 464.

(4) الكشكول لبهاء الدين العاملي 1/ 118-120، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، وط دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة،

بيروت د.ت. ص 104 — 105.

قد كان مضطرباً بالقطب يحمله
يكفيه من لوعة التفتيد أن له
ما أب من سفرٍ إلا وأزعجه
تأبى المطالب إلا أن تجشمه
كأنما هو من جل ومرحل
فضلعت من خطوب الدهر أضلعه
من النوى كل يوم ما يروعه
رأى إلى سفرٍ بالبين يجمعه
للرزق كذحاً وكم بمن يودعه
موكل بفضاء الله يدرعه

وبين أن سبب رحيله هو الفقر والحاجة، فليرحل طلباً للغنى، على ما في ذلك
الرحيل من فراق للوطن والبعد عن الحبيب:

إن الزمان أراه في الرحيل غنى
وما مجاهدة الإنسان واصلة
قد ورع الله بين الخلق رزقهم
لكنهم كلفوا حرصاً فلست ترى
والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت
والدهر يغطي الفتى من حيث يمنعه
ولو إلى السد أضحى وهو يزعمه
رزقاً، ولا دعة الإنسان تقطعه
لم يخلق الله من خلق يضيعة
مسترزقاً وسوى الغايات تقنعه
بغى إلا إن بغى المرء يصرعه
إزناً ويمتعه من حيث يطعمه

وبعد أن ذكر حب الإنسان للمال غريزة، والرحلة في طلبه مغامرة لا تحمد عقباها، ينتقل
إلى مشهد الفراق، فروحه متعلقة بحبيته، والحبيبة هي الأهل والوطن، فما أشق الفراق
والحبيب يتوسل إليه باكياً متلوغاً أن لا يغادر، ولكن للضرورة أحكام:

استودع الله في بغداد لي قمرأ
ودعته وبودي لو يودعني
كم قد تشفع بي أن لا أفارقه
وكم تشببت بي خوف الفراق ضحى
لا أكذب الله ثوب الصبر منخرق
إني أوسع غدري في جنايته
بالكرخ في فلك الأزار مطلقه
صفو الحياة وإنسي لا أودعه
وللضرورة حال لا تشفعه
وأدمعي مستهلات وأدمعه
عني بفراقته لكن أرقعه
بالبين عني وجزمي لا يوسع

رُزِقْتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يُخْلَعُهُ
وَمَنْ غَدَا لَا بِسَاءِ ثَوْبِ النَّعِيمِ بَلَا شَكَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِعُهُ
اعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خَلِّي بَعْدَ فَرْقِهِ كَأَسَا أَجْرَعُ مِنْهَا مَا أَجْرَعُهُ
كَمْ قَائِلٍ لِي دُفَعَتِ الْبَيْنُ قَلْتُ لَهُ الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَذْنَعُهُ
أَلَا أَقْنَتْ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُهُ لَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أَتْبَعُهُ

ويصف حاله في الغربة وحنينه إلى حبيبته، فليس له إلا السهر واللوعة والبكاء، فهو في ليله قلق أرق لا يستطيع النوم، وليس في قلبه إلا الحزن والشوق والحنين، وهيهات أن تفارقه صورة الحبيب وليس له الآن إلا الحسرة واللوعة والندم:

إِنِّي لَأَقْطَعُ أَيَّامِي وَأَتَفِدُّهَا بحسرة منه في قلبي تُقْطَعُهُ
بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النُّوَامُ بِتُّ لَهُ بَلْوَعُهُ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَفْجَعُهُ
لَا يَطْمَئِنُّ لِي لُجْنِي مَضْجَعٌ وَكَذَا لَا يَطْمَئِنُّ لَهُ مُذْنِبْتُ مَضْجَعُهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامُ تَفْجَعُهُ
حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَا بَيْنَنَا بَيْنِدٍ عَسَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ
قَدْ كُنْتُ مِنْ رَبِّ دَهْرِي جَارِعًا قَرَقَا فَلَمْ أَوْقِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَجْرَعُهُ

وهو في غربته ومحتته يتحسر على ما بدر منه من فراق بغداد والبعد عن الحبيبة، ويحن إلى العودة واللقاء، ولكن هيهات، وإن كان يمني نفسه أن الحب باقٍ بين الحبيبين وما زالت حبيبته على العهد، ولا يملك إلا أن يدعو لها بالخير ويسقي الديم أرضها فقد تركها في في ذمة الله وحفظه، ولكنه يخشى أن يفرقها الموت قبل اللقاء، وما يصنع بعدها بحكم الأقدار؟!

بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسَتْ آثَارُهُ وَعَقَّتْ مُذْنِبْتُ أَزْبَعُهُ
هَلْ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فَيْكَ لَدَّتْنَا أُمُّ اللَّيَالِي الَّتِي أَمَضَّتْهُ تُرْجِعُهُ
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَصْبَحَتْ مَنْزِلُهُ وَجَادَ عَيْنٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُنْزِعُهُ

مَنْ عِنْدَهُ لِيْ عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ
 مَنْ يُصَدِّعْ قَلْبِيْ ذِكْرُهُ وَإِذَا
 لَا ضَيْرَ لَدَهْرِ لَا يُمَتِّعُنِيْ
 عَلِمًا بِأَنْ أَصْطَبَارِيْ مُعَقِّبٌ قَرَجًا
 عَسَى اللَّيَالِيُ الَّتِي أَضَيَّعْتُ بِفُرْقَتِنَا
 وَإِنْ تَغْلُ أَحَدًا مِنَّا مَنِيَّتُهُ
 كَمَا لَهُ عَهْدٌ صِدْقِيْ لَا أَضَيِّعُهُ
 جَرَى عَلَى قَلْبِيْ ذِكْرِيْ يُصَدِّعُهُ
 بِيْ وَلَا يَبِيْ فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ
 فَأَخْبِرُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ
 جَسْمِيْ سَتَجْمَعُنِيْ يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ
 فَمَا الَّذِي بِقَضَاءِ اللَّهِ يَضَعُهُ ١٩

في العصر العثماني

وحين نتقدم إلى العصر العثماني نجد الشعراء يتغنون ببغداد وجمالها ويحنون إلى مرابعها، ويستذكرون تراثها العريق الخالد على مر الزمان، فهذا الشيخ عبد الرحمن زين الدين السويدي (ت 1200 هـ) يحن إلى بغداد ويشوق إلى مسقط رأسه، ومدرج شبابه وهو في دمشق: ⁽¹⁾

لولاك يا بلدة (الزوراء) لولاك	ما أحرق القلب مني شجوة شجواك
سقى أديم الثرى منك الحيا وحبت	سحب الكرائم في التكريم عيبك
واخضر زرعك من دون الربيع ولا	زالت زهورك في صيف ومشتاك
أقول للواكب المنهل من مقلي	أكفف لتنجو من مجراه جزعاك
شأن ما بين "بغداد" و"جلق" مع	إقعاد حظي فحظي مدمع باكي
هيات هيات أن ينجاب لي أمل	به أعلل آمالي للفقياك
أو وآه فلا أنهي التأوه ما	دام التقوه في بعدي لمراك

أما العلامة شهاب الدين أبو الشاء محمود الألوسي (ت 1270 هـ) فكان في اسلامبول، ويحن إلى وطنه بغداد ويشتاق إلى أهله وصبيته شوقاً مبرحاً، يقول: ⁽²⁾

حداني إلى "الزوراء" شوق مبرح	فليس الذي حدثت عن حالها سهل
إذا ما نبت دار السلام بأهلها	فلا جبل يؤوي الكرام ولا سهل
ديار بها نطت علي نمائم	قديماً ولي فيها نما الفرع والأصل
ألا ليت شعري هل أراي بربعها	مقيماً؟ وبالأحباب يجتمع الشمل
وهل روضها يخضر بعد ذبوله	ويتمي على أوراقه الزبل والطل

(1) محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر ط بغداد 1348 هـ، الألوسي: بغداد ص 157.

(2) بغداد ص 165 — 166.

وهل أنا في يوم العروبة قاصدٌ
وهل كل يوم ماسكٌ كفّ والدي
وهل أدباء الجانبين يضمّهم
سلامٌ على تلك الديار وأهلها
فوالله لا أسلو هواها وماءها
أحبّتنا هل من وصولٍ إليكم؟
ألا همّةٌ تزجي ركائب عزمي
ولاني بناديكم على سوء فعلكم

وقال أحمد الشاوي يحن إلى بغداد ومرباعها: ⁴

تذكرت ما بين "الرصافة" والجسر
وعاودني الشوق الذي كنت ناسياً
خليلاً هل عصرُ الشبية راجعٌ
تركنا خيول الجهل فيه مغيرةً
لكل فتى يُعطي الخلاعة أهلها
حنائيك لا تكثير من اللوم إني
إذا المرء لم تأب الذنبيات نفسه
وإن لم يكن بالشئب للمرء زاجرٌ

عهد الصبا فاشتاق قلبي للذكر
لستغدى فزاد القلب جمرأ على جمر
إلينا "بكرخايا"؟ وناهيك من عضراً
على اللهو واللذات من غير ما يشير
بيوم به للكاس ما شئت من كسر
كفتني من اللوم الملامة لوتدري
فقل لي: لماذا سُمي الحُرّ بالحُرّ؟
عن اللهو واللذات لاخير في المرء

(1) يوم العروبة: يوم الجمعة، الباز: لقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ويلقب أيضاً بالباز الأشهب.

(2) يريد بوالده: جده. لأمه الشاعر الفقيه الشيخ حسين العنّاري.

(3) اعتاد الأدباء والعلماء في العراق إلى عهد قريب، وخاصة ببغداد أن يجتمعوا في مجالس العلم والأدب في أحد بيوت الأدباء أسبوعياً، ويسمى هذا الاجتماع (القبول)، يتحاورون في أمور الأدب والكتب والسياسة ويتناشدون الأشعار وغيرها.

(4) الألوّس: بغداد ص 167.

(5) المرء: أي المرء.

ويعبر الشيخ عبد الحسين محيي الدين النجفي (من شعراء المائة الثالثة عشرة) عن شوقه وحنينه إلى بغداد وأهلها وأيام الفتوة والصبا، يقول: ⁽¹⁾

هي الدائر بالزوراء هلاً نزورها	فقد راق منها وفورها ونزورها
معرس أيام الصبا وعراضها	وأوطأ أيام التصابي وذورها
معاهد لا أنسى لها عهد أنسها	وإن سلفت أعوامها وشهورها
يروقك منها نافرات ظيائها	وأحسن مازان الأطباء نفورها
رباع الظبا "بالكرخ" بوركك أربعا	سقاكن من صوب الغوادي مطيرها
وزارك معتل النسيم وجدا	مربع معتل النسيم يزورها
مغان عليها البغنلقى رواقه	ودام على مر الليالي حبورها
نضيء فإما بازغات شمسها	لديا وإما ساطعات بدورها
فيا صاحبي، عج بي إليها فإنها	إلى الحلد والغيد الكواعب حورها

ومن تبريز يحن ويشتاق إلى بغداد السيد راضي القزوين، فقد سئم بلاد العجم ولكنه أهلها: ⁽²⁾

أحببتنا بزوراء العراق	لقد طال النوى، فمتى التلاقي؟
فما تبريز للفصحاء ماوى	وأين الترك من عرب العراق

(1) عمود شكري الألويسي: أخبار بغداد، الألويسي: بغداد ص 169.

(2) الألويسي ص 170.

ويتحسر عبد الغني الجميل (ت 1279هـ) على بغداد وما أصابها من الخراب والهوان على يد الأتراك العثمانيين، وكيف كانت في عصورها الزاهرة وكيف عادت في هذا الزمن الرديء: ⁽¹⁾

لهفي على بغداد من بلدة	قد عَشَّشَ العِزُّ بها ثم طاز
كانت عروساً مثل شمس الضحى	لمستعير حليها لا يُعاز
كانت بها للنفس ماتشهي	كجَنَّةِ الخلدِ ودارِ القراز
كانت لآسادِ الوغى منزلاً	والخائفُ الجاني بها يُستَجاز
كانوا يميطنون الأذى أهلها	عن كل آتٍ حيَّها مستطاز
واليوم لا مأوى لذي فاقة	فيها ولا في أهلها مستجاز
واليوم قد حلَّ بها من ترى	فانقر ولا بيدك الخياز
لم يرقبوا إلا ولا ذمَّةً	فينا ولا عذراً لذي اعتذار
حلَّ بها قومٌ وهم في عمى	ما ميَّزوا أشرارها والخياز
وأصبح القردُ بها مقتدى	يلعبُ بالألبابِ لعبَ القماز

(1) أبو التناء الألويسي: غرائب الاغتراب ص 211-112، ط مطبعة الشابتندر، بغداد 1327هـ، يوسف عز الدين: الشعر العراقي، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص 153-154، ط الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965م، جمال الدين الألويسي: بغداد ص 163-165.

في العصر الحديث

وفي العصر الحديث — بعد العصر العثماني — يتغنى الشعراء ببغداد وحب بغداد ومرايعها الجميلة وأصالتها وأنهارها وبساتينها، ومن أكثر الشعراء الذين حنوا إلى بغداد وتغنوا بجمالها عبد المحسن الكاظمي (ت 1935م) وكان مقيماً في مصر هرباً من جور الأتراك العثمانيين وملاحقتها له وكان عمره عشرين عاماً، وأقام في مصر وشارك في الحياة الأدبية وكانت له صلات ودّ ورعاية من كبار أدبائها وعلمائها من مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبدة، ومصطفى عبد الرزاق، وغيرهم من كبار العلماء والأدباء، وتزوج بسيدة مصرية هي عائشة بنت محمود التونسي سنة 1915، وله منها ابنته الأدبية رباب، وتوفي في مصر سنة 1935 ودفن بمصر الجديدة، وتنهت الحكومة العراقية إلى مكانته، فرأت أن تكرم الشاعر وتبني له ضريحاً لائقاً في مقبرة الإمام الشافعي في القاهرة، ونقلت رفاته في حفل يوم 1 مايو سنة 1947⁽¹⁾.

ومن شعره الذي يذكر فيه حنينه وشوقه إلى العراق من قصيدة طويلة يذكر فيها رحلته من العراق وأسفاره حتى حلّ بمصر واستقراره فيها، ومطلع القصيدة:⁽²⁾

جوى أودى بقلبك أم وجيبُ غداةً حذا بك الحادي الطروبُ
بعدت عن الديارِ وصرت تدعو على البعدِ الديارَ ولا مجيبُ
رحلت وأنت للعلياء صادٍ تحومُ على المواردِ أو تلوبُ

ويعاتب نفسه على غربته وهو يبكي، ويعبر عن حنينه إلى وطنه ودياره ويتحرق شوقاً إلى كل من في الوطن وما في الوطن:

(1) رفايل بطي: عبد المحسن الكاظمي، ضمن ديوان الكاظمي ص 293 — 301، وانظر: الأدب العصري في العراق

العربي، لرفايل بطي، ط مصر 1923م.

(2) ديوان عبد المحسن الكاظمي ص 58 — 68، الأعمال الشعرية الكاملة، تحقيق حكمت الجادرجي، ط دار الحكمة،

لندن 2002م.

وفي مصر أراك وأنت لاه
فكم وإلى م تنحب ثم تبكي
وتشرب ماء جفرك وهو ملح
كان الدمع ينطف وهو قان
دع الأنفاس تصعد محرفات
لقد بان الخليط فلا خليط
وقلبك في العراق جوى يذوب
ولا يجدي البكاء ولا النحيب
ووزدك بالحمى عذب شروب
عصارة كزمية والجفن كوب
وخل الدمع من علق يصبوب
وقد بُعد الحبيب فلا حبيب

وفي آخر القصيدة يذكر العراق ومدنه، وبغداد وما فيها من أئمة آل البيت الذين
يُستغاث بهم:

وأصبر للحمى بجميع قلبي
سقى "الأنبار" كل أجش هام
لترتاح النقية يوم تُحدي
فخذها واشفقن لها عساها
إذا هي بالجرادين استجارت
إذا ما تحبب الثقلان ظني
وإن لم تسجلي بهما كروبي
كذا فليضب للوطن الغريب
وجاء "الكرخ" ماطرة الصيب
كأن صفيحاً حادياً نقيب
تري منجاة عنها الذنوب
تفتح دون بغيتها الدروب
فلي بهما ظنون لا تحيب
إذن قل لي بمن تجلي الكروب؟

وفي قصيدة ثانية يذكر حرب الانجليز والترك، ويطمئن على بغداد وما أصابها،
ويحمن إلى مدنها وأهلها: (١)

عسى "بغداد" بوقظها بياني
مضى أمس فلا يرجى لأمس
فلا العهد الدميم له يباقي
فتقرأ فيه أبكار المعاني
مآب أويؤوب القارظاني
ولا الذكر الحميد لنا بفاني

وقلبه مع بغداد يريد أن يطمئن لما أصابها، فمصيبتها مصيبتها، ويفرح لانجلاء الغمة عنها من حكم جلاوزة الترك، وإن كان قد حلّ مكانهم حكم بغض آخر هو حكم الانجليز:

غداة دنا النفير وما عراني	هل الزوراء تعلم ما عراها
أحاذر أن أبوح بما أعاني	أبوح بما أكنّ وكنّ دغراً
بلاعجه الحنين فقد كواني	إذا ما قيل "بغداد" كواها
أسعدني المداجي أم لحاني	أشاطرها الحنين ولا أبالي
فديني أوّل و "الكرخ" ثاني	ومن شاء الوقوف على اعتقادي
وليت "الكرخ" يسمع أويراني	أحب "الكرخ" أسمع أو أراه
وما أهوى سوى غرر المجاني	وأهوى في "الرصافة" ما جئتُه
فلا كذب البشير بما أتاني	أتاني أن "بغداد" أريحت
فمن بكر تشبّ ومن عوان	أريحت من ليالٍ كنّ ناراً

ويختتم قصيدته الطويلة بالإقرار بحب بغداد التي لا بديل لها فهي في أعماق قلبه ويفنى فيها حباً:

بحبك سالك سُبُل التفاني	أ "بغداد" ابشري وثقي بآني
بغير هوائٍ عيشي ما هنائي	ولو أعطيتُ ملك الأرض طُراً
لكان الشيسبُ أوّل من هنائي	ولو آتي انتهيتُ بغير حقّ
لكان الدهرُ أطوع من بنائي	ولو أني أطعتُ يدي وعزمي

وفي قصيدته (أنين وحنين) يعبر عن حبه للعراق داراً وأهلاً وهذا الحب قد ملك نفسه وفكره وظهر جلياً في شعره، يقول: ^(١)

(١) الديوان ص 113 — 114.

سكنُ بالحِمْيَ بعيْد مداهُ
من يُكْنِي عن العراقِ بليلاً
إنَّ لي في العراقِ داراً واهلاً
إنَّ أردتم شرحَ الهوى فاقروهُ
ليس قلبي بغيره مسكونا
هـ يراني بحبه مجنوناً
تنبو عنها الديارُ والأهلوناً
في جيبني حواشياً ومتوناً
فقدادي في الكرخِ ظلُّ رهينا

ويذكر الخطوب التي نزلت بالعراق وجعلته في فوضى وتأخر، مقارنة عما كان للعراق من حضارة زاهية في العصور العباسية، وقد بنى تلك الحضارة المأمون وأمثاله، ويستطرد إلى ذكر تلك الأجداد بحب واعتزاز:

أكذا تصبُحُ الخطوبُ وتُسي
أين باني بغداد أين مباني
أين مأمونها المؤسسُ فيها
دولة تنبُثُ الظباء أسوداً
دولة تنتهي العلومُ إليها
ما قرأنا تاريخَ بغداد إلا
أقصري الشكوى يا ربوع المعالي
لم يُخْنِكِ الأمينُ يومَ تولاً
كان للعدلِ من ثراكِ نصيبُ
إيه بغدادُ لا تسوكِ الليالي
أنت في العِزِّ أوَّلُ وأخيرُ
سيقولُ الرواةُ عنكِ أخيراً
ويزولُ البناءُ والبانونا
عزها أين أهلها الصالحونا
دولة من غراسها الأفضلونا
فيسامي بها الكناسُ العرينا
وتُباهي فيها الفنونُ الفنونا
وقرأنا دنيا تروقُ ودينا
ربُّ شكوى سرتُ فكانت أنينا
كُ ولكنكِ ائتمنتِ الحقوناً
عبثتُ فيه إثرةُ الحاكمينا
وسيعنو لمجدكِ الحاسدونا
مفخرُ الأولينِ والآخرينا
مارواة عن مجدكِ الأولونا

ومن قصيدة طويلة أنشدها في الحفلة التي أقامها الشيخ عبد القادر باش أعيان العباسي سنة 1921 في فندق شبرد بالقاهرة لتكريم جعفر باشا العسكري وزير الدفاع في

حكومة العراق يومذاك، وبعد أن يتغنى بالأجداد الغابرة يذكر بغداد ويحن إليها ويحييها ويتمنى العودة إلى مغانيها وأهلها ويستعيد أيام صباه فيها، يقول^(١)

أبغدادُ لا فاتك مني تحيةً يُقَسِّرُ منها ما أرادَ المُقَسِّرُ
حينئذٍ إلى تلك البقاعِ إلى التي تطيبُ إلى تلك التي هي أطهرُ
حينئذٍ إلى الزورا حينئذٍ إلى الصُّبا حينئذٍ إلى العودِ الذي هو أنضرُ
حينئذٍ إلى تلك القرى وإلى الذي يُعَشِّي بهاتيكِ القرى ويُنَكِّرُ
حينئذٍ إلى أرضٍ حيثُ بُزِّيها وياليتني في ذلك الثَّرْبِ أَكْبَرُ
هناك شبابي قد تقضى وهامنا مشيبي وفي الحالين أشكو وأشكرُ
لقد زعموا أني نسيْتُ وأنني غدوتُ بهذي دونَ تلك أَفْكَرُ
وكيف تراني ناسياً ذكرَ موطنٍ له موردٌ في كلِّ سمعٍ ومصدِرُ
لئن غَيَّرْتُ مني الليالي ملامحاً فإنَّ الخِلَالَ الغُرَّ لا تتغيَّرُ

أما الرصافي (معروف بن عبد الغني الرصافي البغدادي ت 1364هـ / 1945م)

فقد كان في غربته يحن إلى بغداد، ويشتاق إلى أمه فهو يناجيها ويناجي وطنه: ^(٢)

لعمرك أقصاني الزمانَ المَفَرَّقُ فهل أنا من بعد التشاؤمِ مُعْرِقُ^(٣)
خليلي هل مَن بالرُّصافةِ عالمُ بأنِّي إلى مَن بالرُّصافةِ مَشِي
بلادُ إذا ما هبَّت الرِّيحُ نحوها تَمَيَّتُ لو آتَى بها أَتَعَلَّقُ
أبيتُ على شوقٍ وقلبي موثَّقُ بهِمِّي ودمعِي فوقَ خَدَيِّ مُطْلَقُ
إذا ما تذكرتُ العجوزَ بكيتها بدمعٍ بهِ الأهدابُ تطفو وتغرقُ
وما شَرَّقِي بالدمعِ يا أمَّ وحدَه ولكن بروحي عند ذكراكِ أَشْرُقُ

(1) الديوان ص 203 .

(2) ديوان الرصافي ص 357 المجموعة الكاملة، ط دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت .

(3) معرق: ذاهب إلى العراق.

ويهبو بقلبي الشوق حتى كأنما
فيا أم صبراً إن لابلنك همة
تضايق عنها الدهر مستعظماً لها
أكلّف منها الدهر ما لا يطيقه
لقد صغرت بغداد عن أن تضمها
وما وسعتها بعد بغداد جلت^(١)

وكان قد فارق بغداد سنة 1922م بعد ما لقي من ضيم وهوان، وعاش في بيروت
وقرر أن يكون مقامه هجرة، ولكن روحه كانت متعلقة ببغداد، فقال يعاتب ويناجي
ويجن ويصف الحال: ^(٢)

هي المواطن أدنيها وتقصيني
قد طال شكواي من دهر أكابده
كأنني في بلادتي إن نزلت بها
حتى متى أنا في البلدان مغترب
أنا ابن دجلة معروفاً بها أدبي
قد كنت بلبلها الغريد أنشدها
حيث الغصون أفلتني مكللة
مثل الحوادث أبلوها وتبليني
أما أصادف حراً فيه يشكيني
نزلت منها بيت غير مسكون
نوائب الدهر بالأنياب تذهيني
وإن يك الماء منها ليس يرويني
أشجى الأناسيد في أشجى التلاحين
بالورد ما بين أزهار البساتين

ويذكر ما لقي من مطاردة وعذاب من قبل الأجني الحاكم فاضطر إلى الهجرة
والاغتراب:

فبينما كنت فيها صادحاً طرياً
إذ حلّ فيها غراب كان يوحشني
أستنشق الطيب من نفح الرياحين
وكان تنعابهُ باليين يؤذيني

(1) السوذق: الصقر أو الشاهين.

(2) جلق: دمشق.

(3) الديوان ص 426 — 247

حتى غدوت طريداً للغرابِ بها وما غدوت طريداً للشواهين
فَطَرْتُ غَيْرَ مَبَالٍ عِنْدَ ذَاكَ بِمَا تركتُ من نرجسٍ فيها ونسرين

ويبكي حظه على ما آل إليه أمره، فقد تغرَّب عن بلده لما لقيه من عنت وهوان،

وصار أمر بغداد بيد الأعاجم والوصوليين، فأثر الغربة وهو ينفث همًّا وحسرة:

ويلٌ لبغدادَ مما سوف تذكره عني وعنهما اللبالي في الدواوين
لقد سقيتُ بفيض الدمعِ أُرْبَعَهَا على جوانبٍ ودٌ ليس يسقيني
ما كنتُ أحسبُ أني مُذْ بَكَيْتُهَا قومي بكيتُ على من سوف يبكي
أفي المروءة أن يعتزَّ جاهلُها وأن أكونَ بها في قبضةِ الهونِ
عاهدتُ نفسي والأيامُ شاهدةٌ ألا أقرَّ على جورِ السلاطينِ
ولا أصادقُ كذاباً ولو ملكاً ولا أخالطُ إخوانَ الشياطينِ
أما الحياةُ فشيءٌ لا قرارَ له يحيا بها المرءُ موقوتاً إلى حينِ
سيانٌ عندي أجاء الموتُ مخترماً من قبل عشرين أم من بعد تسعينِ
ما بالسنين يقاسُ العمرُ عندي بل بما له في المعالي من تحاسينِ
ما كنتُ أحسبُ بغداداً تحلُّني عن ماء دجلتها يوماً وتظمني
حتى تقلَّدَ فيها الأمرَ زِعْفَةً من الأناسِ بأخلاقِ السراحينِ⁽¹⁾

(1) تحلّني: تمنّني وتطرّدني. الزعفة: من أراذل القوم. السراحين: الذئاب، جمع سرحان.

الصافي النجفي

وكان من أكثر الشعراء العراقيين الذين عاشوا الغربة وعانوا لوعة الحنين الصافي النجفي عاش الصافي حياة بؤس وحرمان وتشرد، توفي والده وهو صغير في الحادية عشرة من عمرة، وشهد موت أمه وهي تعاني من آلام الكوليرا، ورأى مشاهد الحزن والبكاء على أمه من نساء الأهل والجيران، وكان هو نحيفاً ضعيفاً مريضاً، عاش في العراق فقيراً بائساً يقول الشعر الحزين الذي يصور البؤس والكدح والمرض، ثم رحل إلى دمشق يتسكع في المقاهي وينام في المساجد، يعاني الفقر والحرمان، وقد عبر عن حاله وغربته بقوله:

أنا في الشام أحس غربة أوجه ماذا أقول إذا رجعت لداري
يتم الرجوع لموطن منه اختفى ما فيه من دار ومن ديار

وذهب إلى بيروت وسجن سنة 1941، وعاش بعد ذلك متشرداً وقد أثقلته سنوات العمر، وكان في تشرده يتحدى ثقل السنين، يقول:

سني بروحي لا بعد سنين فلا سخرن غداً من التسعين
عمري إلى السبعين يركض مسرعاً والروح ثابتة على العشرين

عاش الصافي النجفي ستاً وأربعين سنة في الغربة، ولكنه لم ينسَ وطنه وكان يتجرع آلام الغربة ويغمره الشوق والحنين إلى الوطن، يقول في غربته:

لقد تغربت حتى نسيْتُ كلَّ قريبٍ
فإن رجعتُ لأهلي رجعتُ مثلَ الغريبِ
سلكتُ كلَّ الدروبِ ألفتُ كلَّ الكروبِ
فغربة الدارِ داري والأهلُ صحبُ الدروبِ

ومع تصبُّره وتحمله آلام الغربة فهو حين يتذكر الأهل والوطن يحن ويبكي:

جُرْحُ التَّغْرُبِ فِي فُؤَادِي بِالْغُ
أَلْقِي عَلَيْهِ بِلِسْمِ النِّسْيَانِ
فَتَفْجَرُ النِّسْيَانُ عَنْهُ وَأَصْبَحْتُ
لِلْجُرْحِ تَهْمَلُ بِالدُّمَا عَيْنَانِ

ويحن إلى الأهل والوطن، وينفس عن أحزانه بمثل هذا الشعر:

تَوَالَتْ عَلَيَّ النَّائِبَاتُ مَغِيرَةً
فَلَمْ أَرْغِيرَ أَهْمٌ يَصْدُمُ بِالْهَمِّ
وَكَمْ مِنْ جُرُوحٍ فِي فُؤَادِي تَغْلَغَلْتُ
أَرُومُ الْبُكَامِنَا فَأَخْجَلُ مِنْ عَزْمِي
وَأَعْمَقُ جُرْحٍ فِيهِ جُرْحُ تَغْرُبِ
يَحْنُ لِدَارِي دَائِباً وَبَنِي أُمِّي
فِيَا لِبَيْتِي حِينَا نَسِيتُ تَجْلُدِي
لِيُطْفِئَ دَمْعِي مَرَّةً لَهْبُ الْغَمِّ
فَكَمْ زَفْرَةٌ أَخْفَيْتُهَا عَنْ عَزِيمَتِي
فَبَاتَتْ جَحِيماً تَحْرِقُ الْعِظَمَ كَالْفَحْمِ
وَكَمْ وَجْهَةٌ بِالْعَاصِفَاتِ تَبْطُنُ
نَسَجْتُ مِنَ الْعَزَمِ الْقَوِي حَشَاشَتِي
وَكَمْ بَسْمَةٌ فِيهَا دَمْعُ الْحَشَا تَهْمِي
وَجَدَّدْتُهَا إِذْ أَخْلَقْتُهَا يَدُ السَّقَمِ

وهو في صيدا حين يتأمل نخيلها الوارفة يتذكر نخل الفرات في الكوفة، فتهيج أشجانه ويذكر غربته فيحن إلى أهله وأحبابه ووطنه، وهي من قصائده الجيدة الرائعة النابعة من قلب فيه حنين واشتياق إلى الوطن والأهل والأصحاب: "١

يَا نَخْلَ صَيْدَاءَ لِي هَيَّجَتْ أَشْجَانَا
ذَكَرْتُ مِنْ وَطَنِي أَهْلًا وَجِيرَانَا
مَا لَاحَ طَلْعُكَ لِي إِلَّا وَذَكَّرَنِي
رَبِيعَ رَيْفِي بَطْلَعِ النَّخْلِ مَزْدَانَا
هَلِ الرَّبِيعُ مَعِيدٌ عِنْدَ رَجْعَتِهِ
رَبِيعَ عَمْرِي وَعَمْرٍ الصَّحْبِ رِيَانَا
وَمَا أَرَى الطَّلَعَ إِلَّا رُوحِي اخْتَنَقَتْ
بَعْبَرَةٌ لَا تُرِيدُ الدَّمْعَ عَنَانَا
هَيْهَاتَ يَفْصَحُ دَمْعٌ عَنْ كَابِتِهَا
وَعَنْ فُؤَادٍ بِدَمْعِ الْعَيْنِ مَلَانَا
وَلَيْسَ شَعْرِي إِلَّا الْبَعْضُ مِنْ حَمِّ
تُنْيِكَ أَنَّ هَذَا الْقَلْبَ بَرَكَانَا
كَمْ ذَكَّرْتَنِي بِسَاتِينِ النَّخِيلِ هُنَا
مِنْ نَخْلِ رَيْفِي جَنَاتٍ وَيُسْتَانَا

(1) المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة، قدم لها جلال خياط ص 424 - 425، ط وزارة الإعلام،

بغداد 1977، الاغتراب والعبقريه ص 101.

وكم دعيتي وأغرثني لأدخلها حتى آلاقي بها أهلاً وخُلاًناً
يانخل صيداء قد أشعلت نيرانا بقلب ناء بعيد الدار ولاننا

وتذكره هذي النخيل بنخيل العراق وأيام الطفولة حيث أصحابه الصغار الذين
مرت أزمان ولا يدري هل ما زالوا فوق الأرض، أم عادوا ذكرى من ذكريات القبور ١٩

فهو يبكي ويحن لذكريات الماضي الجميل:

ذكرتني نخل ريف قد نشأت به
كم رقدة لي بظل النخل ناعمة
تلك التسيئات في خدي تُداعيني
يظل فيها خيالي سارحاً مرحاً
هذا شعوري دون العشر من عمري
ولست أنهض إلا حين يلدعني
تلك الملاعب هل يوماً أعود لها
نصطاد أطفال أساك تشابهنا
نشكهن بأعواد لنشويتها
ملتهوجين لها عجلي لناكلها
أخشى إذا عذت لا ألقى لهم أثراً
وإن يكن أحد باقي سينكرني
فلتبس ذكراهم في القلب عائشة
فما الحياة سوى وهم نعيش به

هل ذلك النخل باقي مثل ما كانا ؟
من نصف قرن تراها مقلتي الآن
وتعزف الريح بالأغصان الحانا
فأغمض العين بالألحان نشوانا
هذا هو الشعر لا ما أنظم الآن
حر الظهيرة لم أعدوه سرعانا
أرى بها من لدات العمر إخوانا
مُعكرين لذلك الصيد غدرانا
موجبين من الأغصان نيرانا
مخلوطة برماد الأرض أحيانا
إذ أصبحوا تحت هذي الأرض سُكَّانا
فالدهر قد غيّر أشكالاً واللوانا
تُبدي لدي شيوخ الصحب ولدانا
يحكي الحقيقة تزويراً وبيئانا

وغربة النجفي غربة عن الوطن، وغربة في فكره وطباعه، فهو يرى أنه وحيد بين

الناس في مشاعره وأفكاره، غريب في هذا المجتمع وهذا العصر: (١)

(١) المجموعة الكاملة ص 87 .

أراني مدى الأيام تزدادُ وحدتي ويُنْعِدُ صَحي عَليّ المتحرُّرُ
لقد عطَّلوا تفكيرهم فتجمعوا وأفردني في الناسِ أني أفكُرُ
ومن قال شعري، كيفَ ينجو من الوري بأن يشعروا بعضَ الذي هو يشعُرُ
قضى لي تفكيري الوحيدُ بوحدتي سأشكُرُ ربي في عطاءه وأصبرُ

ويرى أنه غريب في هذا العالم لا يتواءم وإياه، فهو من نبتة ليست من هذه الأرض،

وهو طير محلق بعيد عن كل هذه الديار: ⁽¹⁾

غريبٌ ولو ما بينَ أهلي وخُلَائي غريبٌ لأنني جنْتُ من عالم ثانٍ
دليلي ثماري، وهي لم تكُ تنتمي لبُستانهم لكن إلى غير بُستانٍ
أعيشُ بهم في الأرضِ ثم أعافهم ملالاً فأعلو نحو عثي وأغصاني
أنا الطيرُ، عيشُ الأرضِ والمشْيُ متعبٌ لروحي، فالتحليقُ في الجوِّ من شاني
ولو أنني أبصرتُ فيهم مخلَقاً يُرافقني ما عفتُ أهلي وأوطاني

وفي قصيدته (على المفترق) يبين سيرة حياته وسبب تغربه وحيرته فيما يفعل، هل

يتجه إلى العلم الديني والاجتهاد متبعاً خطوات العالم الفقيه جده لأمه، أم يتجه إلى السياسة حيث المحتل الأجنبي يربض على صدر الوطن؟ أم يكون شعره هو الشغل الشاغل، فأسهم في السياسة في ثورة العشرين ولما كثرت ملاحقات الأجنبي وعملاؤه هرب إلى إيران، وعاش هناك تجربة الغربة، وعاد إلى الوطن وعادت الأمراض تنهش جسمه النحيل، فنُصح أن يرحل إلى بلاد الشام فجوها دواء لصحته وعاش هناك طويلاً، ولكنه كان مستوحشاً تنهشه الغربة ويحدوه الحنين: ⁽²⁾

(1) المجموعة الكاملة ص 123.

(2) المجموعة الكاملة ص 172 - 173.

بمفترق للطرق كانت ثلاثة
فإما علوم و(اجتهاد) مشايخ
وأما اشتغال بالسياسة منقذ
أو الشعر شغلاً وهو مهنة عاجز
وقفت وفيما بينها حار بي الفكرُ
كجدي لأمي وهو ذلك الحَبْرُ^(١)
ببلاداً غزاها أمسي مستعمراً قذُرُ
كسولٍ وتأبأه مطاعمي الكُثُرُ

ولكنه أسهم في السياسة وبعد فشل الثورة هرب إلى إيران وعاش الغربة هناك ثم عاد إلى الوطن وعاش مريضاً معوزاً:

وكان لي سهمٌ بإشعالِ ثورة
وعُدْتُ إلى الأوطانِ من بعد غربةٍ
وقلست: مستجدي تجرياتي موطني
فعادت لي الأمراضُ تنهشُ بُنيّتي
فعدتُ طريحاً والمنى حولَ مفرثي
رمتُ بي إلى إيرانِ إذ فاتني النصرُ
بها التجرباتُ الكُثُرُ والحلُّو والمُرُّ
وأسعد في أهلي ويسمُّ لي الدهرُ
وساعدها الحرمانُ والعيشةُ الصُّفْرُ
مُطرَّحة تبكي وأشعاري البُكْرُ

وعالجه طيب نصحه بأن جو العراق لا يلائمه حيث الحر اللاهب، ونصحه بالرحيل إلى الشام، ولم يرَ بأساً في الرحيل، فكل بلاد العرب بلاده، قسمها الأجنبي، فرحل:

إلى أن أتاني من يد الله منقذُ
فوجهتُ سيري للشامِ وكلُّها
وأملتُ أن أشفى بطيبِ هوائها
فقمْتُ وفي الكفين من صحتي عُثْرُ
بلادي وتقسيمُ البلاد هو الكُفْرُ
ولُطفِ أهاليها وهم فتيةٌ عُرُ

وكان يؤمل فيها الشفاء ولكنه بقي عليلًا هزيلًا، ووجد في شعره ما يشغله وفيه شفاء نفسه وتنفيس عن همومه وغربته:

(١) جده هو محمد حسين الكاظمي مرجع الشيعة في وقته، صاحب كتاب: هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام، توفي سنة

فلم يكتمل فيها الشفاء ولم أنل بها ما توخى العزم وانتظر العُمُرُ
فلم يك غير الشعرِ شغلي وسلوتي وقد زخرت منه دواويني الكُثُرُ
فما كسبت مني السياسةُ عاملاً ولا العلمُ لكن راح يكسبني الشعرُ

ويعود بعد غربة طويلة قاسية إلى بغداد ويحدوه إليها الحنين: (١)

يا عودة للدار ما أقساها أسمع بغدادَ ولا أراها

وقد سئم الغربة وأحبَّ العودة إلى بغداد، وهل مثل بغداد ما يباثلها، إنها الدنيا

وهي وحدها البلاد:

قد كفاني تَغَرُّبٌ وابتعادُ عاتبتني بحُسْنِها بغدادُ
أين تبغي دنيا وتبغي بلاداً أنا وحدي الدنيا ووحدني البلادُ

وفي بلاده وبين أحبابه لفظ أنفاسه الأخيرة بعد عمر طويل شاق وغربة قاسية، فقد وهن جسمه وانطفأت عيناه، فودع الدنيا في 27 / 6 / 1977، رحل وبقي شعره الكثير يحكي قصة حياة وحنين وغربة وتجربة عذاب، يرحمه الله.

وهناك شعراء آخرون قالوا الشعر في الحنين إلى العراق أم إلى بغداد، ولكنهم مقلون، أو أنهم يقولون الشعر في المناسبات الوطنية أو الأدبية، من أولئك الشيخ محمد رضا الشيبلي (ت 1385 هـ / 1965 م) الذي تغنى ببغداد وحبها والهيام بحبها، وذكر مراتبها وبلدانها: (٢)

(1) المجموعة الكاملة ص 717.

(2) الألويسي: بغداد ص 234.

بـ "بغداد" أشتاق الشَّامَ وهل أنا
فما أنا في أرضِ "الشَّامِ" بمُشَنِّمٍ
هُما وطنٌ فَرَدُّ وقد قَرَّوهُما
إذا قُنتَ نُصَبَ القلبِ ياعهدَ "تَدْمِرِ"
أرى اليومَ ماءً في "الفراتينِ" آسناً
سيحدو غواصي الدَّمعِ بالدَّمعِ حُفلاً
رهتُك يا "بغدادُ" قلبي ومَنْ تَكُنْ
علا الشَّيبِ آمالي ولم يَعلُ عارضي

إلى الكرخِ من "بغداد" جَمَّ التَّشَوُّقِ
ولا أنا في أرضِ "العراقِ" بمُغْرِقِ
"رمى الله بالتشيتِ شَمْلَ المُفَرِّقِ"
ذكرتُ اذْكَارَ الطَّيْفِ عهدَ "الحوزِ نَقِي"
متى عَبَّ منه عاطِشُ النَّفْسِ يَمُزِّقُ
سنا باري من "بابل" متألِّقِ
رهيتُ قَلْباً بـ "بغداد" يَفْلَقِ
ويَبْضُ قلبي قَبْلَ تَبْيِضِ مَفْرِقِي

أما الجواهري فله رائعات من قصائده في التغني ببغداد ومغانيها وأجادها وشعبها، من ذلك قوله من قصيدة طويلة سنة 1927 حين فاض نهر دجلة وهدد بغداد بالغرق، نقتطف منها: (١)

بَدَتْ خَوْداً لها الأغصانُ شَعْرُ
على "بغداد" ما بَقِيَتْ سَلامُ
سَمَتْ تزهو على السَّفْحَيْنِ منها
يُظَلِّلُ "دجلة" منها جَنَاحُ
نزلتُ فما رأيتُ أبْرَ منها
فَرَنِي الرِّيحُ لم يَفْسُدْ مَهَبُ
سَكَزْتُ وما سَقِينْتُ بغيرِ ماءٍ
كريمةٌ سادِةٌ عَرَّفَنَ فيها

و "دجلة" ريقها والسَّفْحُ ثَغْرُ
يَضُوغُ كما ذكا للوَرْدِ نَشْرُ
قُصُورٌ مِلْؤُها زَهْوٌ وَكِيرُ
كما باهى بقادِمَتَيْهِ نَسْرُ
وضيفُ كريمةٍ بِرٌّ يُبَرُّ
لها والماءُ، لم يَسُدُّ تَمَرُ
و "دجلة" ماؤها عَسَلٌ وَحَمَرُ
عُرُوقٌ من بني "عدنان" نُضَرُ

(1) ديوان الجواهري ص 175-176، الأعمال الشعرية الكاملة، ط 2 دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 2001 م.

ويشيد بالأعاجاد العربية في عصور بغداد الزاهية زمن العباسيين، ويقف على الجسر
جسر بغداد ويتأمل في أمواج دجلة الهائجة الصاخبة تحت الجسر، فما أعظم دجلة وما
أقواها وأعتاها:

كفى "العباس" ما أبقت بنوه
مَضُوءَا غُرَّ الوجوه وغلَّذَنهم
فَمَنْ يَكُ ذِكْرُهُ حَسَنًا جَمِيلًا
فيا "بغداد" لا يَنْفَكُ سِرُّ
أَكُنْتِ و"بابلاً" بلداً سَوَاءَ
سقى الجِسْرَ المطيرُ من الغوادي
هو البَرْجُ الَّذِي كَادَتْ عَلَيْهِ
رَأَيْتُ بِأَفْقِهِ شَمْسًا وَيَذْراً
نهاراً كُلُّهُ أَصْلٌ لِدَاذْ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ وَقَفَّةً مُسْتَطِيرِ
وللأمرِاجِ من حَنْقِ نَشِيشْ
و"دجلة" كالسجينِ بَغَى فِرَاراً
وذاك الثَّابِتُ الأَرْكَانِ أَمْسَى
أَحَقَّ أَنْ "أُمَّ الْخَيْرِ" مِنْهَا
وَبَاتَ الْمَاءُ مِنْهَا فَيَنْدَ شَبْرُ
و"دجلة" حُرَّةٌ ضَجَّتْ فَجَاشَتْ
أَضَاعُوا مَاءَهَا هَذْراً وَأَخْنَى
وإنْ تَكُ "دجلة" هَدَاثٌ وَقَرَّتْ

فما ترو على "بغداد" مَضْرُ
نَقَابَاتٌ مِنَ الْأَثَارِ غُرُّ
فَحَسْبُ الْقَوْمِ فِي "بغداد" ذِكْرُ
لِحُسْنِكَ يَنْجَلِي فَيَدُقُّ سِحْرُ
فَلِلْمَلَكَيْنِ بَاقِي فَيْكِ سِحْرُ
فَمَلَقَى اللَّهُمَّ وَاللَّذَاتِ جِسْرُ
نُجُومُ الْأَفْقِ سَاجِدَةٌ تَحْرُ
كَأَحْسَنِ مَا تُرَى شَمْسٌ وَيَذْرُ
وَلَيْلاً كُلُّهُ سَحَرٌ وَفَجْرُ
مِنَ الْأَخْزَانِ مِلْءُ حَصَاةٍ دُغْرُ
كَمَا يَغْلِي عَلَى النَّيْرَانِ قَذْرُ
وَأَزِيدَ حَيْثُ أَعَوَزَهُ الْمَقْرُ
عَلَيْهَا رِيْشَةٌ لَا تَسْتَقِرُّ
بِعَاصِمَةِ "الرَّشِيدِ" أَحَاطَ شَرُّ؟
لَقَدْ أَسَدَى لَهَا الْإِحْسَانُ شَبْرُ
وَيَا بِي الضُّيْمِ وَالْإِذْلَالَ حُرُّ
عَلَى مُسْتَوْدَعِ الْبُرْكَانِ قَضْرُ
فَلِلْغَضْبَانِ "شَفِيقَةُ" تَقْرُ

أما عائكة الخزرجي (ت 2003 م) فقد كانت بعيدة عن بغداد، وطال بُعدها،
فحنت إلى بغداد وغلبها الشوق فصارت تنفث أشجانها من بعيد سنة 1984م: (١)

وَسُئِلْتُ حِينَ الدَّمْعِ حَا	رَ وَحَثَ حَادِي الْبَيْنِ رُكْبَةً
أَتَرَيْنَ وَادِي الرَّاغِدِيْنَ	مِنْ تِلَاكُهُ أَتَرَيْنَ كُتْبَةً؟
أَتَعَيْنَ وَسُوسَةَ النُّخَيْـ	لِ وَجِلْسَ الْأَحْبَابِ قُرْبَةً
وَسَقَايَسَ الْعُضْفُورِ إِمَّا	النُّوْزَ شَقَّ عَلَيْكَ دَرْبَةً
وَعُدُّ أَسْرَابِ الطُّيُورِ	رِ وَزَوْجَهَا فِي كُلِّ رَحْبَةٍ
أَتَلَوْحُ بَغْدَادُ الْهَوَى	أَتَجِيءُ أَطْيَافُ الْأَجْبَةِ
أَتُحَوِّمُ الذُّكْرَى أَيْمًا	لِي الشُّوقُ لِلْمُشْتَاكِ كُتْبَةً
أَفَتَذْكُرِينَ وَهَلْ نَسِـ	تِ؟ وَكَيْفَ يَنْسَى الْمَرْءُ حُبَّ
(بَغْدَادَ) عَفْوًا قَدْ جَرَّخَـ	تِ الْقَلْبَ إِذْ أَثْقَلَتْ عَيْنُ
حُبَّانٍ: حُبُّ اللَّهِ وَالـ	أَوْطَانِ لِلْأَحْرَارِ حِسْبَةً
بَغْدَادُ يَمْلَأُنِي هَوَا	كَ وَفِرْقَةُ الْأَخْبَابِ كُزْبَةً
مَا غِيبَتْ عَنْ عَيْنِي يَوـ	مًا أَوْ نَسِيتُ لَدَيْكَ صُحْبَةً
“بَغْدَادُ” أَنْتِ سَوَادُ عَيْنِـ	نِي وَالْفُؤَادُ سَكْنَتِ لُبِّ
تَبْقِيَيْنَ أَنْتِ الْحُبُّ وَالـ	وَحْيِي الْأَمِينُ لَدَى الْمُحِبَّةِ

وأنشد خالد الشواف قصيدة طويلة في مهرجان الشعر ببغداد، وطاف من خلالها
ببغداد وحضارتها في العصر العباسي، ونوه بشعرائها وأدبائها، وتغنّى بأنهارها ورباها
ومواضعها وجمال مرآها، نقطف منها ما تيسر: (٢)

(1) الألويسي: بغداد ص 266 — 267.

(2) الألويسي ص 292 — 297.

عوجوا على غدوة الوادي بُشِّرُهُ
قولوا له (عَبَقَر) هذا المهرجانُ له
أعيادُهُ اليومَ عادت بعدما طُوِّيت
تلمَسَ الوترَ الغافي فنبههُ
حتى إذا عادَ ليلَ رائقِ السَّقْ
نادى به "بغداد" هاكِ الشَّعْرَ فاحتفلي
فطاف بالنَّهْرِ حُلْمٌ من "رُصافَةٍ"
ومن مجالِسَ بالشَّمارِ حاليةٍ
وطاف بالنَّهْرِ حُلْمٌ من هوى عَيْقِي

فمنبرُ الشَّعْرِ في "بغداد" منبرُهُ
فالشعر من عنصرٍ في المريج عنصرُهُ
حيناً من الدهرِ أغفى فيه مِزْمَرُهُ
وراحَ بالسَّلْسَلِ الصافي يُفَجِّرُهُ
يسامرُ النَّجْمَ فيه مَنْ يُنَوِّرُهُ
كما يموجُ به في البيدِ عَبَقَرُهُ
ومن عيونِ المَها والجِسْرِ يسهرُهُ
في "الكرخ" والفجرُ يدعوها فتتهرَّهُ
ضاعت به قافياتُ الشعرِ تنشرُهُ

وبعد أن يطوف مع شعراء بغداد في العصور الزاهية ومنجزات خلفائها وصانعي حضارتها، يعود إلى الشعراء وفود المهرجان، فيقول:

أهلاً وفودَ القوافي في "مُدَوَّرَةٌ"
لا يظماً الشعرُ في أرضٍ ويقصدُها
فالشعرُ "دجلتُنا" السَّلْسَالُ مورِدُهُ
يا إخوة الشَّعْرِ هل ثَمَّتْ مناسِكُهُ
وثَمَّةُ (الحَرْمِ) اللاتي يُرادُّ لها
اليومَ والقَدَرُ الأعلى يُيبُّ به
تفيضُ بالدَّعوة المثلَى مقاطعُهُ
يُطوى القريضُ فتخيِّسِهِ وتنشرُهُ
إلاً ويؤويه في "بغداد" كوكُرُهُ
والشعرُ "دجلتُنا" المُختالُ مَضدَرُهُ
وَتَمَّ (كعبتُهُ) الأولى و(مَشعَرُهُ)
أن تُسْتَبَاحَ وبيتٌ كان يخفُّرُهُ
لوحدةٍ وجلالُ الصوتِ يغمُرُهُ
وبالجهادِ قوافيه وأبحرُهُ

وهناك من شعراء العربية الذين كانوا ضيوفاً على بغداد قالوا الشعر في بغداد وفي أبحاثها، وتغنوا بجمالها ومحاسن أهلها وأشادوا بتاريخها وحضارتها نذكر بعضاً منهم:

فمن أولئك أمير الشعراء أحمد شوقي (ت 1351هـ / 1932م) الذي أشاد

ببغداد ومكانتها وعلماؤها في قصيدته (نهج البردة) التي يمدح بها الرسول ﷺ: ^(١)

دُعْ عَنْكَ "روما" و"آثينا" وما حَوَّتا	كُلُّ الْيَوَاقِيَتِ فِي "بغداد" والتَّوَمِ
دَارُ الشَّرَائِعِ "روما" كُلَّمَا ذُكِرَتْ	"دارُ السلام" لها أَلَقَتْ يَدَ السَّلَامِ
ما ضَارَ عَنَّا بَيَاناً عِنْدَ مُلْتَمَأٍ	ولا حَكَّتْهَا قَضَاءٌ عِنْدَ مُخْتَصِمِ
ولا احتوتُ في طِرَازٍ من قِيَاصِهَا	على "رشيْد" و"مأمون" و"مُعْتَصِمِ"
من الذينَ إذا سارَتْ كَتَائِبُهُمْ	تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الْأَرْضِ والتَّخَمِ
ويجلسونَ على عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ	فلا يُدَانُونَكَ فِي عَقْلِ ولا فَهْمِ
يُطَاوِئُ الْعُلَمَاءُ الْهَامَ إِنْ نَبَسُوا	من هَيْبَةِ الْعِلْمِ لَا مِنْ هَيْبَةِ الْحُكْمِ
وَيُمْطَرُونَ فَمَا بِالْأَرْضِ مِنْ مَحَلٍ	ولا بمن باتَ فوقَ الْأَرْضِ مِنْ عَدَمِ

وينشد علي الجارم (علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم ت 1368هـ / 1949م)

في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي ببغداد سنة 1938م قصيدة من روائع الشعر يتغنى فيها ببغداد وأمجادها وفضائلها، وصارت القصيدة نشيداً يغنى ويترنم بها طلبة المدارس، وهي طويلة نقتطف منها: ^(٢)

بغداد يا بلدَ الرشيد	ومنارةَ المجدِ التليدِ
يا بسمَةَ لما نَزَلَ	زهراء في ثغرِ الخلودِ
يا موطنَ الحُبِّ المقيـدِ	مِمْ وَمُضْرِبِ المَثَلِ الشُّرُودِ
يا سَطرَ مجدٍ للعرو	بِةِ خُطِّ في لوحِ الوجودِ
يا رايةَ الإسلامِ والـ	إسلامِ خَفَّاقِ البُنُودِ
يا مغربَ الأملِ القديـدِ	مِمْ ومشرقَ الأملِ الجديدِ

(1) الشوقيات ص 205 - 206 ط المكتبة التجارية بمصر د.ت.، صورته دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.

(2) الألويسي: بغداد ص 242 - 249.

يا بنت "دجلة" قد ظنمت
يا زهرة الصحراء رُذ
"بغداد" يا دار النُهى
نبت القريض على ضفا
ست لرشف مبسك البرود
دي بهجة الدنيا وزيدي
والفن يا بيت القصيد
فك بين أفنان الورود

ويذكر دور بغداد في التاريخ، ويذكر ما كان فيها من علوم وفلسفات وشعر

وشعراء:

الفلسفات عرفتُها
والغرب ينظر في خمود
كم مؤمل للمستجيب
والجاحظ المريح اللعو
بغداد يا وطن الأديب
جددت أحلامي وكُنْـ
جمح الخيال فما اطم
بغداد أشرق نجمها
سلكت إلى المجيد القديـ
وزمت بأفكار الهدى
بغداد إنا وفد (مصـ
جننا نحيا العلم والـ
مراك عيْد للمنى

والعلم طفّل في المهود
د نحو قافلة الحمود
ر ومنهل للمستفيد
ب يغوص للدرّ الفريد
ب وأيكة الشعر الغريد
ست صحت من عهد عهد
أن ولا استقرّ إلى الخلود
ويدا بها سعد السعد
م تحبّة النهج السديد
وسطت بأظفار الأسود
ر) نفيض بالشوق الأكيد
آداب في العدد العديـ
قُزنا به في يوم عيد⁽¹⁾

(1) كان التاسع من شباط 1938 م يوم عرفة، وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة 1356 هـ.

وزار نزار قباني الشاعر العربي المبدع بغداد سنة 1962، فأنشده قصيدته في الحب

والشوق إلى بغداد :⁽¹⁾

مُدي بِساطَكَ واملئي أَكوابي
عيناكِ يا "بغداد" مُنْذُ طفولتي
لا تُنْكِرِي وجهي فأنّ حبيبتي
"بغداد" جِئتِكِ كالسَّفِينَةِ مُتَعَباً
ورميتُ رأسي فوقَ صَدرِ أميرتي
أنا ذلك البَحَّارُ يُنْفِقُ عُمُرَهُ
"بغداد" طُرْتُ على حَريِرِ عِباءَةٍ
وهَبَطْتُ كالعُصفورِ يَقْضُدُ عُشَّهُ
حتى رَأَيْتُكِ قِطْعَةً من جَوْهَرٍ
حيثُ التَقْتُ أرى مَلامِجَ موطني
لم أَغْتَرِبْ أبداً فَكُلُّ سَحَابَةٍ
إنَّ النُجُومَ السَّاكِنَاتِ هِضَابِكُمْ
"بغداد" عَشْتُ الحُسْنَ في أَلوانِهِ
ماذا سَأَكْتُبُ عنكِ يا فيروزَتي
يَغْتَالِنِي شِعْري فَكُلُّ قَصِيدَةٍ
الْحِنَجَرُ الذَّهَبِيُّ يَشْرَبُ من دَمِي
"بغداد" يا هَزَجَ الخِلاخِلِ والحِلَى
لا تَنْظُمِي وَتَرِ الزَّبابَةَ في يَدِي
قَبْلَ اللِقَاءِ الحُلُوِّ كُنْتَ حبيبتي

وانسي العِتابَ فقد نَسِيتُ عِتابي
شَمْسَانِ نائِمَتَانِ في أَهدابي
وورودُ مائِدَتِي وكَأْسُ شَرايِ
أُخْفِي جِراحاتي وراءَ ثيابي
وتلاقيتُ الشَّقَتَانِ بعدَ غِيَابِ
في البَحْثِ عن حُبٍّ وعن أَخْبَابِ
وعلى ظَفائِرِ زَيْنَبٍ ورَبابِ
والفَجْرُ عُرْسُ ماذِنٍ وقِيابِ
ترتأخُ بين النِّخْلِ والأغْشابِ
وأشْمُ في هذا التُّرابِ تُرابي
بيضاءَ فيها كِزْبَاءُ سَحَابِ
ذاتُ النُّجُومِ السَّاكِنَاتِ هِضَابِ
لكنَّ حُسْنَكَ لم يَكُنْ بِحسابِ
وهواك لا يَكْفِيهِ أَلْفُ كِتابِ
تَمْتَصُّنِي تَمْتَصُّ زَيْتَ شَبابي
وينامُ في لَحْمِي وفي أَعْصابِ
يا عَجَزَنَ الأَضْواءِ والأَطْيَابِ
فالشَّوْقُ أَكْبَرُ من يَدِي ورَبابي
وحبيبتي تَبْقَيْنَ بعدَ ذِهابِ

(1) الألويسي: بغداد ص 285 — 287.

ويتغنى الشاعر سليم الزركلي بجمال بغداد وأصالتها وحضارتها في نفس عربي

أصيل: (١)

أحَقَّ أترى بغدادَ أم أنتَ حالمٌ
معالمٌ أجمادٍ ودُنْيَا حضارةٍ
تغنيتُ والبيداءُ تفضلُ بيننا
أدزها كُؤوساً بارَكَ اللهُ نفعها
أناجيكِ يا أمَّ المدائنِ، والرؤى
رؤى في طريقِ المجدِ تزهى روائعاً
وأرجعُ للماضي فأسجدُ خاشعاً
زمانَ شدا بالشعرِ في كلِّ منيرٍ
وغنى هَزارُ الشَّعرِ في كلِّ روضةٍ
وطُوفَ في سوحِ الفتوحاتِ أعصرُ
ودُنْيَاكِ يا (بغدادُ) والدَّهرُ طيِّعُ

و "بغدادُ" يا قلبي الهوى والمعالمُ
أضاءَ بها دهرُ العُلا والمحارمُ
فهاهنا وأنتَ اليومَ جذلانَ ناعمُ
من الوُدِّ والأمشاجِ نشوى تناعمُ
تمشُّ لها أرواحنا والمبايِسُ
وخيرٌ جديدٌ ما بَنَتْهُ العزائمُ
وحقُّ لماضيكِ الرُّقى والتَّائمُ
أخو (عَبقرٍ) والشعرُ بالمجدِ هائمُ
وطرَبَتِ الأفلاكُ فيها الحائمُ
تُساقُ إلى جَنَّاتهنَّ الغائمُ
تَشِدُّ وتبني والحظوظُ كرائمُ

وبعد أن يتحدث عما نزل بالأمة من مصائب وآلام وما يتمنى من آمال للصحة والنهوض، يفصح عن حبه وحنينه إلى بغداد ويتغنى بجمال طبيعتها من نهر وأرض وخصب:

نشدتُكَ للودِّ القديمِ وللهمى
أدغِدْغِها والفجرُ بعدُ ملثمٌ
و "دجلة" يسري والنخيلُ مَهْومٌ
وفوقَ خدودِ النَّهرِ راقصُ شعلَةٍ
وقلبي في أشواقِهِ نِضْوُ صَبَوقِ

وبين ضلوعي من هواكِ عوالمٍ
وأوقظها والذكرياتُ حوالمُ
وللسحرِ في أعطافهنَّ نواسمُ
خواطِرُها تحتَ العُبابِ بوايسمُ
وهل تستريحُ الطَّيْرُ وهي جوائِمُ ؟

(1) الألويسي: بغداد ص 306 — 309.

نَحْبَةُ أَصْرَاقٍ وَعِطْرُ أَوَاصِرٍ أَسْقَبِكِ يَا "بَغْدَادُ" وَالْوَجْدُ عَارِمٌ
فَفِي "بَرْدَى" وَ"الْفَوَاطِينِ" مُشَاعِرٌ تَرِفٌ فَمَا تَقْوَى عَلَيْهَا السَّهَائِمُ
نَحْنُ لِأَيَّامٍ خَلَتْ مِنْ عَهْدِهَا وَأَنْتِ نَجَاوَاهَا وَأَنْتِ الدَّعَائِمُ
وَلَيْسَ سَبِيلُ الْحُبِّ مَجْرُوفُزَةً وَلَيْسَ شِعَارُ الْأَكْرَمِينَ سَخَائِمُ
مَبِيٍّ لِلْعُلَا دَهْرًا يَضْرُغُ أَرِيحُهُ تَطِيبُ بِهِ أَجْيَالُنَا وَالْعَوَاصِمُ
وَحَلِيٍّ الْجَوَى بِحِرْقِ كُبُودِ عَوَازِلِ وَتُشْرِقُ بِالْقَيْظِ الدَّفِينِ نَوَائِمُ
وَنَحْنُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْوُدِّ تَسْتَقِي نَوَافِحُهُ أَنْجَادُنَا وَالتَّهَائِمُ
فَقَدْ تَعَظَّمُ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ صَغَائِرُ وَقَدْ تَضَعَّرُ الْأَرْزَاءُ وَهِيَ عِظَائِمُ
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ نَضْمَ شَتَاتِنَا فَتَسْعَدَ أَوْطَانُ بَنَا وَمَشَائِمُ

ونختتم هذه المختارات النبيلة من الحب والحنين إلى بغداد بأبيات في التغني بجمال بغداد وكرم أهلها، لم نقف على اسم قائلها: (1)

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْ الْأَرْضِ (إِلَّا ؟) خَطَّتِي وَدِيَارِيَا
فَقَدْ طَفَّتْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا وَسَيَّرَتْ رَحْلِي بَيْنَهَا وَرِكَائِيَا
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادٍ مَنْزِلًا وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجْلَةٍ وَادِيَا
وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَى شَأْنًا وَأَعْدَبَ الْفَاطَا وَأَحْلَى مَعَانِيَا

وبعد فهل هذا كل ما قيل في الحنين إلى بغداد وحب بغداد ؟ أم أن هناك أشعاراً كثيرة وكثيرة جداً قيلت في بغداد وأهلها والحنين إلى العراق وطناً وشعباً وحضارة وأصالة، وقد اكتفينا من القلادة بما أحاط بالعنق.

(1) علي الطنطاوي: بغداد مشاهدات وذكريات ص 30، ط 2 دار المنارة، جدة 1990م.

مصادر الكتاب ومراجعته

(أ)

- * أخبار الشعراء المحدثين في كتاب الأوراق-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). عني بنشره ج هيورث دن، ط دار المسيرة، بيروت 1979م.
- * إخبار العلماء بأخبار الحكماء-القفطي: جمال الدين علي بن يوسف الشيباني (ت 646 هـ)، ط ليبسك 1903، وط مصر 1908م.
- * أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار-الأزرقى: محمد بن عبد الله (ت 259 هـ). (مجلدان)، تحقيق رشدي ملحس، ط 2 دار الثقافة، مكة 1960م.
- * الأدب العصري في العراق العربي-رفائيل بطي: رفائيل بن بطرس بن عيسى (ت 1375 هـ/1956م). ط مصر 1923م.
- * أدب الغبراء-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ). تحقيق صلاح الدين المنجد، ط دار الكتاب الجديد، بيروت 1972م.
- * أدب الكتاب-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). تحقيق محمد بهجة الأثري، ط القاهرة 1341 هـ.
- * إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأديب)-ياقوت الرومي الحموي (ت 626 هـ). (7 أجزاء) ط مرجليوث 1907-1925م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993م.
- * الأسرار المرفوعة-علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (ت 1014 هـ). ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
- * أشجع السلمي حياته وشعره = شعر أشجع السلمي.
- * أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم-الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335 هـ). وهو جزء من كتاب الأوراق، ط مصر 1936م، وبعناية هيورث دن، ط دار المسيرة، بيروت 1979م.
- * أشعار اللصوص-عبد المعين الملوحي. جمع وتحقيق لشعر اللصوص، ط دار طلاس، دمشق 1988م.
- * الإصابة في تمييز الصحابة-ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852 هـ). (4 مجلدات) تحقيق علي محمد البجاوي، ط القاهرة 1970م. و (9 مجلدات) ط دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.
- * الأصمعيات-الأصمعي: عبد الملك بن قريش (ت 216 هـ). تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر 1979م.
- * الإعجاز والإجاز-الباقلائي: أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403 هـ). تحقيق أحمد صقر، ط 3 دار المعارف، القاهرة 1972م.

- * الأعلام-الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت 1392 هـ / 1972م). الطبعة الخامسة. ط دار العلم للملايين، بيروت 1980م.
- * الأغاني-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ). (22-26 جزءاً) ط الساسي، مصر 1323 هـ. و ط دار الكتب المصرية، و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.
- * الاغتراب سيرة ومصطلح-محمود رجب. ط 4 دار المعارف، القاهرة 1993م.
- * الاغتراب في الإسلام-فتح الله خليف. مجلة عالم الفكر. المجلد العاشر. العدد الأول 1979م.
- * الاغتراب في الشعر الأموي-فاطمة محمد السويدي. ط مكتبة مدبولي، القاهرة 1997م.
- * الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر-أحمد النكلاوي. ط دار الثقافة العربية، القاهرة 1989م.
- * الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر-نبيل اسكندر. ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1988م.
- * الاغتراب والعبقرية-عادل الألوسي. ط دار الفكر، القاهرة 2003 م.
- * أمالي القالي (كتاب الأمالي والنوادر) — القالي: إسماعيل بن القاسم البغدادى (ت 356 هـ). دار الكتب المصرية، القاهرة 1926م، و ط سنة 1953م.
- * أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) — المرتضى: الشريف علي بن الحسين العلوي (ت 436 هـ). (4 أجزاء) ط مصر 1907 م، وأعيد طبعه في مجلدين سنة 1954م.
- * الإمتاع والمؤانسة-التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ). (ثلاثة أجزاء) ط مصر 1939م.
- * إنباه الرواة على أنباه النحاة-القفطي: جمال الدين علي بن يوسف (ت 646 هـ) (3 أجزاء) ط دار الكتب المصرية 1369-1374 هـ

(ب)

- * البصائر والذخائر-التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ). مصر 1953م، وتحقيق إبراهيم الكيلاني، ط مكتبة أطلس، دمشق 1964م.
- * بغداد في الشعر العربي. من تاريخها وأخبارها الحضارية -الآلوسي: جمال الدين مطبوعات الجمع العلمي العراقي، بغداد 1987م.
- * بغداد مشاهدات وذكريات — علي الطنطاوي. ط 2 دار المنارة، جدة 1990م.
- * بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342 هـ) (3 أجزاء). تصحيح محمد بهجة الأثري، ط مصر 1924م.

- * بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: محمود شكري (ت 1342هـ) (3 أجزاء) ، تصحيح محمد بهجة الأثري، ط مصر 1924م.
- * بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذهن والهاجس-القرطبي: يوسف بن عبد البر (ت 463هـ) ، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط الدار المصرية ، القاهرة د.ت. و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1982م.
- * البيان والتبيين-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) ، (4 أجزاء) تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، مصر 1964م.

(ت)

- * تاج العروس في جواهر القاموس-الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ) ط بيروت، 1966 م.
- * تاريخ ابن الأثير = الكامل.
- * تاريخ الأدب العربي- بروكلمان: كارل (ت 1868هـ / 1956م)
- * الترجمة العربية لمجموعة من المترجمين كل جزء مترجم من سنة 1961-1983 تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام-الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ) ، ط السعادة ، مصر 67-1969 م.
- * تاريخ بغداد -البغدادى: الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ) ، (14 مجلداً) ط مكتبة الخانجي ، القاهرة 1349هـ / 1941م.
- * تاريخ التراث العربي-سزكين: محمد فؤاد، الترجمة العربية ، ط الرياض 1404 هـ / 1984م.
- * تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)-الطبري: محمد بن جرير (ت 310 هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف، مصر 1967م.
- * تاريخ العرب قبل الإسلام-جواد علي: جواد بن محمد علي (ت 1987م) ، (7 مجلدات) ط بغداد 50-1958 م.
- * تحرير التحبير-العدواني: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع (ت 654 هـ) ، تحقيق حنفي محمد شرف، ط القاهرة 1383هـ
- * التذكرة الحمدونية-ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت 562 هـ) تحقيق إحسان عباس وبكر عباس ، ط دار صادر ، بيروت 1996م.
- * التصوف ، الثورة الروحية في الإسلام-أبو العلا عفيفي، ط القاهرة 1963م.
- * تهذيب تاريخ دمشق-ابن عساكر: ثقة الدين أبو القاسم علي بن عساكر (ت 571 هـ) ، ترتيب وتهذيب الشيخ عبد القادر بدران (ت 1346 هـ) ، (7 أجزاء) ، مطبعة روضة الشام 1329هـ وط دار إحياء التراث ، بيروت 1987م.
- * تهذيب اللغة-الأزهري: محمد بن أحمد (ت 370 هـ) ، ط القاهرة 1966م.

(ث)

- * ثمار القلوب في المضاف والمنسوب -الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة 1965 م.

(ج)

- * جمع الأصول -الكمشخاني: أحمد بن مصطفى (ت 1311 هـ). ط الحلبي ، القاهرة ، د.ت.
- * جمهرة أشعار العرب -القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت ق 4 هـ).
- * تحقيق علي محمد البجاوي ، ط القاهرة 1387 هـ / 1967 م.
- * جمهرة أنساب العرب -ابن حزم: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط دار المعارف ، مصر 1971 م.
- * جمهرة اللغة -ابن دريد: محمد بن الحسن (ت 321 هـ). نشر كرنيكو ، ط حيدر آباد 1344 هـ.

(ح)

- * حاجب الفيل وما تبقى من شعره -حاجب الفيل بن زهران المازني (ت 120 هـ). جمع نوري القيسي، ط مجلة المورد، م 15، العدد الأول بغداد 1986 م.
- * حلية المحاضرة -الحاتمي: أبو علي محمد بن الحسن (ت 388 هـ). تحقيق هلال ناجي، ط بيروت 1978 م. وتحقيق جعفر الكناني، بغداد 1979.
- * حماسة البحري -البحري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت 284 هـ). تحقيق لويس شيخو 1910 م. و ط دار الكتب العلمية ، بيروت 1998 م.
- * الحماسة البصرية -البصري: صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت 659 هـ). (جزآن) تحقيق مختار الدين أحمد "حيدرآباد 1964 م.
- * الحماسة الشجرية -ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (ت 542 هـ) ط حيدر آباد 1345 هـ ، و تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، ط دمشق 1970 م.
- * حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء — العبدلكاني: أبو محمد عبد الله بن محمد الزوزني (ت 431 هـ). تحقيق محمد جبار المعبد ، ط وزارة الثقافة ، بغداد 1978 م.
- * الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب وخبة ديوان العرب) -التادلي: أحمد بن عبد السلام (ت 609 هـ). تحقيق محمد رضوان الداية ، ط دار الفكر ، دمشق 1991 م.

- * الحنين إلى الأوطان-موسى بن عيسى الكسروي (ت ق 3 هـ). ينسب إلى الجاحظ، راجع رسائل الجاحظ.
- * الحنين إلى الأوطان-ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت 330هـ) تحقيق جليل العطية . ط عالم الكتب . بيروت 1987م.
- * الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي-محمد إبراهيم حور. ط 2 دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، 1989م.
- * الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث-ماهر حسن فهمي. ط معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة 1970م.
- * الحيوان للجاحظ = كتاب الحيوان.

(خ)

- * خاص الخاص -الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). ط دار مكتبة الحياة . بيروت 1966م.
- * خزانة الأدب-البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ). (4 مجلدات) ط مصر 1299هـ . وتحقيق عبد السلام هارون (13 مجلداً) ط الخانجي . مصر 86-1989م.

(د)

- * دراسات في سيكولوجية الاغتراب-عبد اللطيف محمد خليفة. ط دار غريب . القاهرة د.ت.
- * الدر الفريد وبيت القصيد-محمد بن أيمن (ت 710 هـ). (5 مجلدات) مخطوط . تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية . فرانكفورت 1988 - 1989م.
- * دراسات في سيكولوجية الاغتراب-عبد اللطيف محمد خليفة. ط دار غريب . القاهرة 2003م.
- * الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة-السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ). ط الحلبي . مصر د.ت.
- * ديوان الأبيوردي-الأبيوردي:أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت 705هـ). (جزآن) تحقيق عمر الأسعد. ط مؤسسة الرسالة . بيروت 1987م.
- * ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) - أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (ت 1351هـ / 1932م). ط المكتبة التجارية بمصر د.ت. صورته دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.
- * ديوان الأحوص الأنصاري-الأحوص: عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 105هـ) تحقيق عادل سليمان . ط الخانجي . مصر 1990م.
- * ديوان أسامة بن منقذ- أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت 584هـ). تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . ط 2 عالم الكتب. بيروت 1983.

- * ديوان الأعشى - الأعشى: ميمون بن قيس (ت 8 هـ). تحقيق جابر (الصباح المنير) ط لندن 1928 هـ ، و تحقيق محمد محمد حسين ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1983 م.
- * ديوان أعشى همدان - الأعشى: عبد الرحمن بن الحارث (ت 83 هـ). تحقيق حسن أبو ياسين ، ط دار العلوم ، الرياض 1983 م.
- * ديوان امرئ القيس - امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت 80 ق هـ / 545 م). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، مصر 1984 م.
- * ديوان أوس بن حجر - أوس بن حجر بن مالك النميمي (ت 2 ق هـ / 620 م) تحقيق محمد يوسف نجم ، ط دار صادر، بيروت 1967 م.
- * ديوان البحترى - البحترى: الوليد بن عبيد (ت 284 هـ). تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ط دار المعارف، القاهرة 63-1978 م ، وط بيروت 1999 م.
- * ديوان بشار بن برد - بشار بن برد العقيلي (ت 167 هـ). تحقيق الطاهر بن عاشور ، ط تونس 1976 م.
- * ديوان بشر بن أبي خازم - الأسدي: بشر بن أبي خازم الأسدي (ت 22 ق هـ / 598 م) تحقيق عزة حسن ، ط 2 دار الشرق العربي ، بيروت 1995 م.
- * ديوان تأبط شرراً وأخباره - تأبط شرراً: ثابت بن جابر (ت 80 ق هـ) جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكور ، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 م.
- * ديوان أبي تمام - الطائي: حبيب بن أوس (ت 231 هـ). شرح الخطيب التبريزي، بعناية راجي الأسمر ط 2 دار الكتاب العربي ، بيروت 1994 م.
- * ديوان جرير - جرير بن عطية بن الخطفي (ت 110 هـ). ط دار صادر، بيروت 1960 م.
- * ديوان جميل بثينة - جميل بن عبد الله بن معمر العذري (ت 82 هـ). ط عالم الكتب ، بيروت 1996 م.
- * ديوان الجواهري - الجواهري: محمد مهدي (ت 1996 م) الأعمال الشعرية الكاملة ، ط 2 دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 2001 م.
- * ديوان حاتم الطائي - الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد (ت 46 ق هـ / 578 م). بعناية حنانصر الحتي، ط دار الكتاب العربي ، بيروت 1997 م.
- * ديوان حسان بن ثابت - حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي (ت 54 هـ). تحقيق وليد عرفات، ط دار صادر، بيروت 1974 م.
- * ديوان الخطيئة - الخطيئة: جرول بن أوس (ت 30 هـ). شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني. تحقيق نعمان أمين طه ، ط القاهرة 1958 م.
- * ديوان حميد بن ثور الهلالي - حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري (ت 30 هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة 1951 م.
- * ديوان الخوارج - جمع وتحقيق إحسان عباس ، ط دار الشروق، بيروت 1982 م.

- * ديوان دعبيل الخزاعي (شعر دعبيل الخزاعي) - دعبيل بن علي بن رزين (ت 246 هـ) جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي، ط 1962، ط 2 دار الكتاب اللبناني، بيروت 1989م، وتحقيق عبد الكريم الأشتر، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1964م.
- * ديوان أبي دهيل الجمحي - الجمحي: وهب بن زمعة بن أسد القرشي (ت 63 هـ). تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط النجف 1972م.
- * ديوان ذي الرمة: ذو الرمة: غيلان بن عقبة العدوي (ت 117 هـ). (3 مجلدات) تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م.
- * ديوان الراعي النميري - الراعي: عبيد بن حصين بن معاوية (ت 90 هـ). تحقيق راينهرت فايبرت، ط دار صادر، بيروت 1980م.
- * ديوان الرصافي - الرصافي: معروف بن عبد الغني البغدادي (1364 هـ / 1945م) المجموعة الكاملة، ط دار مكتبة الحياة، بيروت دت.
- ديوان ابن الرومي - ابن الرومي: علي بن العباس بن جريج (ت 283 هـ). تحقيق حسين نصار، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1073م، و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1994م.
- * ديوان سحيم - سحيم عبد بني الحسحاس (ت 40 هـ). تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1950م.
- * ديوان الشافعي - الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204 هـ). جمع محمد عفيف، ط دار الجبل، بيروت 1974م، وط محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة 1985م.
- * ديوان الشبلي - الشبلي: أبو بكر دلف بن جحدر (ت 334 هـ). جمع وتحقيق كامل مصطفى الشبيبي، ط بغداد 1967م.
- * ديوان الشريف الرضي - الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى (ت 406 هـ). ط دار صادر، بيروت 1307 هـ.
- * ديوان الشنفرى = شعر الشنفرى الأزدي.
- * ديوان الصافي النجفي - الصافي النجفي: أحمد بن علي بن صافي (ت 1977م). المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة، قدم لها جلال خياط، ط وزارة الإعلام، بغداد 1977.
- * ديوان صدر - صدر: محمد بن عبد الله (ت 465 هـ). ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1934م.
- * ديوان الصنوبري - الصنوبري: أحمد بن محمد (ت 334 هـ). تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1998م.
- * ديوان طرفة بن العبد - طرفة بن العبد بن سفيان البكري (ت 60 ق هـ / 564م). ط دار صادر، بيروت 1968م.

- * ديوان الطرماح-الطرماح بن حكيم الطائي (ت 125 هـ). تحقيق عزة حسن ، ط2 دار الشرق العربي، بيروت 1994 م.
- * ديوان الطغرائي-الطغرائي: أبو إسماعيل الحسن بن علي (ت 515 هـ). تحقيق مجي الجبوري وعلي جواد الطاهر ، ط وزارة الثقافة، بغداد 1976م.
- * ديوان طهمان بن عمرو الكلابي -طهمان بن عمرو (ت 80 هـ). تحقيق عبد الجبار المعبد ، ط بغداد 1968م.
- * ديوان عبد المحسن الكاظمي-الكاظمي:أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي (ت 1354 هـ). الأعمال الشعرية الكاملة ، تحقيق حكمت الجادرجي ، ط دار الحكمة ، لندن 2002م.
- * ديوان عبيد بن الأبرص-عبيد بن الأبرص الأسدي (ت 25 ق هـ / 597م) ط ليدن 1913م ، وتحقيق حسين نصار ، ط الحلبي ، مصر 1957م.
- * ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات-ابن الرقيات (ت 75 هـ). تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت دت.
- * ديوان أبي العنابية-أبو العنابية: إسماعيل بن القاسم (ت 210 هـ). تحقيق مجيد طراد، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997م.
- * ديوان العرجي -العرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان (ت 120 هـ). تحقيق سجيح الجبيلي ، ط دار صادر، بيروت 1998م.
- * ديوان عروة بن حزام — عروة بن حزام العذري (ت 30 هـ). تحقيق إنطوان القوال ، ط دار الجيل بيروت 1995م.
- * ديوان عروة بن الورد- عروة بن الورد بن زيد العبسي(ت 30 ق هـ / 594م). شرح ابن السكيت، تحقيق راجي الأسمرط دار الكتاب العربي،بيروت 1997م
- * ديوان علي بن الجهم-علي بن الجهم بن بدر القرشي (ت 249 هـ).تحقيق خليل مردم ، ط بيروت 1980م.
- * ديوان عمر بن أبي ربيعة — المخزومي: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي (ت 93 هـ).تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1965م.
- * ديوان عنتره العبسي-عنتره بن شداد العبسي (ت 22 ق هـ / 622م). ط دار الكتب العلمية ، بيروت 1995م.
- * ديوان أبي فراس الحمداني-الحمداني: الحارث بن سعيد (357 هـ). تحقيق سامي الدهان ، مطبوعات المعهد الفرنسي، بيروت 1994م.
- * ديوان الفرزدق-الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة (ت 110 هـ). تحقيق عبد الله الصاوي، ط القاهرة 1936م ، و ط دار صادر، بيروت دت.
- * ديوان القتال الكلابي -عبد الله بن مجيب الكلابي (110 هـ).تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1961م.

- * ديوان قيس بن الخطيم-قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت 2 ق هـ / 620 م) تحقيق ناصر الدين الأسد ، ط دار صادر ، بيروت 1991م.
- * ديوان قيس لبنى- قيس بن ذريح (ت 69هـ). تحقيق عفيف حاطوم ، ط دار صادر ، بيروت 1998م.
- * ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلي)-العامري: قيس بن الملوح بن مزاحم (ت 68 هـ). تحقيق عبد الستار فراج، ط مكتبة مصر القاهرة 1965م.
- * ديوان كُثَيْر عَزَّة-كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت 105 هـ). تحقيق إحسان عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت 1971م. و ط دار الجيل ، بيروت 1995م.
- * ديوان لبيد بن ربيعة-العامري: لبيد بن ربيعة العامري (ت 40 هـ). تحقيق إحسان عباس ، ط الكويت 1962م.
- * ديوان اللصوص-جمع محمد نبيل طريفي. ط دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 م.
- * ديوان المتلمس-المتلمس: جرير بن عبد المسيح (ت 50 ق هـ / 672م). ط لبيزج. و تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة 1970م.
- * ديوان المتنبي-المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت 354 هـ). شرح عبد الرحمن البرقوقي، ط 1مصر 1930م، ط 2 دار الكتاب العربي ، بيروت 1986م.
- * ديوان المعاني-العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـ). ط مكتبة القدسي، القاهرة 1352 هـ. و ط دار الكتب العلمية ، بيروت 1994م.
- * ديوان ابن المعتز-ابن المعتز: عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي (ت 296هـ). صنعة الصولي، تحقيق يونس السامرائي، ط عالم الكتب، بيروت 1997م.
- * ديوان ابن مفرغ الحميري-الحميري: يزيد بن زياد (ت 69 هـ). تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م.
- * ديوان النابغة الذبياني-الذبياني: زياد بن معاوية (ت 18 ق هـ / 604 م). تحقيق الطاهر بن عاشور ، تونس 1976م.
- * ديوان أبي نواس-أبو نواس: الحسن بن هاني (ت 196هـ). تحقيق أحمد عبد الجيد الغزالي ، ط مصر 1953م.
- * ديوان وضاح اليمن- عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال (ت 95 هـ). جمع وتحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار صادر 1996م.

(ج)

- * رحلة ابن معصوم (سلوة الغرب)- ابن معصوم:علي بن أحمد بن محمد الحسيني (ت 1119هـ). تحقيق شاكر هادي شكر، مجلة المورد 2/8، بغداد 79-1980م.
- * رسائل ابن باجة الإلهية-ابن باجة:محمد بن يحيى (ت 533 هـ). تحقيق ماجد فخري ، بيروت 1968م.

- * رسائل الجاحظ (رسالة الحنين إلى الأوطان) - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ). تحقيق عبد السلام هارون ، ط الخانجي ، مصر 1384 هـ / 1965 م.
- * رغبة الآمل من كتاب الكامل - المرصفي: سيد بن علي المرصفي (ت 1349 هـ). (8 أجزاء) ط مصر 1348-46 هـ.
- * روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - البستاني: أبو حاتم محمد بن حبان (ت 354 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين ، ط القاهرة 1949 م.

(ز)

- * زهر الآداب وثمر الألباب - الحصري: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت 453 هـ). تحقيق زكي مبارك ، ط 4 دار الجيل ، بيروت 1972 م.
- * الزهرة - الأصبهاني: أبو بكر محمد بن داود (ت 297 هـ). ط الآباء اليسوعيين، بيروت 1932 م. وفي جزأين تحقيق إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية 1985 م.

(س)

- * سقط الزند - المعري: أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت 449 هـ). شرح أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1990 م.
- سمط اللآليء - البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 478 هـ). (مجلدان) تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 م.
- * سنن الترمذي - الترمذي: محمد بن عيسى (ت 279 هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط القاهرة 1930 م.
- * السيرة النبوية - ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ). (4 أجزاء) تحقيق مصطفى السقا والأبياري وشلبى، ط مصر 1936 م.

(ش)

- * شجرة العذراء - توفيق الفكيكي: توفيق بن علي بن ناصر (ت 1969 م). ط مطبعة الإرشاد، بغداد د.ت.
- * شرح أشعار الهذليين - السكري: الحسن بن الحسين (ت 275 هـ). تحقيق عبد الستار فراج ، ط مصر 1965 م.
- * شرح ديوان الحماسة - التبريزي: الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي، مصر د.ت.
- * شرح ديوان الحماسة - المرزوقي: أحمد بن محمد (ت 421 هـ). تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ط القاهرة 1953 م.
- * شعر أشجع السلمي (أشجع السلمي حياته وشعره) - السلمي: أشجع بن عمرو (ت 195 هـ). جمع وتحقيق خليل بنان الحسون ، ط دار المسيرة ، بيروت.

- * شعر الحارث المخزومي-المخزومي: الحارث بن خالد (ت 85 هـ) تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار القلم، الكويت 1983م.
- * شعر أبي حبة النميري-النميري: الهيثم بن الربيع بن زرار (ت 183 هـ) ، جمع وتحقيق يحيى الجبوري ، ط وزارة الثقافة، دمشق 1975 م.
- * شعر الشنفرى الأزدي-الشنفرى: عمرو بن مالك(ت 70 ق هـ) .
لأبي فهد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت 195 هـ) . تحقيق علي ناصر غالب، من مطبوعات مجلة العرب، الرياض 1988م.
- * شعر الصمة القشيري (الصمة القشيري حياته وشعره) -الصمة بن عبد الله القشيري (ت 95 هـ) . جمع وتحقيق خالد الجبر ، ط جامعة البترا، دار المناهج عمان 2003م.
- * شعر طريح الثقفي- الثقفي: طريح بن إسماعيل (ت 165 هـ) . جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف، ط دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1987م.
- * شعر عبد الله بن الزبير الأسدي-الأسدي: عبد الله بن الزبير (ت 75 هـ) . تحقيق يحيى الجبوري ، ط وزارة الإعلام، بغداد 1974م.
- * شعر عبد الله بن همام السلولي- السلولي: عبد الله بن همام (100 هـ) .
جمع وتحقيق وليد السراقبي ، ط دبي.
- * شعر عمرو بن أحمر- عمرو بن أحمر الباهلي (ت 65 هـ) . جمع وتحقيق حسين عطوان ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق د.ت.
- * شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي-الزبيدي: عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله (ت 21 هـ) . تحقيق مطاع طرابيشي ، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1985م.
- * شعر المتوكل الليثي- الليثي: عبد الله بن نهشل بن مسافع (ت 85 هـ) . تحقيق يحيى الجبوري، ط مكتبة الأندلس، بغداد 1971م.
- * شعر محمد بن بشير الخارجي- محمد بن بشير (ت 130 هـ) . تحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار قتيبة ، دمشق 1985م.
- * شعر ابن ميادة- ابن ميادة : الرماح بن أبرد الذبياني (ت 149 هـ) . تحقيق حنا حداد ، ط مجمع اللغة العربية ، دمشق 1982م.
- * شعر هذبة بن الخشرم العذري-هذبة بن الخشرم بن كرز (ت 50 هـ) .
تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار القلم ، الكويت 1986م.
- * شعر نصيب بن رباح-نصيب بن رباح: أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان (ت 108 هـ) . جمع وتحقيق داو سلوم ، ط بغداد 1967 م.
- * شعر يزيد بن الطثيرة-ابن الطثيرة: يزيد بن سلمة (ت 126 هـ) .
جمع حاتم الضامن ، ط بغداد 1973م.
- * الشعر والشعراء-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) .
ط ليدن 1902م ، و تحقيق أحمد شاكر ، ط دار المعارف، مصر 1966م.

- * الشعر العراقي، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر— يوسف عز الدين. ط الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1965م.
- * شعراء أمويون-جمع نوري القيسي (ت 1994 م). ط جامعة الموصل 1976، وط بغداد 1982م.
- * شعراء بني قُشَيْر في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي-عبد العزيز محمد الفيصل. ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1978م.
- * الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي-عبد بدوي. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1988م.
- * شعراء عباسيون-غوستاف غرونباوم (جمع وتحقيق). ترجمة محمد يوسف نجم. ط دار مكتبة الحياة ، بيروت 1959.
- * شعراء النصرانية قبل الإسلام-شيخو: لويس شيخو اليسوعي (ت 1927 م). ط مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1926م. ط2 دار المشرق ، بيروت 1967م.

(ص)

- * الصباح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشى الآخرين . ط مطبعة أدلف هلز هوسن، بيانه 1927 م ، تصوير مكتبة ابن قتيبة ، الكويت 1993م.
- * الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)-الجهوري: إسماعيل بن حماد (ت 393 هـ). تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط دار العلم للملايين ، بيروت 1979م.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)-البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ). ط أوروبا ، ط البابي الحلبي، القاهرة دت.
- * صحيح مسلم (الجامع الصحيح)-مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط القاهرة 1956م.

(ط)

- * طبقات الشعراء-ابن المعتز: عبد الله بن المعز العباسي (ت 296 هـ). ط مصر 1955م.و تحقيق عبد الستار أحمد فراج. ط دار المعارف، مصر 1976م.
- * طبقات فحول الشعراء-الجمحي: محمد بن سلام (ت 231 هـ). تحقيق محمود محمد شاكر. ط دار المعارف، القاهرة 1952، و ط المدني 1972.
- * الطرائف الأدبية-جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937م.

(ع)

- * عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات -القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ). ط الحلبي ، مصر 1956م.

- * العزلة-الخطابي: أحمد بن محمد البنداري (ت 388 هـ). تحقيق عبد الغفار سليمان، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1985م.
- * العقد الفريد-ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 327 هـ). تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1965م، و ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
- * العمدة في محاسن الشعر وآدابه-ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456 هـ). (جزآن) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط بيروت 1972م، وتحقيق محمد فرقان، ط دار المعرفة، بيروت 1988م.
- * عيون الأخبار-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973 م.

(غ)

- * غرائب الاغتراب -الآلوسي:أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270 هـ). ط مطبعة الشايبندر بغداد 1327هـ
- * الغربية في الشعر الجاهلي- عبد الرزاق الخشروم. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982م.
- * الغصن الذهبي-فريزر.ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين، ط مصر 1971م.

(ف)

- * فتوح البلدان-البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ). تحقيق صلاح الدين المنجد، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1957م.
- * الفتوحات المكية- ابن عربي: محيي الدين محمد بن علي الأندلسي (ت 638 هـ). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985 م.
- * فصوص الحكم-القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم (ت 514 هـ). ط القاهرة 1946م.
- * فضائل مكة والسكن فيها-الحسن البصري:أبو سعيد الحسن بن يسار (ت 110 هـ) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد 14، المجلد الأول 1970—1971م.
- * الفهرست-ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب البغدادي (ت 380 هـ). تحقيق فلوجل، ط ليبسك 1872 م، و تحقيق رضا جدم، طهران دت.
- * فهرسة ما رواه عن شيوخه-ابن خير الأشبيلي: أبو بكر محمد (ت 575 هـ). ط بيروت 1962م.

(ق)

- * القاموس المحيط-الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ). ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1986م.

(ك)

- * الكامل في التاريخ-ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت 630 هـ (12 جزءاً) ط مصر 1303 هـ . و ط دار الكتب العلمية. بيروت 1995م.
- * الكامل في اللغة والأدب-المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي (ت 286 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة. ط القاهرة 1956م .و تحقيق محمد الدالي .ط مؤسسة الرسالة . بيروت 1997م.
- * كتاب الحيوان-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).تحقيق عبد السلام هارون . ط الخانجي . مصر 1967م.
- * كتاب الشوق والفرق-ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان البغدادي (ت 330 هـ). تحقيق جليل العطية . ط دار الغرب الإسلامي . بيروت 1988م.
- * كتاب الكرية في وصف حال أهل الفرية-ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد (ت 795 هـ). ط القاهرة د.ت.
- * كتاب النخل-ابن وحشية:أحمد بن علي (ت بعد 291هـ). وهو جزء من كتاب الفلاحة تحقيق إبراهيم السامرائي . مجلة المورد. بغداد 1971م.
- * كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس-العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت 1162هـ). ط مكتبة القدسي. القاهرة 1350هـ
- * الكشكول- العاملي: بهاء الدين محمد بن حسين (ت 1031هـ).ط دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة . بيروت د.ت.

(ل)

- * لسان العرب-ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711 هـ). ط دار صادر بيروت 1968 م.

(م)

- * مآثر الإنافة في معالم الخلافة-القلقشندي:أحمد بن علي (ت 821 م). تحقيق عبد الستار فراج . ط الكويت 1964م.
- * مجمع الأمثال-الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518 هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط دار الفكر . بيروت 1972م.
- * المجموع اللبيب-الأفطسي: محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني (ت 515هـ).تحقيق يحيى الجبوري . ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 2005م.
- * الحاسن والأضداد-المنسوب للجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).تحقيق فلوتن. مصورة عن طبعة ليدن 1900 م . و ط مكتبة الخانجي . مصر 1324هـ

- * الحاسن والمساوي-البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت 320 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط نهضة مصر. القاهرة 1961م.
- * محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء-الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502 هـ). (جزآن) ط مصر 1326 هـ. وط مكتبة الحياة. بيروت د.ت.
- * الحبر-ابن حبيب: محمد بن حبيب البغدادي (ت 245 هـ). تصحيح إيلز شتيتير. ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد. الدكن 1942 م.
- * محن الشعراء والأدباء — يحيى الجبوري. ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 2003 م.
- * المخصص-ابن سيده: علي بن إسماعيل (ت 458 هـ). تحقيق الشنقيطي. وعاونته فيه الشيخ عبد الغني محمود. ط بولاق 1321 هـ. نسخة مصورة. المكتب التجاري. بيروت.
- * مدارج السالكين-ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ). ط دار الكتب العلمية. بيروت 1980م.
- * مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية-شوقي عبد الحكيم. ط بيروت 1978م.
- * المرأة في الشعر الجاهلي-الخوفي: أحمد محمد. ط نهضة مصر. القاهرة 1954م.
- * مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - البغدادي: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 هـ). تحقيق علي الجاوي. ط الحلبي. مصر 1954م.
- * المسك الأنفـر-الآلوسي: محمود شكـري (ت 1342 هـ). ط بغداد 1348 هـ.
- * مصارع العشاق-السراج الفاري: جعفر بن أحمد بن الحسين (ت 599 هـ).
- * ط دار صادر. بيروت 1958 م و تحقيق بسمة الدجاني. ط وزارة الثقافة. عمان 2004م.
- * مطالع البدور في منازل السرور-الغزولي: علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت 815 هـ). مطبعة الوطن القاهرة 1300 هـ.
- * مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي-أنور أبو سويلم. ط دار عمان. عمان 1991م.
- * معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
- * معجم البلدان-ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626 هـ). تحقيق وستنفيلد. ط ليبسك 66-1970م. وط دار صادر. بيروت 1957م.
- * معجم الشعراء-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ). تحقيق عبد الستار أحمد فراج. ط دار الكتب العربية. القاهرة 1960م.
- * معجم مقاييس اللغة-ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ).
- * تحقيق عبد السلام هارون. ط الحلبي. مصر 1366 هـ.
- * المعجم الوسيط-إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة. إخراج إبراهيم أنيس. وعبد الحليم منتصر. وعطية الصواحي. ومحمد خلف الله أحمد. ط القاهرة 60-1961م.
- * المفضليات-الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي (ت 168 هـ).
- * تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. ط دار المعارف. مصر 1976م.

- * المنازل والديار-أسامة بن منقذ: أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيزري (ت 584 هـ). ط 2، تحقيق مصطفى حجازي، ط القاهرة 1992م.
- * المنقذ من الضلال-الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ). تحقيق عبد الحليم محمود، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة 1900م.
- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء-المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ). ط السلفية مصر 1385 هـ. و تحقيق علي محمد البجاوي، ط نهضة مصر، القاهرة 1965 م.

(ن)

- * نزهة الألباء في طبقات الأدباء-الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1967 م.
- * نسب قریش-المصعب الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت 236 هـ). تحقيق ليفي بروفنسال، ط دار المعارف، القاهرة 1976 م.
- * نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب-المقري: أحمد بن محمد التلمستاني (ت 1041 هـ). تحقيق إحسان عباس، ط بيروت 1968م.
- * نهج البلاغة-المنسوب لعلي بن أبي طالب، جمعه الشريف الرضي: محمد بن الحسين (ت 406 هـ). (4 أجزاء) تحقيق محمد عبده، ط دار المعرفة، بيروت، وط مؤسسة المعارف، بيروت 1996م

(و)

- * الوافي بالوفيات-الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ). طُبعت أربعة أجزاء في استانبول سنة 1931م، وصدر 27 جزءاً عن دار النشر فرانز شتاينر، فسبادن 61-1999م، وكل جزء بتحقيق محقق معروف.
- * وفيات الأعيان — ابن خلكان: أحمد بن محمد (ت 681 هـ). ط مصر 1310 هـ، و تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1972 م.

(ي)

- * ينيمة الدهر في محاسن أهل العصر- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ). (4 أجزاء) تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1956م، وتحقيق مفيد فميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهارس الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

المقدمة 8-5

مهدات

29-9	الحنين إلى الأوطان
12	ما قبل في الحنين إلى الأوطان
14	من ألف في الحنين والغربة وما إليها
16	معنى الغربة والافتراق
18	مظاهر الغربة
20	الغربة ومظاهرها في الجاهلية
26	غربة المرأة

الفصل الأول

50-31	شعر الحنين والغربة في الجاهلية وصدر الإسلام
40	غربة وافتراق الصعاليك
48	غربة اللون

الفصل الثاني

102-51	الحنين والغربة في الشعر الأموي
53	دواعي الغربة
	أبو ذهل الجمحي - عمرو بن أحمر الباهلي - نصيب بن رباح -
	القتال الكلابي - مالك بن الربيع
58	غربة الموت
	بشر بن أبي خازم - أبو الطمحن القيني - مالك بن الربيع - الشنفرى
60	المرأة وافتراق الرجل
62	غربة الجند الفاتح

70 شعر التظلم من السلاطين والولاة:
عُقبية بن هبيرة الأسدي-الراعي النميري-عمرو بن أحمر الباهلي -
مالك بن الربيع.

77 من عانى الحنين والغربة من شعراء العصر الأموي:
هذبة بن الخشرم العذري- قيس بن الملوح-مالك بن الربيع-يزيد بن
مفرغ الحميري-أبو قطيفة- ابن قيس الرقيات-طهمان بن عمرو
الكلابي-الشمردل اليربوعي-أعشى همدان- جميل بن معمر
العذري-الحارث المخزومي- وضاح اليمن- عمر بن أبي ربيعة-
الصمة القشيري-عبد الله بن همام السلولي- الخطيم الحرزي-
كثير عزة- الأحوص الأنصاري- الطبراح بن حكيم- نصيب بن
رباح-سعيد بن عبد الرحمن بن حسان - ذو الرمة- العرجي- أبو
دهبل الجمحي- يزيد بن الطثرية — محمد بن بشير الخارجي-
طريح بن إسماعيل.

الفصل الثالث

134-103 الحنين والغربة في الشعر العباسي

ابن ميادة - بشار بن برد-ابن المولى محمد بن عبد الله -جعي بن طالب
الحنفي- أبو حبة النميري- أشجع السلمي - سفيان بن عيينة-عُقبية
بنت المهدي-كلثوم بن عمرو العتّابي - عوف بن محمّم- أبو تمام- علي
بن الجهم- الحسن بن مخلد بن الجراح- خالد بن يزيد الكاتب-البحثري-
الحسن بن محمد المهلب- المتنبي- أبو فراس الحمداني-علي بن محمد
النهامي-أسامة بن منقذ

125 من آثر الغربة في سبيل الغنى:
إبراهيم بن العباس الصولي-شكر بن أبي الفتوح السليماني-
محمد بن عبد الله صردر-البحثري.

127 التنفيس عن الكربة في الغربة بالكتابة على الأبنية والجدران:

الفصل الرابع

200-135 الغربة في التراث الإسلامي

- 137 معنى الغربة في الإسلام؛
- 143 مؤلفات المسلمين في الغربة
- 145 غربة أبي حيان النوحدي؛
- حقيقة تدبّن أبي حيان- إحراق كتبه- من كتاب الإشارات الإلهية.
- 155 مثيرات الحنين والغربة؛
- العين والدموع-الريح-البرق-خجوم السماء-الحمام-الإبل.
- 163 النخلة والحنين إلى الوطن.
- 173 الحنين إلى نجد في الشعر العربي؛
- الصمة القشيري- يزيد بن الطثيرة-الأبيوردي- حجازيات الشريف الرضي-نجد في شعر الطغرائي-نجد في كتاب المنازل والديار.

الفصل الخامس

242-201 الحنين إلى العراق ، وبغداد خاصة

- 202 1- من القدماء؛
- الأبيوردي ، عمارة بن عقيل ، طاهر بن المظفر ، أبو نواس ، مطيع بن إياس ، عبد الله بن طاهر ، إسحاق الموصلي ، علي بن الجهم ، ابن الرومي ، علي بن محمد النيرماني ، عبد الوهاب بن علي النعلبي ، أبو العلاء المعري ، أحمد بن علي الخطيب ، ابن زريق البغدادي .
- 217 2- في العصر العثماني؛
- عبد الرحمن السويدي ، أبو الثناء الآلوسي ، أحمد الشاوي ، عبد الحسين النجفي ، راضي القزويني ، عبد الغني الجميل .
- 221 3- في العصر الحديث؛
- عبد المحسن الكاظمي ، معروف الرصافي ، الصافي النجفي ، محمد رضا الشبيبي ، محمد مهدي الجواهري ، عاتكة الخرزجي ، خالد الشواف ، أحمد شوقي ، علي الجارم ، نزار قباني ، سليم الزركلي

243 مصادر الكتاب ومراجعته

فهارس الكتاب

261 فهرس موضوعات الكتاب

265 فهرس الأعلام

278 فهرس الشعر

291 الكتب الصادرة للمؤلف

295 ملخص باللغة الإنجليزية

فهرس الأعلام

(أ)

- آدم : 135.
- أبان بن سعيد بن العاص : 11.
- إبراهيم بن العباس الصولي : 125.
- إبراهيم بن عبد الله بن الحسن : 167.
- الأبيوردي (محمد بن أحمد بن إسحاق) : 173, 180, 181, 186, 192, 202.
- أحمد بن إبراهيم الكاتب : 171.
- أحمد بن حمدون : 111.
- أحمد الشاوي : 218.
- أحمد شوقي : 238.
- أحمد بن أبي طاهر : 15.
- أحمد بن عاصم : 141.
- أحمد بن علي الدلجي : 144.
- أحمد بن محمد المخزومي : 129.
- أحمد بن هشام : 127.
- الأحوص الأنصاري : 33, 158, 159, 161.
- الأحيمر السعدي : 43, 166.
- الأصفهاني = أبو الفرج الأصفهاني.
- أسامة بن منقذ : 105, 112, 124, 125, 198.
- إسحاق الموصلي : 105, 208.
- أسماء بنت أبي بكر : 123.
- أسماء الربية : 26.
- أشجع الشلمي : 107.
- أصيل الغفاري : 12.
- أعشى قيس : 23, 165.
- الأقرع بن حابس : 62.
- امروء القيس : 10, 31, 165.

أمية بن أبي الصلت : 139.

أمية بن عائذ : 83.

أوس بن حجر : 21.

ابن باجة : 137.

الباز = عبد القادر الكيلاني.

البحثري : 116, 126.

بروكلمان : 15.

البسطامي (متصوف) : 140.

البستي (محمد بن حبان) : 15.

البسوس : 25.

بشار بن برد : 104.

بشر بن أبي خازم : 58.

أبو بكر الشبلي (دلف بن جحدر) : 142.

أبو بكر الصديق : 52, 138.

أبو بكر القومسي : 146.

بلال بن أبي بردة : 212.

بلال الحبشي : 52.

(ت)

تأبط شراً : 42.

أبو تمام : 109, 199.

التوحيدي = أبو حيان التوحيدي.

ابن تيمية : 149.

(ج)

الجاحظ (عمرو بن بحر) : 12, 14, 15, 239.

جبله بن الأيهم : 23.

جحدر بن معاوية الحرزي : 46, 160.

جعفر باشا العسكري : 224.

جعفر الصادق : 139, 140.

جليل العطية : 15.

جمال الدين الأفغاني : 221.
جميل بن معمر العذري : 11, 88, 157, 158, 160.
جمانة (صاحبة ابن مفرغ الحميري) : 82.
الجواهري (محمد مهدي) : 234.
جودانة (جارية) : 167.
ابن الجوزي : 144, 148, 149.

(ح)

أبو حاتم السجستاني : 15.
حاجب الفيل : 61.
الحارث بن أسد الحاسبي : 141.
الحارث بن حاطب الجمحي : 74.
الحارث بن خالد المخزومي : 88, 155.
الحافظ الدمشقي (مسعود بن الحسن) : 63.
حبيب بن جبار : 56.
الحجاج بن يوسف : 57, 87.
أبو حردبة : 74.
الحسن البصري (الحسن بن يسار) : 11.
الحسن بن عبد الرحمن = الرامهرمزي.
الحسن بن محمد المهلبى : 118.
الحسن بن مخلد الجراح : 114.
حسنة المغنية : 169.
حسين العشاري : 218.
الحلاج (الحسين بن منصور) : 149.
حليمة الخضرية : 38.
حماد بن إسحاق الموصلي : 106.
حماد عجرد : 170, 171.
حمد الجاسر : 173.
حمزة بن القاسم الشامى : 130, 133.
حمورابي : 163.

أبو حيان التوحيدي : 16, 145, 149, 150.
أبو حية النميري : 72, 106.

(خ)

خالد بن سنان العبسي : 139.
خالد الشواف : 236.
خالد بن نضلة : 33.
خالد بن يزيد الكاتب : 115.
الخطيم الحرزي : 45, 91.
الخطابي (حمد بن محمد) : 143.
الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت) : 213.
خفاف بن ندبة : 48.
خليل مردم : 208.

(د)

داود الطائي : 149, 165.
ابن دريد (محمد بن الحسن) : 10.
دلف بن جحدر (أبو بكر الشبلي) : 142.
أبو دهب الجمحي : 54, 98, 159.

(ذ)

ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر) : 123.
أبو ذر الغفاري : 136, 139.
الذهبي (محمد بن أحمد) : 148.
ذو الرمة (غيلان بن عقبة) : 96.
ذو الصمة القشيري : 158.
ذو النون المصري (ثوبان بن إبراهيم) : 140.

(ر)

راضي القزويني : 219.
الراعي النميري : 7.
ابن الراوندي : 149.
رابعة العدوية (رابعة بنت إسماعيل) : 40, 141.

الرامهرمزي (الحسن بن عبد الرحمن) : 15.
ربيعة البصري : 15.

ربيعة بن مقروم الضبي : 21.

رباب بنت عبد المحسن الكاظمي : 221.

ابن رجب الحنبلي : 144.

رسول الله = محمد بن عبد الله. [

الرصافي (معروف بن عبد الغني البغدادي) : 225.

روضة (صاحبة وضاح اليمن) : 89.

ابن الرومي (علي بن العباس) : 209.

(ز)

الزبير بن عبد المطلب : 34 .

ابن زريق البغدادي : 123 , 205 , 213 .

ابن زريق الكاتب الكوفي 205.

زكي مبارك : 140.

أبو زياد الطائي : 198 .

زيد بن عمرو بن نفيل : 139.

(س)

ابن سبعين (عبد الحق بن إبراهيم) : 149.

السبكي : 149.

سحيم بني الحسحاس : 40 , 48.

أبو سعيد السيرافي : 149.

سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : 95.

سعيد بن عثمان بن عفان : 65 , 75 , 76.

سفيان الثوري (سفيان بن سعيد بن مسروق) : 149.

سفيان بن عُيينة الهلالي : 107.

السليك بن السلكة 48.

سَلَم بن قتيبة : 167.

سلمة بن زيد البجلي : 21.

سليم الزركلي : 241.

- أبو سليمان الداراني : 149.
 السمعاني (عبد الكريم بن محمد) : 16.
 السمهرري العكلي : 158.
 سيبويه (عمرو بن عثمان) : 129.
 السهروردي حكيم الإشراف : 143.
 ابن سيده (علي بن إسماعيل) : 9.
 سيف الدولة الحمداني : 121.
 سيما (باحث أوريي) : 18.

(ش)

- الشريف الرضي (محمد بن الحسين) : 193.
 شظاظ التميمي : 74.
 شقيق بن السليك الأسدي : 161.
 شكري بن أبي الفتوح السليماني : 125.
 الشمردل اليربوعي : 85, 159, 160.
 الشنفرى الأزدي : 43, 59.
 الشبظم بن الحارث الغساني : 24.

(ص)

- الصافي النجفي (أحمد بن علي بن صافي) : 228, 229, 230.
 صالح بن عبد الرزاق : 131.
 الصدر الرومي : 149.
 صدقة بن نافع الغنوي : 199.
 صردر (محمد بن عبد الله) : 126.
 الصمة بن عبد الله القشيري : 66, 67, 90, 155, 156, 157, 162, 173, 175.

(ض)

- ضَبَّ بن الفرافصة : 27.

(ط)

- طاهر بن الحسين : 67.
 طاهر بن عبد الله بن طاهر : 112.

- طاهر بن المظفر الخازن : 206.
 طرفة بن العبد : 10.
 الطرماح بن حكيم : 94.
 طريح بن إسماعيل الثقفي : 156, 100, 60.
 الطغرائي (الحسين بن علي) : 198, 173.
 أبو الطمحان القبني : 58, 34.
 طهمان بن عمرو الكلابي : 85.
 طَبَّاء (صاحبة الصمة القشيري) : 162.

(ع)

- عائشة بنت طلحة : 88.
 عائشة بنت محمود التونسي (زوجة عبد الحسن الكاظمي) : 221.
 عاتكة وهبي الخزرجي : 236.
 عامر بن الطفيل : 26.
 عامر بن لؤي : 85.
 عبد الرحمن بدوي : 145.
 عبد العزيز بن مروان : 84.
 عبد الكريم بن هوازن القشيري : 136.
 عبد الله بن الزبير : 123, 83.
 عبد الله بن الزبير الأسدي : 60.
 عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي : 207, 108, 104, 69, 67.
 عبد الله بن كعب العميري : 165.
 عبد الحسين محبي الدين النجفي : 219.
 عبد الرحمن بن زين الدين السويدي : 217.
 عبد العزيز بن مروان : 171, 55.
 عبد الغني الجميل : 220.
 عبد القادر باش أعيان : 224.
 عبد القادر الكيلاني (الجيلاني ، الباز الأشهب) : 218.
 عبد الكريم بن محمد السمعاني : 16.
 عبد الحسن الكاظمي : 221 — 225.

- عبد الملك بن مروان : 70 , 72 .
- عبد الوهاب بن علي الثعلبي : 211 .
- عبله العيسية (صاحبة عنثرة) : 36 , 37 , 48 .
- عبيد بن أيوب : 41 , 42 , 45 , 46 .
- عبيد الله بن أبي بكره الثقفي : 65 .
- عبيد الله بن الحر الجعفي : 57 , 157 .
- عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي : 210 .
- عبيد الله بن عبيد الله الخافض : 209 .
- عبيد الله بن قيس الرقيات : 84 , 172 .
- عثمان بن عفان : 27 , 170 .
- أبو عثمان المازني (بكر بن محمد بن حبيب) : 106 .
- ابن عربي (محمد بن علي محبي الدين) : 140 , 143 , 144 , 149 .
- العرجي (عبد الله بن عمر) : 158 , 160 .
- عروة بن حزام : 52 .
- عروة العجلاني : 81 .
- عروة بن الورد : 44 .
- العُزَّى (صنم) : 163 .
- عشتار(عشتروت) : 164 .
- ابنة عفزر : 32 .
- عُقيبة بن هُبيرة الأسدي : 70 .
- أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله) : 149 , 211 .
- علي الجارم : 238 .
- علي بن جبلة (العكوك) : 207 .
- علي بن الجهم : 111 , 113 , 208 .
- علي بن أبي طالب : 17 .
- علي بن محمد التهامي : 123 .
- علي بن محمد بن خلف النيرماني : 210 .
- علي بن موسى الرضا : 170 .
- عَلِيَّة بنت المهدي : 107 .
- عمر بن الخطاب : 13 , 23 .
- عمر بن أبي ربيعة : 10 , 90 .

عمرو بن أحمر الباهلي : 54, 72.
 عمرو بن الحارث بن عمرو الجرهمي : 51.
 أبو عمرو بن العلاء (زَيَّان بن عَمَّار) : 149.
 عمرو بن قميئة : 32, 37.
 عمرو بن قيس (ابن أم مكتوم) : 52.
 عمرو بن هند : 22.
 عمرو بن الوليد بن عقبة (أبو قطيفة) : 83.
 عمرو بن معديكرب الزبيدي : 25.
 عمرو بن هبيرة : 22.
 عمارة بن عقيل : 204.
 عَميرة بنت بشر بن أبي خازم : 58.
 عنتره بن شداد العبسي : 10, 36, 37, 48.
 عوف بن عامر : 27.
 عوف بن محلم : 67, 68, 69, 108.

(غ)

ابن الغريرة (كثير بن عبد الله) : 62.
 الغزالي (محمد بن محمد) : 144.
 الغزولي (علي بن عبد الله) : 1, 13.
 غويث الكعبي : 74.
 غيلان بن عقبة (ذو الرمة) : 212.

(ف)

ابن فارس (أحمد بن فارس) : 148.
 أبو الفتح البستي : 147.
 أبو فراس الحمداني : 121, 122.
 أبو الفرج الأصفهاني : 66, 79, 80, 112, 127, 133, 167.
 الفرزدق (همام بن غالب) : 162.
 فرعون : 138.

(ق)

- القتال الكلابي : 56.
القريظة : 199.
القزويني : 207.
قس بن ساعدة الإيادي : 139.
القشيري (عبد الكريم بن هوازن) : 136, 139, 144.
أبو قطيفة (عمرو بن الوليد) : 83.
قعنب بن أم صاحب : 200.
القمقام الأسدي : 106.
قيس بن الخدادية : 48.
قيس بن ذريح (قيس لبنى) : 159.
قيس بن الملوح (قيس ليلى) : 78, 81, 82, 142, 161.
قبصر (ملك الروم) : 32.
ابن قيّم الجوزية : 139, 144.

(ك)

- كافور الإخشيدى : 121.
كلثوم بن عمرو (العتّابي) : 108.
كثير عزة (كثير بن عبد الرحمن الخزاعي) : 92, 156.
كثير بن عبد الله التميمي = ابن الغريبة.

(ل)

- ليبد بن ربيعة العامري : 128, 165.
ليلى العامرية : 79.

(م)

- مالك بن الربيع : 57, 59, 64, 65, 74, 77, 80, 156, 159, 162.
المؤمل بن جعفر البندنجي : 132.
المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد) : 127, 114, 238.
المبرد (محمد بن يزيد) : 199.

- المتلمس (جرير بن عبد المنسيح) : 17, 22.
 المتنبي (أحمد بن الحسين) : 118, 193.
 المتوكل العباسي (جعفر بن محمد) : 111, 112.
 المتوكل الليثي : 159, 160.
 مجنون ليلى = قيس بن الملوح.
 محمد بن أحمد بن إسحاق (الوشاء) : 15.
 محمد بن أحمد بن إسحاق = الأبيوردي.
 محمد بن بشير الخارجي : 99, 156.
 محمد بن حبان = البستي.
 محمد حسين الكاظمي : 232.
 محمد بن داود الأصبهاني : 209.
 محمد رضا الشيببي : 233.
 محمد بن سهل بن المرزبان : 15.
 محمد عبده : 221.
 محمد عبد الصمد : 129.
 محمد بن عبد الله (رسول الله []) : 12, 18, 52, 135, 138, 238.
 محمد بن عبد الله = صرد.
 محمد بن عمران بن المرزبان : 16.
 محمد بن يحيى الصولي : 15.
 محمود الألوسي (أبو الثناء شهاب الدين) : 217.
 المدائني (علي بن محمد) : 34.
 مرة بن عوف : 103.
 ابن المرزبان (محمد بن سهل البغدادي) : 15.
 مروان بن أبي الجنوب : 111.
 مروان بن الحكم : 56, 74.
 مسعود بن الحسن : (الحافظ الدمشقي) : 63.
 مصطفى عبد البرازق : 221.
 مصعب بن الزبير : 57.
 مطيع بن إلياس : 167, 168, 169, 171, 206.
 معاوية بن أبي سفيان : 27, 70, 204.
 المعتصم العباسي (محمد بن هارون الرشيد) : 238.

- معروف الكرخي : 139.
 ابن مفرغ الحميري : 82.
 ابن أم مكتوم = عمرو بن قيس.
 المنصور العباسي (عبد الله بن محمد أبو جعفر) : 167, 168, 169, 201.
 المهدي العباسي (محمد بن عبد الله) : 169.
 مهلهل بن ربيعة : 25.
 موسى بن عيسى الكسروي : 15.
 الموفق العباسي (طلحة بن جعفر) : 142.
 ابن المولى (محمد بن عبد الله) : 104.
 ابن ميادة (الرماح بن أبرد) : 103.
 ميسون بنت بحدل (زوجة معاوية) : 27, 28.
 مي (صاحبة ذي الرمة) : 97.

(ن)

- نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة : 27.
 أبو نباتة الكلابي : 199.
 ابن النجار : 149.
 نبهان بن عكّي العبشمي : 38.
 نخلتا حلوان : 167, 168, 169.
 ابن النديم (محمد بن إسحاق) : 16.
 نزار قباني : 240.
 أبو النشناناش : 44.
 نصيب بن رباح : 55, 94, 95.
 أبو نواس (الحسن بن هاني) : 206.

(هـ)

- هارون الرشيد : 105, 107, 128, 170, 235, 238.
 هدبة بن الحنشرم العذري : 77, 157.
 هرم بن حبان العبدي : 22.
 هرمز بن سابور : 130.
 الهروي الأنصاري : 141, 144.

هشام بن الوليد : 101.

أبو هلال العسكري : 23.

(و)

الوائق العباسي (هارون بن محمد) : 208.

وجيهة بنت أوس الضبيّة : 26.

ورّاد (ابن عم محمد بن بشير) : 99.

ورد بن الورد الجعدي : 63.

الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق) : 15.

وضاح اليمن (عبد الرحمن بن إسماعيل) : 89.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك : 100.

(ي)

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : 101, 149, 204.

يحيى بن الحكم بن أبي العاص : 72.

يحيى بن طالب الحنفي : 105.

يزيد بن الطثرية : 99, 157, 160, 173, 179.

يزيد بن عبد الملك : 93.

يزيد بن معاوية : 70.

اليمان بن أبي اليمان البندنجي : 104.

يوسف بن أسباط : 149.

فهرس الشعر

رَفْعُ
عبد الرحمن النخعي
أسلمة النخعي

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
233	(أ) الصافي النجفي	أراها	با دعوة للدار
184	الأبيوردي	نراها	هي الجرعاء
	(ب)		
6	عبد الله بن الزبير الأسدي	تذهبُ	عشية قالت
120	المتنبي	وأندبُ	يضاحك في
125	شكر بن أبي الفتوح السليماني	يُجتنَبُ	فوض خيامك
207	مطيع بن إياس	نطربُ	ويوم ببغداد
100	طريح بن إسماعيل	أقترَبُ	فلا أراني
222	عبد المحسن الكاظمي	يذوبُ	وفي مصر أراك
221	عبد المحسن الكاظمي	الطروبُ	جوى أودى
157	هدبة بن الحنشر	تؤوبُ	ألا ليت الرياح
63	شاعر	خطوبُ	أقمربة الوادي
55	نصيب بن رياح	أؤوبُ	وإن وراء ظهري
39	شاعر	الصحا	ألا يا حبذا
122	عبد المحسن الكاظمي	الغريبُ	وأصبو للحمى
150	شاعر	غريبُ	وما جزعاً
28	امراة من بني شيبان	معيبُ	أصبحت في آل
34	شاعر	لعجيبُ	وإن اغتراب
185	الأبيوردي	خصيبُ	ومرتب من
77	هدبة بن الحنشر	قريبُ	عسى الكرب
78	قيس بن الملوح	غريبُ	أظل غريب الدار
64	الحافظ الدمشقي	غريبُ	أخلاي إن
92	كثير عزة	سليبُ	وما زلت
63	ورد بن الورد الجعدي	غريبُ	أمغترياً أصبحت
33	امرؤ القيس	عسبُ	أجارتنا إن المزار
17	المتلمس	جانبهُ	ألا أبلغا

44	أبو النشاش	مذاهبهُ	وسائلة أين
125	أسامة بن منقذ	واقترابُهُ	أحبابنا من غاب
236	عائكة الخزرجي	ركبُهُ	وسئلتُ حينَ
172	عبيد الله بن قيس الرقيات	عِيبُهُ	سقباً خلوان
106	حماد بن إسحاق الموصلِي	سحابُها	أحبُّ بلادَ الله
157	الصمة القشيري	هبوبُها	إذا ما أتننا
26	عمرو بن معد يكرب	غرُبا	هاج لك الشوق
99	محمد بن بشير	رجبا	لقد أقمْتُ
56	القنال الكلابي	زينبا	ألا هل أتى
23	الأعشى	مغضبا	ومن يغترب عن قومه
58	بشر بن أبي خازم	الركابا	أسائلة عميرة
165	الأعشى	سَيَّابا	أيامَ جَلَو لَنَا
27	نائلة بنت الفرافصة	أركبا	ألمستُ ترى بالله
89	وضاح اليمن	والحبِبا	أبتُ بالشام
114	شاعر	الكربِ	إذا أشرف
128	شاعر	قربِ	يا معشرَ الغرياء
126	البحثري	للمغربِ	كم مشرق
33	خالد بن نضلة	مركبِ	لعمري لرهط
124	أسامة بن منقذ	ولم أغِبِ	علامَ يا دهرَ
78	قيس بن الملوح	على الحبِّ	ومغتربٍ بالمرج
107	عليه بنت المهدي	على الحبِّ	ومغتربٍ بالمرج
23, 13	شاعر	في اغترابِ	لقربُ الدار
48	عنبرة العباسي	الأطايِبِ	ينادونني في السلم
129	شاعر	حبِيبِ	رحمَ الله من دعا
131	شاعر	لحبِيبِ	نفسِي الفداء
115	شاعر	غريبِ	إن الغريبَ
130, 100	فلان الهروي	كل غريبِ	سقى الله أرضَ
228	الصفافي النجفي	قريبِ	لقد تغريتُ
141	الحارث المحاسبي	غريبِ	أنا في الغربة
78	قيس بن الملوح	غريبِ	فلي قلب محزون
49	سحيم بني الحسحاس	الأديبِ	ليس يزري السواد
27	وجبهة الضبَّية	قلبي	وعاذلة تغدو
113	أسامة بن منقذ	وأحبابي	أشتاق أهلي

240	نزار قباني	عتابي	مُدِّي بساطك
133	المؤمل البندنجي	يغاضبُ	يا من على الدنيا
(ت)			
187	الأبيوردي	تمنت	وآلفة للخدر
162	الصمة القشيري	فجئتُ	ووجدني بطيًّا
156	الصمّة القشيري	استهلتُ	ألا من لعينٍ
59	الشنفري الأزدي	عُذرتي	ألا لا تلمني
56	نصيب بن رباح	ثابت	ليس السواد بناقصي
(ج)			
65	أعشى همدان	الأعوج	أسمعت بالجيش
(ح)			
160	جميل بن معمر	تصدق	ويوم وردنا
21	سلمة بن زيد البجلي	ومنادُ	ولاي خير في
159	أبو دهبل الجمحي	ينوحُ	وأرقني بالريِّ
109,68	عوف بن محلم	فتزوحُ	في كل عام غربة
108	أبو كبير الهذلي	تنوحُ	ألا يا حمام الأيك
98,54	أبو دهبل الجمحي	فتربحُ	أفي كل عام
65	مالك بن الربيع	الشيخُ	هبتُ شمالُ
196	الطغراني	سابعُ	أرقتُ لبرقٍ
160	يزيد بن الطثيرة	قريحُ	تذكرتُ ليلي
58	أبو الطمحان القيني	الجوانحُ	ألا عللاني قبل
(خ)			
209	محمد بن داود الأصفهاني	بالكرخ	يهيمُ بذكر الكرخ
(د)			
88	جميل بن معمر	بعودُ	ألا ليت أيام
81	مالك بن الربيع	لسعيدُ	ألا ليت شعري
79	قبس بن الملوح	بردُ	لقد عارضتنا الريح
72	الراعي النميري	قصدوا	أزرى بأموالنا
111	علي بن الجهم	لا يغمُدُ	قالت حُبستُ
117	البحثري	شروءُ	نقاذف بي
116	خالد بن يزيد الكاتب	ما أجدُ	الله يعلم
119	المتنبي	يولدُ	أما الفراقُ
120	المتنبي	وَعُدَّ	انم إلى هذا

175	الصمة القشيري	سَعْدُ	ألا ليت شعري
233	الصادي النجفي	بغدادُ	قد كفاني تغربُ
124	ابن الرومي	جديدُ	بلدُ صحبتُ
193	القريظية	جدا	سقى الله جُداً
191	الأبيوردي	بما وعدا	إن أخلف الوعد
198	أبو زياد الطائي	جدا	أحقاً عباد الله
173	الصمة القشيري	جَهْدَا	خليليَّ إن
208	إسحاق الموصلي	بُعْدَا	أتبكي على بغداد
10	طرفة بن العبد	ترعدُ	على موطن يحش
142	أبو بكر الشبلي	بوجدي	باح مجنون عامر
161	شقيق الأسدي	وجدِي	وقد هيَّجت شوقي
179, 157	يزيد بن الطثيرة	على وجدِي	ألا يا صبا جُدْ
156	كثير عزة	إلى جُدْ	فطوراً أكرُ
122	أبو فراس الحمداني	المشرَّدُ	دعوتك للجفن
182	الأبيورد	من الوجِدْ	خليليَّ إنَّ الحب
193	الشريف الرضي	ربا جُدْ	خذي نفسي
99	يزيد بن الطثيرة	من ردَّ	ألا هل من
199	أبو تمام	من بردُ	شهدت لقد
200	رجل من تميم	العهدُ	حُنت فلوصي
195	الطغراني	صبا جُدْ	أبا حادي الأضعان
213	شاعر	على بُعْدِ	ولما جاوزتُ
22	المتلمس	فليبعدُ	إن العراقُ
131	شاعر	مسعدُ	يا أهل مكة
52	عمرو بن قيس	وعَوَّادي	يا حبذا مكة
116	البحثري	بحامدُ	من كان يحمُدُ
57	مالك بن الربيع	ببعسادُ	فلإن تنصفوا
43	عبيد بن أيوب	وبالبعادُ	وحالفت الوحوش
36	عنتره العبسي	فؤادي	أرض الشرِّية
37, 10	عنتره العبسي	والأولادُ	أحرقنني نأراً
191	الأبيوردي	سَعَادُ	قفا بنجدِ
118	المتنبي	فعودُ	ضاق صدري
238	علي الجارم	التليدُ	بغداد يا بلد الرشيدِ
116	البحثري	الشرودُ	أجز من غلةِ

118	المتنبى	اليهود	ما مقامي بأرض خلعة
119	المتنبى	البنود	عش عزيزاً
38	نبهان العيشمي	المتقاود	يقر بعيني أن
56	القتال الكلابي	طريد	جزى الله عنا
70	عقبة بن هبيرة الأسدي	الحديد	معاوية إننا بشر
(ج)			
72	عمرو بن أحمر الباهلي	والخسر	يا يحيى يا ابن
51	عروة بن مضاض الجرهمي	سامر	كان لم يكن
81	قبس بن الملوح	يقصر	أحن إلى
232	الصافي النجفي	الفكر	بمفرق للطرق
232	الصافي النجفي	النصر	وكان لي سهم
231	الصافي النجفي	المنحر	أراني مدى الأيام
225	عبد المحسن الكاظمي	المفسر	أبغداد لا فانتك
117	البحثري	ثمر	وعبرتني سجال
130	شاعر	زائر	فهل نحو
176	الصمة القشيري	أنظر	أكر طرفي
234	الجواهري	ثغر	بدت خوداً
235	الجواهري	مصر	كفى العباس
43	الأحيمر السعدي	أطير	عوى
44	الأحيمر السعدي	بعير	وإني لأستحيي
46	جحد بن معاوية	استغفار	إني دعوتك
64	شاعر	المذرور	داري يمر
110	أبو تمام	وإن كثروا	إن الكرام كثير
190	الأبيوردي	الأباعر	شجاني بأعلام
166	الأحيمر السعدي	مطير	أيا خللات الكرم
211	شاعر	مقاديـر	طيب الهواء
128	ليبد بن ربيعة	قد يضرة	المرء يأمل
237	خالد الشواف	منيرة	عوجوا على عدوة
83	أبو قطيفة	وحاضرة	ألا ليت شعري
219	عبد الحسين النجفي	نزورها	ألا ليت
32	امرو القيس	بقيصر	بكى صاحبي
33	حاتم الطائي	أحمرا	حننت إلى الأجبال
44	عروة بن الورد	فأكثرا	إذا المرء لم

82	ابن مفرغ الحميري	نارا	سما برق
159	الأحوص	فانشمرا	أراقب النجم
31	امرؤ القيس	فعرعرا	سما لك شوق
10	امرؤ القيس	وميسرا	وما جنت خيلي
102	شاعرة	قبرا	خليلي إن حانت
162	الفرزدق	ضمّرا	وليلة بتنا
161	قيس بن الملوّح	الوكير	ألا ليتنا كنا
98	العرجي	ثغر	أضاعوني وأي فتى
91	الخطيم الحرزي	السدر	ألا ليت شعري
160	جميل بن معمر	من صبر	أبكي حمام
218	أحمد الشاوي	للذكر	تذكرت ما بين
206	طاهر الخازن	والجسر	سقى الله
45	الخطيم الحرزي	من عمرو	أبت لي سعد
45	عبيد بن أيوب	معشر	لقد خفت
35	أبو الطمحان القيني	معشر	ألا حنت المرقال
37	عنتره العبسي	أذقر	أرض الشريرة
209	علي بن الجهم	ولا أدري	عبو المها
175	الصمة القشيري	والضمار	أقول لصاحبي
161	الأحوص الأنصاري	السّواجير	فأنت إلى سلمى
161	شاعر	النواضر	جمائم لم تهتج
228	الصابي النجفي	لداري	تعرّ بصير
195	الطغراني	السّفار	أقول له
193	الشريف الرضي	الساري	يا قلب ما أنت
206	شاعر	المنابر	أبغداد يا دار
21	الصمة القشيري	فالضمار	أقول لصاحبي
47	جحدر بن معاوية	ومقدار	يا نفس لا جزعني
46	عبيد بن أيوب	النار	يا رب قد
23	جبله بن الأيهم	لها ضرر	تنصرت الأشراف
126	صدر	القصور	قلقل ركابك
220	عبد الغني الجميل	ثم طار	لهفي على بغداد
(ز)			
164	شاعر	إعواز	أكلت ربها حنيفة

(س)

199	أبو نباتة الكلابي	الرواجسُ	أريتكَ إنْ جُددًا
205	ابن زريق الكاتب	الياسُ	سافرت أبغي

(ض)

197	الطغراني	مرضا	يا صاحبي أعيناني
205	عمارة بن عقيل	الخنْفُضِ	أعابتَ في
167	عبد الرحمن الداخل	لبعضي	أبها الركبُ الميممُ

(ط)

188	الأبيوردي	قَطُّ	يا جُدُّ ما لأحبَّتي
-----	-----------	-------	----------------------

(ع)

75, 74	مالك بن الربيع	فيمعُ	أحقاً على السلطان
96	ذو الرمة	تدمعُ	أمن دمنه
110	أبو تمام	مُجَدَّعُ	لقد سأسنا
107	أشجع السلمي	تدمعُ	ومغترب ينقضي
158	الأحوص الأنصاري	لامعُ	أصاح ألم خزنك
158	جميل بن معمر	يلمعُ	وليلة بتنا
157	عبد الله بن الحر	أجزعُ	ستعلم إن مالت
92	كثير عزة	يودعُ	إلى الله أشكو
61	حاجب الفيل	فمودعُ	لما رأته بنني
57	عبد الله بن الحر الجعفي	يُروِّعُ	أتاني وعيدُ
84	أمية بن أبي عائذ	راجعُ	منى أركب
93	الأحوص الأنصاري	نافعُ	أقول بعمَّان وهل
160, 98	العرجي	السواجعُ	ومما يهيج القلب
129	شاعر	وأوجعوا	رحل الأُحبة
94	نصيب بن رباح	روانعةُ	سرى الهمُّ
213	ابن زريق البغدادي	يسمعهُ	لا تعذليه فإنَّ
123	علي التهامي	ومرتعهُ	استودع الله
153, 114	علي بن الجهم	صنعا	وارحمنا للغرب
91	الصمة القشيري	يودعا	قفا ودعا جُداً
156	الصمة القشيري	تدمعا	فلبست عشيات
176	الصمة القشيري	بلقعا	خليلي عوجا

42	تأبط شرّاً	المعى	قليلٌ آذخار
113	علي بن الجهم	منفعة	عمرك ما كل
164	شاعر	الجماعة	أكلت حنيفة ربّها
212	أبو العلاء المعري	من اللذع	أودعكم يا أهل

(ف)

211	عبد الوهاب الثعلبي	المضاعف	سلام على بغداد
210	عبيد الله بن عبد الله	قصّف	أبرحل ألف
28	ميسون بنت بحدل	منيف	لبيت خفّق
87	أعشى همدان	سكّشّف	وإذا تُصَبِّك
40	سحيم بني الحسحاس	الضعاف	لقد زاد الحياة

(ق)

86	الشمردل اليربوعي	وتعترّق	يا أم حرب
100, 60	طريح بن إسماعيل الثقفي	منطلق	تقول والعيس
225	معروف الرصافي	مُعَرِّق	لعمرك أقصاني
159	الشمردل اليربوعي	الرّقّق	أرعى الثريا
158	العرجي	يخفّق	أرقت بسلّع
156	طريح بن إسماعيل الثقفي	تستبق	فاستبق عينك
196	الطغرائي	رقاق	يا حبذا نجد
118	الحسن بن محمد المهلبى	شائق	أحنّ إلى بغداد
207	شاعر	أحداقها	أها على بغدادها
188	الأبيوردي	رفقا	الأم على نجد
234	محمد رضا الشيبى	التشوّق	ببغداد أشتاق
49	سحيم	والورق	أشعار عبد بني
208	عبد الله بن طاهر بن الحسين	المهراق	ناحت مطوّقة
219	راضي القزويني	التلاقي	أحبّتنا بزوراء
194	الشريف الرضي	الأشواق	أها على نفحات
104	بشار بن برد	المهراق	ناحت مطوّقة
	أو عبد الله بن طاهر		

(ك)

91	عبد الله بن همام السلولي	وأوطانكا	بكيّت العشيرة
219	عبد الرحمن السويدي	شجواك	لولاك يا بلدة

159	قيس بن ذريح	جول	لولاك يا
52	بلال الحبشي	وجليل	ألا ليت شعري
202	الأبيوردي	سيل	أضاء بريق
217	أبو الثناء الألويسي	سهل	حداني إلى الزوراء
204	الأبيوردي	النجل	يا رم مالي
198	الطغرائي	مقيل	ألا حبذا شد
113	علي بن الجهم	سيل	أزید في الليل
123	أبو فراس الحمداني	بدیل	مصابي جليل
105	يحيى بن طالب الحنفي	سبيل	ألا هل إلى شمم
106	أبو حية النميري	سبيل	ألا هل إلى نصّ النواعج
150	أبو حيان التوحيدي	ذبل	إن الغريب
165	عبد الله بن كعب العمري	سبيل	أيا خلعتي مران
43	الشنفري الأزدي	لاميل	أقيموا بني أمي
85	الشمردل اليربوعي	وايلك	سقى جدنا
34	شاعر	أشاكك	وأنزني طول
160	الشمردل اليربوعي	حبائل	وهاتف فوق
35	شاعر	الشملا	ألا ليت شعري
21	شاعر	أخولا	أقيم بدار الحزم
75	مالك بن الربيع	نزلا	أدجنت في مهمه
71	الراعي النميري	وعويلا	أبلغ أمير المؤمنين
111	أبو تمام	وموصلا	سأقطع أمطاء
			المطايا
14	شاعر	الأهلا	وكل غريب
105	ابن المولى	ضلالا	ذهب الرجال
112	علي بن الجهم	مجهولا	لم ينصبوا بالشادياخ
25	مهلهل بن ربيعة التغلبي	القتالا	ليس مثلي
211	أبو العلاء المعري	كهولا	كلفنا بالعراق
29	شاعرة	الأمل	نظرت ودوني
22	عمرو بن هبيرة	يتذلل	أبي الله للحيران
130	شاعر	المحل	نزلت على آل
31	شاعر	والأموال	نحن نفديك
212	أبو العلاء المعري	ومالي	طرين لضوء

85	ابن قيس الرقيات	وقذال	إن تريني
167	عبد الرحمن الداخل	عن الأهل	يا لخل أنت فريدة
166	عبد الرحمن الداخل	بلد النخل	تبدت لنا
103	ابن ميادة	أهلي	ألا ليت شعري
157	جميل بن معمر	النحول	أيا ريح الشمال
151	ذو الرمة	البلابل	لعل انحدار الدمع
157	الصمة القشيري	المنطاول	نظرت وطرف
84	ابن قيس الرقيات	الرحال	حبذا الحج
165	امرؤ القيس	التعكل	وفرع بعشي
52	أبو بكر الصديق	نعله	كل امرئ مصبح

(م)

95	نصيب بن رباح	لنائم	لقد هتفت
165	أبو دواد الأيادي	السهم	وتراهن في الهواج
241	سليم الزركلي	والمعالم	أحقاً ترى
95	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	فبعلم	برح الخفاء
172	أبو دواد الأيادي	السهم	وتراهن في
121	المتنبي	النائم	فؤاد ما
156	محمد بن بشير الخارجي	وهموم	بانث لعبتك
165	لبيد بن ربيعة	حزوم	فكان طعن
144	ابن الجوزي	المخيم	وحي على جنان
106	القمقام الأسدي	ذميم	اقرأ على الوشل
26	أسماء المرساة	قدومها	أيا جبلي
38	عمرو بن قميئة	أعلامها	قد سألتني بنت
155	الحارث المخزومي	سجما	بالخيف هاجت
160	المتوكل الليثي	حماما	طربت وشاقني
22	هرم بن حبان العبدي	وظالما	وجدت الفتى
21	ربيعة بن مقروم	كرما	ودار الهوان
24	الشبظم الغساني	فهو ما	لحي الله صعلوكاً
192	الأبيوردي	وسقاكما	خليلي هذا
159	المتوكل الليثي	سجاما	أراعي التالبات
169	وضاح اليمن	جناكما	أيا لختي وادي
21	ربيعة بن مقروم	كرما	ودار الهوان

229	الصافي النجفي	بالهَمَّ	توالت عليَّ
25	مهلهل بن ربيعة	أدم	أنكحها فقدها
183	الأبيوردي	والسَلَمَ	ولوعة بَتَّ
121	المتنبي	الحَطَمَ	الدهرُ يعجبُ
55	عمرو بن أحمر	وجورِمَ	قيا راكباً إمَّا
181	الأبيوردي	للمراحِمِ	مزجنا دماً
238	أحمد شوقي	التَّوَمَ	دعْ عنكَ
38	شاعر	للهماهم	إذا ما ذكرتُ
132	شاعر	راغمِ	قالوا غداة غد
129	محمد بن عبد الصمد	السهامِ	شردتني نوابُ
87	أعشى همدان	عديمِ	وكانت أصبهانُ

(ن)

200	قعنْب بن أم صاحب	والخَضَنَ	قد كنتُ
180	الأبيوردي	الحَزَنَ	الناس بالعبد
166	شاعر	أو عَدَنَ	لأرحلَنَّ المطايا
10	عمر بن أبي ربيعة	الشَّجَنَ	قد هاج قلبك
101, 88	الحارث الخزومي	قَمَنَ	من كان يسأل
124	أسامة بن منقذ	ولا خُلَّانَ	أبن السَّلَو من
82	قيس بن الملوح	وهو كائنُ	وإني لَمُفَن
120	المتنبي	سَكَنَ	بسمِ التَّعَلُّلُ
151			
46	عبيد بن أيوب	مجنونُ	يا ربَّ عفوكَ
185	الأبيوردي	حنينُ	نظرت وللأدمِ
147	أبو الفتح البُستي	أوطانُ	إذا نبا بكرمِ
62	كثير بن عبد الله التميمي	بالجوزجانِ	سقى مَزَنُ السحابِ
83	أبو قطيفة	القرائنُ	ألا ليت شعري
11	عمر بن أبي ربيعة	أوطائهُ	ذكر البلاطَ
162, 158	الصمة القشيري	حنيئها	وحَنَّتْ قُلوصي
178			
39	شاعر	قَطَنًا	سَلَمَ على قَطَنٍ
229	الصافي النجفي	وجيرانا	يا خل صيداء
213	الخطيب البغدادي	المتزهينا	على بغداده
112	علي بن الجهم	الوطنَا	يشنأ كلَّ غريبٍ

224	عبد المحسن الكاظمي	مسكونا	سكن بالحمى
13	شاعر	حيثما كانا	لا ترغبوا إخوتي
124	أسامة بن منقذ	والسكن	أهكذا أنا
11	جميل بن معمر	شجني	أنا جميل والحجاز
107	سفیان بن عَیْنَة لالهالي	في الوطن	جسمي معي
115	شاعر	والحن	لا تنهرن غريباً
90	عمر بن أبي ربيعة	عدن	هيهات من أمة
114	الحسن بن مخلد بن الجراح	والحن	من للغريب
189	الأبيوردي	أو حصن	أرض العذيب
186	الأبيوردي	الحن	البلتنا بالحن
205	عمارة بن عقيل	ما حين	ما مثل بغداد
62	شاعر	الرعان	وكيف أجيب
222	عبد المحسن الكاظمي	المعاني	عسى بغداد
109	أبو تمام	وأحزاني	ما اليوم أول
160	جحدر بن معاوية	جأوبان	ألا قد هاجني
27	امراة من بني أبان	مغتربان	ألا أيها البكر
125	إبراهيم الصولي	وأوطان	لا يصرمك من عزم
169 . 168	مطيع بن إياس	الزمان	أسعداني يا خلتي
171	شاعر	دعاني	أيها العاذلان
223	عبد المحسن الكاظمي	ما عراني	هل الزوراء تعلم
171	أحمد بن إبراهيم	مؤتلفان	فكذاك الزمان
231	الصافي النجفي	عالم ثان	غريب ولو ما بين
80	قيس بن الملوح	رآني	وأجهشت للتوباد
171	حماد عجرد	حلوان	جعل الله
229	الصافي النجفي	النسيان	جرح التغرب
85	طهمان بن عمرو الكلابي	مختلفان	وإني والعبسي
94	الطرماح بن حكيم	القاقزان	طربت وشافك
35	شاعر من بني كلاب	غرضان	فمن يك لم يغرض
53	عروة بن حزام	لمختلفان	هوى ناقتي
228	الصافي النجفي	التسعين	سني بروحي
226	معروف الرصافي	وتبليني	هي المواطن
11	عمر بن أبي ربيعة	الوطن	إن من نهوى
68	عوف بن محلم	المغربان	يا ابن الذي دان

131	الأحد المغتربين	المَحْنُ	فيا ليت شعري
126	البحثري، أو أبو نواس	الوطنُ	إذا نلتَ في
97	العرجي	اليَمَنُ	هاج قلبي
113	علي بن الجهم	الوطنُ	طلبُ المعاش
207	علي بن جبلة	جَنَّةُ	لهضي على بغداد

(ي)

210	علي بن محمد النيرماني	باليا	خليلي في بغداد
242	شاعر	ودياريا	فدئ لك يا بغداد
162	شاعر	الفيا فيا	وهل أترك العيس
158	السمهري العكلي	عنانيا	أعني على برقي
156, 59	مالك بن الرب	مراعي	أقلب طرقي
159	مالك بن الرب	بداليا	أقول لأصحابي
194	الشريف الرضي	مداويا	عمت دوائي
77	مالك بن الرب	لا تدانيا	غريب بعيد
67	الصمة القشيري	المطالبا	ألا تسألن الله
81	مالك بن الرب	النواجيا	ألا ليت شعري
64	مالك بن الرب	وفاتبا	ولما تراءتُ
59	مالك بن الرب	باكبا	تذكرت من يبكي
41	عبيد بن أيوب العنبري	بنانيا	أذقني طعم
133	شاعر	واللهي	ولي همّة أدنى
190	الأبيوردي	برويها	وسرحة برّيا جِد

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الكتب الصادرة للمؤلف

(1) الإسلام والشعر.	مكتبة النهضة، بغداد 1964.
(2) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه.	مكتبة النهضة، بغداد 1964
	مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، 1983، 1998.
(3) ديوان العباس بن مرداس السلمي.	وزارة الإعلام، بغداد 1968 مؤسسة الرسالة، بيروت 1992.
(4) الجاهلية (مقدمه في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي)	مطبعة المعارف، بغداد 1968 دار القلم.
(5) شعر النعمان بن بشير الأنصاري	مطبعة المعارف، بغداد 1968 دار القلم، الكويت 1985
(6) شعر عروة بن أذينة.	مكتبة الأندلس، بغداد 1970، دار القلم، الكويت 1981، 1983.
(7) ليبيد بن ربيعة العامري.	مكتبة الأندلس، بغداد 1970
	دار القلم، الكويت 1981
(8) شعر المتوكل اللبشي	مكتبة الأندلس، بغداد 1971
(9) شعر الحارث بن خالد المخزومي.	مطبعة النعمان، النجف 1973، دار القلم، الكويت 1983
(10) الشعر الجاهلي -نصائمه وفنونه.	دار التربية ، بغداد 1972، مؤسسة الرسالة -بيروت 1997، 1982، 1985، 1990، 1995، 2000. جامعة قاريونس، بنغازي 1993

(11) شعر عبدة بن الطبيب.	دار التربية، بغداد 1972
(12) شعر عبد الله بن الزبير الأسدي.	وزارة الإعلام ، بغداد 1974
(13) شعر أبي حية النميري.	وزارة الثقافة، دمشق 1995
(14) شعر عمرو بن شأس الأسدي.	مطبعة الآداب، النجف 1976 دار القلم، الكويت 1983
(15) شعر عمر بن لجأ التيمي.	مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1981.
(16) الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العرب (ترجمة عن الإنجليزية)	منشورات جامعة بغداد 1976
(17) ديوان الطغرائي (بالاشتراك)	مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1983
(18) شعر هدية بن الخشرم العذري.	وزارة الثقافة، دمشق 1976 دار القلم، الكويت 1985
(19) أصول الشعر العربي . د. س. مرجليوث (ترجمة عن الإنجليزية)	مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978، 1981، 1988 جامعة قار يونس، بنغازي 1994
(20) عبد الله بن الزبيرى حياته وتحقيق شعره	معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1978 مؤسسة الرسالة، بيروت 1981
(21) كتاب الحن لأبي العرب التميمي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 الطبعة الثانية 1988، الطبعة الثالثة 2006.
(22) ديوان أحمد بن يوسف الجابر. (الاشتراك) دراسة وتحقيق .	مركز الوثائق، جامعة قطر 1984
(23) الزينة في الشعر الجاهلي.	دار القلم، الكويت 1984
(24) قصائد جاهلية نادرة. (دراسة وتحقيق)	مؤسسة الرسالة، بيروت 1982، 1988

(25) شعر خدّاش بن زهير العامري. (دراسة وتحقيق) .	مجمع اللغة العربية، دمشق 1976
(26) الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل) للملك الرسولي (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987
(27) الملابس العربية في الشعر الجاهلي .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1989
(28) كتاب الردة للواقدي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990
(29) كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء (تحقيق) .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991
(30) منهج البحث وتحقيق النصوص .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993
(31) الخط والكتابة في الحضارة العربية .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993
(32) أمالي المرزوقي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995
(33) المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق) .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997
(34) الكتاب في الحضارة الإسلامية.	دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998
(35) كتاب المتخل للميكالي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000
(36) محمد بن عبد الملك الزيات . سيرته. أدبه. تحقيق ديوانه	دار البشير، عمان 2002
(37) المحاضرات والمحاورات للسيوطي. (تحقيق) .	دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002
(38) محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء	دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003

(39) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق) المجلد العاشر.	المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2003
(40) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد الرابع والعشرون	المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة. 2004
(41) الشعر الإسلامي والأموي.	دار البشير، عمان 2005
(42) الغزل العذري.	دار البشير، عمان 2005
(43) المجموع اللقيف (تحقيق). للقاضي الأفتسي الحسيني	دار الغرب الإسلامي بيروت 2005
(44) مجالس العلماء والأدباء والخلفاء. مرآة للحضارة العربية الإسلامية	دار الغرب الإسلامي بيروت 2005
(45) بيت الحكمة ودور العلم في الحضارة الإسلامية	دار الغرب الإسلامي بيروت 2006
(46) الحنين والغربة في الشعر العربي	دار مجدلاوي _ عمان 2008

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

Nostalgia and Expatriation in the Arab Poetry

Nostalgia is one of the basic instincts found both in man and animal. This phenomenon is seen in camels' nostalgia for their homelands and the place they live in. This can be seen also in birds' nostalgia when taken away from their nests, and whatever this period was. Birds go back to their nests and camels return to their homeland traveling for hundreds of miles or even thousands of miles just for finding their souls in their homelands. This can be said to all other animals such as dogs and cats. Dogs even have more nostalgia and more loyal than other animals. If this is the case for animals, what can be said for human beings? Human beings have greater nostalgia for their homelands even if they suffered in it. Human beings feel nostalgia for their homeland even if they were living in hunger, misery and tyranny in it. The most obvious evidence for this is expressed by the immigrants to the New World, who made a fortune in this New World; nonetheless felt that they were lacking something: this was their nostalgia to their homelands. They became rich, powerful and reached high classes in the New World, but feeling nostalgia to their homelands and feel sorry if their homelands suffered from aggression, injustice tyranny and catastrophes. Homeland has captured the mind and soul of those who lived away from their homeland. Arabic authors have written a lot about this issue.

Nostalgia is a human phenomenon, not restricted to any particular people or nation. Nostalgia is found in the soul of every human being. But one can say that this phenomenon is more obvious among Arabs as the Arabic poetry has recorded this phenomenon from the early stages of the Arabic history. Arabic poetry from Al- Jahilia(dark ages in the Arabic history) until our time has focused on this important issue with a little difference between the urban areas and the Bedouin areas. This study addressed nostalgia and expatriation in the Islamic and Arabic culture since Al- Jahilia until our times.

In this book, the study focused on some issues while studying the most important phenomenon related to these issues, represented by the following:

Studying nostalgia and expatriation, and the ancients' opinions about this issue while focusing mainly on word and meaning. We also tried to identify the most important books addressing nostalgia and expatriation, identify concept of expatriation and alienation and the features of both these concepts during the different eras (from Al-Jahilia until the modern ages). We studied nostalgia as a general term and the causes that make persons leave their homeland in each period, then clarifying the sufferings caused by the nostalgia and how poets described this phenomenon, especially pauper poets who suffered several kinds of alienation such as: color, belonging and the refusal of the society at that time for thieves and bandits. Some poets have expressed their deep nostalgia when they were dying and when realizing that the moment of

death has approached whether the poet was dying between his own people or whether he was dying away from his homeland, or dying while traveling or in the war. Lineation suffering was obvious among the soldiers who were fighting in the Islamic armies away from their homelands. These soldiers spent months or even years away from their homeland and some of them were not able to return to their homeland for several reasons. A woman who marry a man out of her own tribe also suffered nostalgia or her husband leave her alone for several months. Some women felt nostalgia because they changed their way of living when marrying a man out of their tribe: changing way of life from Bedouin to city life. Some of these women have even mourned for leaving their tribes and for having to live in other tribe.

The study also addressed the case of some of the immigrants who had to leave their homeland for one reason or another, who started to feel nostalgia for their homelands and who started complaining from the hardships of expatriation. They expressed their feelings by writing poetry and some of the most known proverbs and wisdoms addressing this issue on walls and buildings in the expatriation countries. This was some kind of relief for them as it was a kind of expressing of what the immigrant feels of nostalgia and hardships in the expatriation countries.

Returning to the nature and the life, there are some kinds of simulations for expatriation and nostalgia. These simulations motivate the poets create in them the need for expressing their feelings using poetry. For example, tears dropping from one's eye, wind blowing from the homeland or from the side in which the homeland is located simulates the person to express his feelings of expatriation and nostalgia. Lightning in the sky which comes from the side in which the homeland is located is another kind of simulation. Stars that the person watches in the sky are also a simulation for that person to start thinking of his own homeland. These stars remind him of his people and beloved ones in his homeland. When he contemplates in the stars and his eyes meet the eyes of his beloved, which motivates in turn the person to think of his beloved ones. Pigeons are another kind of simulation for nostalgia. Pigeons' cooing makes the person feel tired reminding him of his hardships and suffering in the expatriation countries. The person feels that these pigeons share him his hardships and sufferings.

Camels feel nostalgia for their homelands like human beings. They turn their heads towards their homelands, thus making its owner feel expatriation and nostalgia himself. Palm trees were always linked with to expatriation and nostalgia. They were always a symbol for expatriation and nostalgia and they motivate feelings of expatriation and nostalgia in the person. In some countries, where palm trees are very rare, and in these countries there were some famous palm trees who witnessed some of the most famous poetry said in expatriation and nostalgia in Arab history. For example, Murran, Karman and Al- Rassafah

palm trees in Al Andalusia were an eye witness of Abdel Rahman Al- Dakhel who said one of the most beautiful poetry in expatriation and nostalgia. Caliphs and poets have made songs and poems about Hilwan tow palm trees.

Location was an important element in the poems written by different poets. Najd, for example, was one of the most distinguished locations in the hearts and souls of Arabs. They said and wrote poems about the land, nature and beautiful women. They expressed their nostalgia and longing towards these homelands. Many poems have mentioned Najd and Al- Hijaz in the different time periods. We have mentioned and listed such poets as they represent an important aspect of nostalgia and longing in the Arab poetry.

The study concluded with mentioning the most important poems said in expatriation and nostalgia about Iraq, land of richness luxury and civilization. Poets in different time periods, and even from the Abbasids era, have expressed their nostalgia. In the time being, poems have expressed their expatriation and nostalgia to Iraq. These poets have addressed the beauty and civilization of Baghdad. They wrote several poems talking about luxury and richness in this great city.

Professor Yahia Al Jubouri

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس